# رَجُـلُ اللّٰهِ

القصة المذهلة

للخليفة الرابع للمسيح الموعود

تأليف

إيان آدامسون

ترجمة

د. وسام البراقي

د. إيهاب حمود

# رَجُلُ اللهِ

الطبعة الأولى: ١٤٤٠هـ الموافق لـ ٢٠١٩م

# *Rajulullāh*

*Arabic Translation of*

**‘‘A Man Of God’’**

Written by:
IAIN ADAMSON

Translated from English by: Dr. Wissam Alburaki &
Dr. Ehab Hamoud

First Published in UK in 2019

© Islam International Publications Ltd.

Published by:

Islam International Publications Ltd
Unit 3, Bourne Mill Business Park,
Guildford Road, Farnham, Surrey, GU9 9PS
United Kingdom

Printed in UK at:

Raqeem Press
Farnham, Surrey
GU9 9PS

For further information please contact:

Phone: +44 1252 891330
Fax: +44 1252 821796

www.alislam.org
www.islamahamadiyya.net

ISBN: 978-1-84880-455-5

# فهرس المحتويات


| | |
|---|---|
| مقدمة المترجم | أ |
| مقدمة | ١ |
| الفصل الأول | |
| حب الله وغضب الله | ٣ |
| الفصل الثاني | |
| رجل اسمه أحمد | ٨ |
| الفصل الثالث | |
| عهد جديد في قاديان | ١١ |
| الفصل الرابع | |
| روح التضحية | ١٨ |
| الفصل الخامس | |
| لا احتكار للصلاح | ٢٦ |
| الفصل السادس | |
| هل الله موجود | ٣٠ |
| الفصل السابع | |
| مكان يُدعى ربوة | ٣٤ |
| الفصل الثامن | |
| فترة فاصلة في لندن | ٤٢ |

الفصل التاسع
العمل والمتعة ٤٨
الفصل العاشر
السياسة والاضطهاد ٥٥
الفصل الحادي عشر
النضال من أجل باكستان ٦٠
الفصل الثاني عشر
بوتو والشيوعيون ٦٣
الفصل الثالث عشر
خليفة للعالم الإسلامي ٦٦
الفصل الرابع عشر
بهداية الله ٧٧
الفصل الخامس عشر
تحقق نبوءة ٨٨
الفصل السادس عشر
الحياة الأُسَرِيَّة ٩٣
الفصل السابع عشر
الضوء في الصباح ١٠١
الفصل الثامن عشر
حركة تبشيرية ١٠٨

الفصل التاسع عشر
الشورى الإسلامية ١١٧
الفصل العشرون
ضياء يستولي على السلطة ١٢٥
الفصل الحادي والعشرون
المرسوم المشئوم ١٣٢
الفصل الثاني والعشرون
غلطة ضياء ١٣٧
الفصل الثالث والعشرون
فرصة جديدة ١٤٧
الفصل الرابع والعشرون
مشاجرة بين سياسيّين بريطانيين ١٥٢
الفصل الخامس والعشرون
رسالة الله ١٥٩
الفصل السادس والعشرون
تأثير الدعاء ١٦٧
الفصل السابع والعشرون
نداء إلى الله ١٧٥
الفصل الثامن والعشرون
قرار الله ١٨٦

الفصل التاسع والعشرون
الرجل المقتول يعود ١٩٢
الفصل الثلاثون
المعالجة بالمثل (الهوميوباثي) ١٩٨
الفصل الحادي والثلاثون
أسئلة للخليفة ٢٠٣
الفصل الثاني والثلاثون
مستقبل الإسلام ٢١٠
شكر وتقدير ٢١٧
المؤلف ٢١٩

## نحمده ونصلي على رسوله الكريم

# مقدمة المترجم

هذا الكتاب هو الترجمة العربية لكتاب A Man Of God الذي ألَّفه بالإنجليزية الكاتب الاسكتلندي المسيحي السيد "إيان آدامسون". وقد أكرمنا أمير المؤمنين الخليفة الخامس للمسيح الموعود عليه السلام مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز بمنحنا الموافقة على ترجمة هذا الكتاب ثم نشرها، وذلك فضل من الله علينا عظيم.

لا شك أن الجهد الذي بذله الكاتب في صياغة هذا الكتاب عن حياة مرزا طاهر أحمد رحمه الله، الخليفة الرابع للمسيح الموعود عليه السلام؛ يبعث على الإعجاب. وقد استطعنا من خلال عمله هذا رؤية جوانب من حياة الخليفة الرابع رحمه الله لم يكن من الممكن الاطلاع عليها من كتب السيرة الاعتيادية، وقد عرضها المؤلِّف بطريقة تترك في النفس انطباعًا لا يمحى أثره...

ولأن الكاتب لم يكن مسلما و لم يعتقد بالطبع في مهدوية حضرة غلام أحمد عليه السلام؛ فهو مع احترامه لله ولكل الأنبياء والصحابة لم يستعمل العبارات الإسلامية مثل: ﷻ، والصلاة على النبي الأكرم ﷺ، وعبارة "عليه السلام" في حق الأنبياء والمسيح الموعود، أو عبارات "رضي الله عنه" في حق الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين. وحفاظًا على أمانة النقل قدر المستطاع فقد خلَتْ الترجمة من تلك العبارات.

كما أن نص الكتاب كان بحاجة إلى بعض الحواشي التوضيحية أو التصحيحية في بعض الأماكن إلا أننا تجاوزنا كل ذلك حرصا على الالتزام بالأصل، ولكن اقتضى الأمر التنوية إلى بعض الأمور التي منها:

١- ورد في صفحة ١٨ ذكر "التحريك الجديد"، والتحريك الجديد هو المكتب المركزي الذي يهتم بمراكز الجماعة خارج باكستان والهند

٢- ورد في صفحة ٢٠: "كنت أُعطى "آنّا" واحدة في الأسبوع"، والآنا هي وحدة نقدية تشكِّل جزءا من ستة عشر جزء من الروبية.

٣- ورد في صفحة ٣٠: "فالقرآن مؤلف من ١١٤ سورة و٦٦٦٦ آية"، والواقع أن عدد آيات القرآن الكريم ٦٣٤٩ آية مع البسملة وليس ٦٦٦٦.

٤- ورد في صفحة ١١١: "إن نسبة هذه التبرعات قد حددت من قبل المسيح الموعود"، وهذا خطأ، فهذه النسبة حددها الخليفة الثاني، أما المسيح الموعود عليه السلام فقد تحدث عن الوصية وحدد نسبتها.

ونتوجه بالشكر الجزيل لكل من شارك في إنجاز العمل الذي تمّ تحت إشراف المكتب العربي المركزي وبالتعاون مع عدد من الإخوة العرب، فجزاهم الله تعالى أحسن الجزاء في الدارين خيرا، ونسأل الله تعالى أن تترك هذه الترجمة تأثيرًا طيبًا لدى القارئ العربي وأن تكون مفيدة في إبراز بعض الجوانب المذهلة من سيرة الخليفة الرابع مرزا طاهر أحمد رحمه الله الذي كان "رجل الله" حقًا وأسد الله أيضاً.

المترجمان

د. وسام البراقي

د. إيهاب حمود

٢٠١٩-٠٤-٢١

# مقدمة

مما لا ريب فيه أن مهمة الجماعة الإسلامية الأحمدية التي تعلنها إنما هي توحيد كافة الأديان تحت راية الإسلام وتحويل العالم بأكمله إلى الإسلام.

يرأس الجماعة قائدها الروحي وهو الخليفة الرابع لأحمد الذي ادعى أنه المسيح الموعود، ذلك النبي المبشَّر به في كافة الديانات العظمى في العالم، وسيتلوه خلفاؤه الذين سيتمون عمله ويوحدون البشرية تحت راية الإسلام في غضون ثلاث مئة سنة.

سوف تتحد المسيحية واليهودية والبوذية والسيخية والهندوسية وكافة ديانات العالم الأخرى تحت راية الإسلام، وسيحدث ذلك دون إكراه؛ لأنه لا إكراه في الدين وفق الإسلام. ولن تكون من ضرورة له لأنها ستكون حربا مقدسة بالكلمات، جهادا يظهر فيه صدق الإسلام ويسود.

يومَ أعلن أحمد نبوته آمن به ما لا يزيد عن ٥٠ شخصا، ولكن في اليوم التالي جاءه المزيد وفي الذي بعده أكثر، ومنذ ذلك الوقت يدخل في كل عام المزيد والمزيد.

وفي عام ١٩٨٩، بعد مرور مئة سنة على إعلانه، كان ما يزيد على ١٠ ملايين شخص يقرون بصدق العلاقة الخاصة بين أحمد والله وعلاقة خلفائه الخاصة بالله.

يُعرَف أتباعه بالأحمديين، ومن بينهم فائز بجائزة نوبل، ورئيس سابق للجمعية العامة للأمم المتحدة، ومدير للبنك الدولي، ووزراء دولة في العديد من الدول، والعديد من الألوية والقادة والعديد من أصحاب الملايين. والأهم من ذلك كله، الملايين والملايين من عامة الناس.

أصبحت الحركة الأحمدية القوة الكبرى الفاعلة في الإسلام، فأنشأت المساجد والإرساليات الخارجية في ١٢٠ دولة وترجمت القرآن إلى ١١٧ لغة، وأقامت المدارس والمستشفيات في أنحاء العالم وأرسلت الخبراء للمساعدة في المشاريع الزراعية والصناعية. وهي تخطط في العشرين سنة القادمة أن يكون لها ٥٠٠٠ مبشر عاملين في روسيا والصين وجنوب أميركا.

لقد اضطُهدت الجماعة الأحمدية، وقال عنهم العديد من المسلمين الآخرين بأنهم غير مسلمين لأنه لا يمكن أن يكون نبي آخر بعد محمد. يقول الأحمديون بعدم صحة ذلك وأن محمدا كان آخر نبي مشرع ولكن باب الوحي لا يمكن أن يغلق أبدا لأنه صلة الوصل بين الإنسان وربه. وأن أساس النبوة غزارة الوحي الإلهي والإظهار على علم الغيب.

لقد اختفى وتلاشى أبرز مضطهديهم، بعضهم بطريقة مذلة وبعضهم بطريقة غامضة.

هذه سيرة حضرة الخليفة الرابع للمسيح الموعود، وهو حفيد المسيح الموعود واسمه مرزا طاهر أحمد.

## الفصل الأول

# حب الله وغضب الله

من أهم العقائد الدينية فى مختلف الأديان عقيدة الجزاء الإلهي وهي أن الله سوف يكافئ أولئك الذين يواسون إخوانهم من بني البشر، ويعاقب من يسببون التعاسة لهم. وهذه بالتأكيد عقيدة الإسلام أيضا.

يأتي الاحتفال بعيد الفطر في نهاية شهر رمضان، شهر الصوم، وهو يوم احتفال كبير لتلاقي العائلات وتبادل الهدايا. وفي يوم الجمعة الذي سبق يوم عيد الفطر من السنة الأولى من خلافته، ألقى الخليفة الرابع خطبته في المسجد الأقصى في ربوة (البنجاب، باكستان). قبل أربعين سنة من ذلك اليوم لم يكن لربوة هذه من وجود، بل كانت أرضا رملية لا تؤوي إلا الثعابين والسحالي في النهار، وتعوي في جنباتها بنات آوى طول الليل.

أما اليوم ففيها العشب والشجر وطرقات فسيحة ومساكن يُعتنى بها. وتضم المدينة أربعين مسجدا ويسكنها خمسة وأربعون ألف نسمة. إنها الآن المركز الرئيس للجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية. لقد نشدوا في هذا المكان الملاذ والمأوى، ولم يريدوا الانعزال فيه أبدًا. ففي مدينتهم ربوة، يستطيع الأحمديون إعداد أنفسهم إعدادا أفضل لنهضة الإسلام والجماعة الأحمدية ثم ليمضوا قدمًا لإدخال العالم في دين الإسلام.

ويتسع المسجد الأقصى لخمسة عشر ألفًا، ولكنه لم يكن كافيًا لكل الذين رغبوا في حضور الصلاة والاستماع إلى الخليفة الرابع وهو يلقي خطبة العيد. ولقد قامت مكبرات الصوت بمهمة نقل كلمة الخليفة إلى آلاف المحتشدين خارج المسجد، كما سجلتها أجهزة التسجيل للملايين من غيرهم. وفي الساعات التالية خرجت الأشرطة المسجلة إلى جميع مراكز بعثات الدعوة في الخارج في أرجاء المعمورة، حيث تترجم كلمة الخليفة إلى اللغات المحلية أيا

كانت، وذلك كي يستمع المؤمنون حيثما كانوا إلى كلمات إمام الجماعة. تُرسل الأشرطة إلى أنحاء باكستان والهند، وتُسمع في كل بلاد إفريقيا شرقا وغربا. فكلمة الخليفة ليست للقوم الذين يشهدونها فحسب، وإنما أيضا لمن يعانون حياة الفقر الروحاني الحقيقي، ولمن يعيش الفقرُ الروحاني قريبًا من ديارهم.

وصوت الخليفة عادة ذو نبرة موسيقية عذبة، وهو يتحكَّم به جيدا. إنه خطيب جماهيري خبير يمزج المَلَح بالمواعظ، ويستعين أحيانا بأبيات من شعره الجاد أو الفكاهي كي يضفي مزيدا من الوضوح على نقطة يشرحها. ولديه مقدرة فذة تجعل كل من يستمع إليه يشعر بأن حديثه موجه إليه وحده. ولكن مع ذلك لا يستطيع دائما أن ينأى بنفسه عن الصورة التي يرسمها بكلماته؛ فيرى ما يصفه ويشعر بالمشاعر التي يتكلم عنها، وعندئذ تجد صوته يتقطع، فيرى في هذه اللحظات من هم في الصفوف الأولى دموعا تملأ عينيه، لتفيض أحيانًا على خديه.

ويقرّ الخليفة قائلًا: إنني حقا لا أتمكن في بعض الأحيان من كتمان مشاعري مهما حاولت، ولكنني لاقيت في حياتي شدائد كثيرة تثقل كاهلي، وهي ليست لي ولكنها متاعب الآخرين. لقد رأيت أناسا تعساء تائهين في وحشتهم، وذكرى وجوهِهم تصيبني الآن بالحزن، ومع أنّ هناك أناسا آخرين حولهم إلا أنهم لا يكادون يروهم؛ إنهم بلا وجود بالنسبة إليهم! كيف يمكن أن يكون الناس هكذا؟

كان الناس في ربوة يتوقعون أن تكون خطبة الخليفة مبهجة، وفيها طلبات يلتزمون بأدائها إذ كان عيد الفطر على الأبواب. وبدلا من ذلك أعلن الخليفة أن طلباته عظيمة فهو لا يريد صدقاتهم ولا أموالهم مهما كانت، فالمال لا يستطيع شراء كل شيء؛ إنه أراد منهم سعادتهم! كان يريدهم أن يتقاسموها مع غيرهم. كيف يمكن أن تكون سعيدا، وأنت تسير إلى الاحتفال

مع أسرتك مارًّا بمنازل من تعرف أنهم مسنّون مستوحشون أو فقراء لا يملكون شراء طعام يكفي أولادهم حتى ليوم العيد؟ كيف تعطي الهدايا لأطفالك وأنت تعرف أن أطفالا ليسوا بعيدين منك ليس لديهم أغطية تكفل لهم الدفء ليلة العيد؟ إذا أردت الاستمتاع بالعيد فابحث عن هؤلاء الناس الآن وساعدهم. إنهم موجودون في كل بلد من العالم. سوف تكتشف أنك لن تكتفي من هذه السعادة؛ فإنك كلما أعطيت أكثر تولَّد لديك منها أكثر.

يسترجع الخليفة ذكرى ذلك اليوم ويقول: كان ذلك اليوم تجربة رائعة؛ وكأن الشوارع امتلأت بالناس. ووصلتني آلاف الرسائل يقول أصحابها بأنهم لم يستمتعوا قط بمثل ذلك العيد، وجاءت رسائل كثيرة من فقراء ذكروا عطف جيرانهم عليهم، وكانت هناك رسائل أيضا من أناس أخبروني بعظم السعادة التي شعروا بها عند مواساة الآخرين. كانوا في الماضي يريدون المساعدة، ولكنهم كانوا يخشون عرضها. واليوم، أصبح أناس كانوا يمرون بهم مرور الكرام منذ سنوات أصدقاءً لهم. ثم قال الخليفة: "إنه حب الله الذي يجعل الناس يتصرفون على هذا النحو".

**لندن، صيف ١٩٨٨**

في الساعة الخامسة من صباح يوم ١٧-٨-١٩٨٨ غادر الخليفة المسجد بعد أن صلى الفجر عائدًا إلى مسكنه في المبنى الإداري الملحق بمسجد فضل ليبدل ملابسه؛ فقد كان عند الصلاة يرتدي رداءً أبيض، يتكون من سروال قطني واسع، ومعطف محكم بأزرار حتى الرقبة، وعمامة بنجابية ذات عرف مرتفع وذيل يتدلى على الظهر. لم يكن في ملابسه شيء غير عادي سوى تلك القلنسوة الذهبية التي تلتف العمامة حولها وتغطي رأسه، وبالطبع لم يكن في خيوطها أي ذهب حقيقي على الإطلاق.

وعندما خرج من الباب المؤدي إلى مسكنه كان يرتدي حلة تدريب رياضية، وحذاء رياضة للجري، وغطاء رأس من الصوف النقي، خفيف ودافئ، يأتون به من الحدود الشمالية الغربية للهند.

وأمام المسجد يوجد محرسان لرجال الحراسة يراقبون منهما مداخل المبنى طول الليل. ولما كان ضوء النهار قد انبلج، غادر حارس المحرس البعيد وركب في السيارة الثالثة وركب الخليفة السيارة الوسطى. وأما السيارة الأمامية فركب فيها الرائد محمود أحمد، الذي كان ضابطا سابقا في القوات الخاصة الباكستانية، وهو المسئول عن حراسة الخليفة.

وعندما وصل الركب إلى المتنـــزّه سار الرائد محمود بجوار الخليفة، وانتشر رجال الحراسة على شكل قوس أمامه، وتبعه في الخلف رجلان. فكان الخليفة في وسط حرسه تماما. يحمل الرائد محمود، الذي لا تفتر عيناه عن الحركة للمراقبة، عصا غليظة، ليس ليتوكأ عليها في مشيه وإنما سلاحا دفاعيا إذا ما تعرض الخليفة لهجوم. فلا بد من الحِرص لأن الخليفة الثاني كان قد تعرض لمحاولة اغتيال كادت أن تنجح.

يقول الخليفة: عادةً لا يتكلم أحد في مسيرة الصباح، فهو وقتٌ للتفكر. يكون هذا المشي في الصيف والشتاء مباشرة بعد صلاة الفجر؛ فقد يكون الطقس منعشا ولطيفا وفي المتنـــزّه مَن يتريض ومَن يتره كلبه، أما في الشتاء فغالبا ما يكون الطقس باردا ورطبا وسيئا فلا يكون في المتنـــزّه غيرنا.

يمشي الخليفة خمسة أميال كل يوم بخطى سريعة دون أن يتكلم، وقد غدت حاليا الرياضة الوحيدة التي يمارسها. وعندما يصلون البحيرة يقوم أحد حراسه بإعطائه كيسا من الخبز البائت، وعلى الفور تنقض جماعات من الطيور لتحصل عليه؛ فتسارع طيور النورس والخطاطيف والغربان والبجع وطيور مائية أخرى لتنال نصيبها.

وفي طريق العودة من البحيرة يبطئ الخليفة خطواته فيقترب منه الذين كانوا قد حصلوا على إذن مصاحبته. كانوا يتحدثون ولكنهم لاحظوا أن الخليفة كان يميل إلى قلة الكلام. ففي ذلك الصباح أخبره الإمام السابق لمسجد لندن عن رؤيا رآها بأن الجنرال ضياء الحق، رئيس باكستان مستمر في اضطهاد الجماعة الأحمدية. فأجابه الخليفة: "إذًا سيعاقبه الله، أعلم أن شيئا ما سيحدث قريبا". وقد دُوِّن تاريخ ووقت هذه المحادثة، وقد مر عليها ٤ أسابيع من إعلان الخليفة المباهلة. وقبل خمسة أيام منها كان الخليفة قد أعلن أن قدر ضياء الحق وجماعته من المضطهدين قد أصبح محتومًا.

قبل ١٤٠٠ سنة قام رسول الإسلام محمد بإعلان مباهلةٍ عندما لم تنجح الحجة والمنطق بإقناع الرجال الذين جاءوا لمقابلته، فقال لهم بأنه لا يرى أنهم تبنوا هذه الآراء الخاطئة إلا عنادا، لنُحكِّم الله بيننا ولعنة الله على الكاذبين. وكذلك أعلن الخليفة عند مباهلة الجنرال ضياء الحق ومعاونيه "لنحتكم إلى الله"، فإنْ كان ما تقومون به حق فإن الله سيؤيدكم وإن كنتم تضطهدوننا بغير وجه حق ولخبثكم فإن الله لا محالة سيعاقبكم.

وعندما عاد الخليفة إلى المسجد حضّر بنفسه فطوره وأكل، بينما كان كل من في السكن في مسجد لندن لا يزال نائما. ثم تلا القرآن لساعة. وكان في مكتبه قبل ساعة من وصول سكرتيريه.

وعند الساعة الرابعة عصرا جاء الخبر بأن الطائرة التي كانت تقلُّ الجنرال ضياء الحق وتسعة من مرافقيه من كبار الضباط قد تحطمت، لا أحد يعرف كيف، ولم ينجُ أحد. وفي اليوم التالي ذكرت عناوين الصحف ما يلي: "نُسف ضياء في السماء". وكل ما استطاعوا جمعه منه للدفن أسنانه.

قال الخليفة: "إنه غضب الله!"

## الفصل الثاني

# رجل اسمه أحمد

نادرا ما يتم عمل النبي في حياته، وإنما يُكمله خليفته الذي يختاره النبي في حياته أو يُنتخب من قبل أتباعه بعد وفاته. فبعد عيسى جاء بطرس وبعد محمد جاء أبو بكر. والكلمة العربية لمن يخلف النبي هي الخليفة التي أطلقت في الغرب خطأ على الحاكم الشرقي وعُرِّيَتْ من دلالتها الدينية. أما عند المسلمين فلها معنى واحد وهي خليفة النبي.

لقد أعلن محمد أنه سيأتي من بعده خلفاء يكملون مهمته، وأنه عندما يصبح الإسلام مهددا سيأتي المسيح الموعود. لقد أُنبئ عن مجيء المسيح الموعود في كل الديانات العظمى في العالم، ومهمته هي إحياء الإسلام وتوحيد العالم كله تحت راية الإسلام بعد إدخاله فيه.

في عام ١٨٨٩م وفي مدينة هندية صغيرة مغبرة اسمها لدهيانه الواقعة في الشمال الغربي من البنجاب، قَبِل رجل اسمه أحمد بيعةَ أول أتباعه الذي كان طبيبا سابقا للمهراجا، الذي أعلن قائلا: "أتوب اليوم على يد أحمد من كل ذنوبي".

لم يكن أحمد قد ادعى شيئا في حينها، وكان يُنظر إليه على أنه معلم عظيم وعالم ومدافع عن الإسلام يمكنه قيادة الناس إلى سبيل الحق. وبعد سنة أعلن أحمد أن الله أوحى له مهمته الحقيقية: إنه المسيح الموعود. إن مهمته الموكلة إليه من الله كما أنبِئ عنها هي إدخال العالم في الإسلام، وقد أخبره الله أن النصر سيكون حليفه في هذه المهمة وذلك بقوله: "سأبلغ دعوتك إلى أقصى أطراف الأرضين".

لقد كانت بشارة عجيبة؛ فما كان عدد أتباعه حينها يبلغ الخمسين. وبعد عشرين سنة في أيار/مايو ١٩٠٨ عندما توفي عن عمر يناهز ٧٥ عامًا كان عدد أتباعه قد بلغ ٣٠٠ ألف. لقد كانت تلك البداية فقط كما قال لأتباعه، فبعده سيأتي "التجلي العظيم". فما شكّوا بأن ذلك يعني الخلافة التي ستبلغ عملَه منتهاه بتوحيد العالم تحت راية الإسلام. هؤلاء الخلفاء سيكونون من بين أتباعه. لقد قال بأن الله أخبره بما يلي: "إني جاعل هذه الجماعة الذين اتبعوك فوق غيرهم إلى يوم القيامة".

لقد قال أحمد بأنه لا ريب في أنّ النصر لآتٍ، فالله قد وعده في أنبائه المقدسة بأنه:

"...سوف يجعل هذه الجماعة تزدهر، ويُدخل فيها ألوفا من الصلحاء. ولسوف يرويها بنفسه ويكتب لها الازدهار، حتى إن كثرتها وبركتها سوف تبدو غريبة للأعين. وسوف ينشرون ضوءهم إلى جميع أرجاء المعمورة مثل المصباح الموضوع في علٍ، وسيكونون نموذجا للبركات الإسلامية."

لقد ذكر أحمد أهداف الله من إقامة هذه الجماعة الربانية بقوله:

"قد أراد أن يخلق هذه الجماعة ثم يهبها تقدما، ليظهر جلاله ويري قدرته، لكي ينشر في الدنيا حب الله تعالى والتوبة النصوح والطهارة والبر الحقيقي والأمن والصلاحية ومواساة البشر. فهذه الجماعة ستكون جماعته المختارة التي سوف يهبها القوة بروحه الخاصة، ويطهرهم من الحياة القذرة، وسوف يحدث تغييرا طيبا في حياتهم."

أعلن أحمد أن الله قد وعد بأن الجماعة سوف تتضاعف أضعافًا، وينضم إليها ألوف من الصادقين، وبأنه هو نفسه من سيرعاها وينميها إلى حد دَهْشِ العالم بأعضائها وتطورها. وبالفعل، في آذار/ مارس ١٩٨٩ بعد مئة سنة من البيعة الأولى أدهش تطور جماعة أحمد العالم، والرجل الذي أصبح خليفتهم اليوم هو ميرزا طاهر أحمد، أحد حفدة المسيح الموعود.

وبعد انتخابه خليفة، قابلته السيدة العجوز آمِنة بيجوم، زوجة أحد أقدم أصدقائه، وانحنى رأسها أدبًا عند رؤيتها الخاتم الفضي الذي كان رمزا لخلافته فقالت: "كيف يجب عليَّ أن أناديك الآن؟". فقد عرفتْه طالبا في لندن عندما كان يقيم في غرفته المفردة في منطقة متواضعة من لندن، وكان يطهو الطعام على موقد غاز ويأتي به أحيانًا لزوجها ولها أيضا. فقد كانت تناديه بـــ"طاهري" وهي صيغة التودد الدارجة لاسم طاهر.

وردًا على سؤالها قال طاهر: "ناديني بما تشاءين، فنحن أصدقاء قدامى"، فقالت: "وددت أن أناديك "طاهري" ولكن الكلمة لا تتجاوز شفتيّ."

لم يعد أحد يدعوه بـــ"طاهري" فهو الآن عبد الله المختار على الأرض. إنه الخليفة الذي يلوذ إليه الأحمديون عند الشدائد والمحن وعند دنو الموت وفي المرض العضال وعندما يبتغون النصح والتوجيه. إنهم يقولون إن الله يستجيب أدعية الخليفة، ويذكرون الظروف العديدة التي استيأس الناس فيها، وظُنَّ أن كل شيء قد ضاع، فقام الخليفة للدعاء واستجيبت أدعيته. إن الخليفة هو الذي سيُتِمّ الأخوّة الكاملة للبشرية في ظل الإسلام، وهو الذي سيوحد كل الأديان بالإسلام. والخليفة أيضا هو من يشرح ويفسر الشريعة التي جاءت لخير البشرية وأنزلها الله على محمد في صورة القرآن الكريم. وكخليفة فإنه يستحق كل الحب والاخلاص؛ فأنّى بعد ذلك أن يُدعى "طاهري".

الفصل الثالث

# عهد جديد في قاديان

تزوج الخليفة الثاني، وهو ابن المسيح الموعود، السيدة مريم صدِّيقة في عام ١٩٢٢. كان عمرها حينئذ ١٧ عامًا بينما كان يبلغ هو ٣٣ سنة، وكانت ثالث زوجاته فأنجبت له في قاديان "طاهر" في ١٨-١٢-١٩٢٨.

كان يوم ابتهاج وعطلة بمناسبة وصول أول قطار بخاري إلى بلدة قاديان قادما من أمْرِتْسَر، التي تبعد ٣٥ ميلا، على الخط الحديدي الذي أُنشئ حديثا. ذهب العديد من كبار أهل البلدة إلى أمْرِتْسَر ليستقلوا القطار ويشاركوا في هذه الرحلة التاريخية الأولى. وازدحمت محطة السكة الحديدية منذ وقت مبكر بمن جاءوا ليشهدوا قدوم القطار. كان من بينهم من سبقت لهم تجربة ركوب القطار والسفر به على خطوط الهند الطويلة، وقد جاءوا ليظهروا على الملأ امتيازهم الدنيوي، وليخبروا جيرانهم الذين لم يغادروا قاديان من قبل أن القطار القادم يتنفس البخار والدخان، ولكن لا داعي للخوف منه.

وباستثناء سائقي العربات التي تجرها الخيول التي ستَقِلُّ الحاجة إليها، كان الجميع متفقين على أن ذلك كان أمرا حسنا وأن اليوم يبشر بعهد جديد لقاديان، وللجماعة الإسلامية الأحمدية بالطبع؛ إذ سيتمكن المزيد من الناس من القدوم إلى قاديان وسوف تتمكن الجماعة من تدريب المزيد من المبشرين والدعاة.

من بين الأطفال الذين كانوا يلعبون في المحطة كان ميرزا مظفر أحمد الذي سيصبح فيما بعد وزير المالية في باكستان ثم مدير المصرف الدولي والذي يذكر ذلك قائلا: "غلبت علينا نحن الأطفال الإثارة والحماس بانتظار وصول

القطار، كان يوم تهليل وابتهاج". ولكنه يتذكر أيضا "أحاديث السرور" بين الكبار عن المولود الجديد للخليفة الثاني. كانوا يقولون بأنه بركة إذ كانت مريم قد أنجبت ابنتين؛ أمة الحكيم وأمة الباسط، وتوفي ابنها الوحيد وهو رضيع، وكانت ترغب بشدة أن تُرزق بالولد.

كان طاهر طفلا مفعما بالصحة والعافية، حسن الخَلق بيِّ العينين سبطَ الشعر أسوده. كان أقنى الأنف. وقد حرصت أمه على صحته وسلامته، وبعد أن فُطِم كانت مربيته تأخذه كل يوم إلى مزرعة قريبة ليُحلب في فمه مباشرة من ضرع بقرة، وبهذه الطريقة لم يكن الحليب دافئا ولذيذا وجيدا لنمو الأطفال ولكنه كان مصونا من التلوث بعوامل خارجية. لم يتعرض طاهر في طفولته إلا لعدد قليل من الأمراض، ويتذكر كبار أعضاء الجماعة الإسلامية الأحمدية ضحكاته ومزاحه، لقد كان طفلا سعيدا مستعدا للعب كرة القدم مع أقرانه وتحدي أي واحد منهم في التجرؤ على المشي على حائط أو القفز من فوق بركة ماء موحلة في موسم الأمطار، وكان مستعدا ليكون أكثرهم شغبًا سواء أكان ذلك في المدرسة أم خارجها، ويعمل على استرضاء أحد معلميه إن ظن أنه يمكنه النجاة بفعلته. وقد اعترف لاحقا أنه كان مستعدا للضحك على أشياء لا ينبغي الضحك منها كسقوط أحد رفاقه في بركة الماء الموحل عندما يحاول القفز من فوقها أو سقوط بضاعة صاحب محل على الأرض. وقال: "كنت صاحب دعابة يراها الكبار مزعجة بعض الشيء عند الصغار، كنت مستعدا بشكل مفرط لأضحك على أي شيء". وقد حمل حس الدعابة هذا إلى المترل. كان أبوه، الخليفة الثاني، رجلا وقورا واعيا لعظم المسئولية الملقاة على عاتقه، على ضيق ذات اليد، وربما لذلك كان متشددا فيما يتعلق بالرفاهية والتمتع. ويقول عنه طاهر: "في طفولتنا كنا نراه بعيدا وكنا ننظر إليه برهبة، ومع أنه كان يحبنا ويلاعبنا أحيانا ولكن بقي هناك حاجز ومسافة لأنه كان إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية. ما استغللنا

أبوته لنا وبقيت هناك مسافات بيننا. ونادرا ما استجبنا كأطفال بحرية مطلقة لمداعباته، كنا نفعل ذلك أحيانا ولكني كنت أفعلها أكثر من الأطفال الآخرين وكنت في بعض الأحيان أضحكه وكانت هذه ميزة خاصة بي"، ولكن الويل لطاهر إن أحست أمه بأنه يمس بنكاته ولو من بعيد باحترامه لوالده؛ يقول طاهر: "الحقيقة أنها كانت توبخني بشدة، ولم تَكَد في تلك اللحظات تتمالك نفسها من الغضب. لم تكن امرأة مثقفة بالمفهوم المتداول في أيامنا، كانت تقرأ الصحف وتطالع الكتب بين حين وآخر ولكنها لم تقم بدراسة منهجية أدبية. كانت سيدة طيبة القلب. كان ديدنها الحب فأحبت نبي الإسلام والقرآن الكريم ومؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية". إن شكّت أن طاهرًا لم يُعِرْ دراسة القرآن أو تعاليم الإسلام الانتباه المطلوب كانت تغضب بشدة وتؤنبه بعنف. ولم يتبين سبب غضبها ذاك إلا بعد أن أصبح طاهر خليفة.

لقد كانت لها خصوصية وإن كانت زوجة الخليفة؛ فعندما كان ابن المسيح الموعود، "مبارك أحمد" مريضا بشدة وكان طفلا وظُنَّ أنه سيموت ساد اعتقاد أنه ربما إن زُوِّج فإن الله قد يمد بعمره، فزُوِّج زواجا شرعيًا لمريم طفلة الدكتور سيد عبد الستار شاه الذي يستدل من اسمه أنه من سلالة النبي الكريم. ولكن مبارك توفي. فقال المسيح الموعود فيما بعد بأنه يتمنى أن يتزوجها يوما ما أحدٌ من عائلته ليختلط دم رسول الله بدم تابعه المسيح الموعود.

وعندما بلغت مريم السابعة عشرة من العمر قرر الخليفة الثاني أن ينفذ رغبة والده ويدخلها في الأسرة زوجةً له. وكانت تدرك جيدا أنها من سلالة النبي الأكرم وأنها اختيرت لتكون زوجة لخاصة أبناء المسيح الموعود.

يقول مرزا مظفر أحمد: كانت عميقة التدين، وكانت رغبتها القلبية أن يشب طاهر ويلمع كنجم في سماء الإسلام والأحمدية.

ومع أن طاهرا كان ابنها الوحيد إلا أن ذلك لا يعني أنها بالغت في تدليله وحمايته. قال طاهر: "لم أشعر بالتدليل أبدا، لا من أبي، ولا من أمي، بل بالأحرى شعرت بعدم الاكتراث".

ثم جاءت أمة الجميل أختًا أخرى لطاهر. وكان لكل زوجة من أزواج الخليفة الثاني مسكنها الخاص، ولكل عائلة كيانها الخاص مع الخليفة، ولكل منهن يوم خاص في الأسبوع. وفي العادة كان الخليفة يعيش في الطابق الثاني، ومساكن زوجاته في الطابق الأول. وكان الخليفة يتحرى العدالة التامة بين أبنائه الواحد والعشرين. إذا حصلت إحدى بناته على رداء جديد، حصلت أخواتها جميعهن على رداء مثله، وهكذا الحال مع الصبيان. ونتيجة لذلك فقد نشأ أولاد الخليفة على محبة أخوية قوية متبادلة بينهم، وعدّوا كل زوجات الخليفة أمهات لهم.

ولا يعني ذلك القول أن زوجات الخليفة أيضا قدَّرن بعضهن بمحبة كاملة دائما أيضا. لقد تزوج الخليفة الثاني سبع زوجات، ولم يحتفظ بأكثر من أربع في عصمته طبقا للشريعة الإسلامية. قال إنه تزوج مرات عديدة ليضمن استمرار أسرة المسيح الموعود. ولما لاحظ أبناؤه حجم مسئولية الاحتفاظ بأربع زوجات اقتصروا على زوجة واحدة.

كانت مريم الشخصية التي يفضل الأطفال زيارتها. يقول مرزا مظفر أحمد، ابن عم طاهر: "كانت هي الشخصية الأكثر محبة. كانت حقا الخالة الأثيرة. كنا نلتف حولها، فتطعمنا ما نختار من الكعك والفواكه الجافة أو الطازجة في موسمها. وكنا بالطبع نستمتع بحديثها الممتع."

وكان طاهر الصبي الصغير يتجول حول قاديان مع الأصدقاء في مثل سنه. لم يكونوا جميعا مسلمين، فقد كانت الأسرة المجاورة لهم في المسكن من الهندوس. وأقام الأولاد جسرا متحركا من ألواح الخشب بين الدارين، فيتيسر لهم التزاور فيما بينهما دون حاجة إلى المرور من الأبواب الأمامية. وكما هي

العادة في القرى والبلاد الصغيرة، كان الأطفال يعرفون كل الشخصيات الكبيرة في قاديان. كانت هناك تلك السيدة التي ترتدي الرداء المخطط ليل نهار. وكان هناك شخصية يعرفونها قبل الجميع؛ إنه ظهور حسين أول داعية أحمدي ابتعث إلى روسيا السوفيتية. قضى الرجل فيها سنتين، وذاق في سجونها من الضرب والتعذيب ما لا يزال يحمل آثاره على ظهره. كان طاهر والأطفال يطلبون من الرجل الكهل أن يكشف لهم عن ظهره، ويحملقون واجمين إلى ندوب الجراح القديمة، ويتساءلون: هل بوسعهم أن يتحملوا مثل هذا الإيذاء؟

كان طاهر يحتل مكانة متميزة لأنه ابن الخليفة، لكنه كان أحيانا يتنازل عنها بسرور لأي واحد من رفاقه. لا شك أنه وإخوته الاثنا عشر عوملوا باحترام. ولكن كان يُتوقع منهم أن يكونوا مثلًا في اللياقة والذوق، وأن يتألقوا في دراستهم.

وكان سلوكه المرح، والعابث أحيانا، لا يتواءم مع الأسوة في اللياقة. كما أنه لم يكن بكل تأكيد متألقا في دراسته، وإنما كان في المؤخرة. يقول طاهر:

"قالت أمي بأنها تود أن أكون طبيبا، ولم أكن أرغب في ذلك، ولكني حاولت الدراسة إكراما لها وتحقيقًا لرغبتها. ولكني منذ البداية كنت أضعف ما يكون الطالب، ولم تكن دراستي الرسمية عاملا في تشكيل حياتي، ولا أحسبها لعبتْ أي دور حقيقي فيها".

"بدلا من قراءة الكتب المدرسية واستذكار المنهج المقرر الذي يتيح لي الحصول على درجات عالية، كنت أقتصر على تصفحها وأكتفي بفهم ما يقال، وأتلقى الفكرة لأجد قاعدة أتحرك منها. ولكني لم أكن أبدا طالبا مجدا. فمثلا كانت دراستي للمواد العلمية من ناحية تحصيل الدرجات الجيدة تعد فشلا تاما. لكنها فتحت أمامي سبلا جديدة، وكنت أدرس كتبا أخرى عن موضوعات مختلفة، وأستمتع بتوسيع معارفي العلمية. ولكنها لم تكن تلك

المعارف التي تساعد على الفوز بالشهادات والدرجات الأكاديمية. كنت مولعًا فقط بأن أعرف أكثر وأكثر. وكان نظام الامتحانات يسمح بأن يمنح خمس درجات جبرًا للطالب الذي يحتاجها للوصول إلى علامة النجاح، وكنت عادة من الذين ينجحون بالجبر، وكنت أرسب في الامتحان إذا ما أعوزني للنجاح أكثر من خمس علامات. وأذكر أني حصلت في أول اختبار في اللغة الإنجليزية على ٣ من ١٥٠. لم أكن طالبا مجيدا، وكنت أشعرُ بالأسف لأني أخيب أمل أمي، لأن ذلك كان يقلقها كثيرا، كما أن دراستي لم تترك في والدي انطباعا كبيرا.

وفي منتصف الثلاثينات انتشرت أجهزة الراديو وأفلام السينما. ولم يكن الخليفة يشجع على الاستماع إلى المذياع، ويمنع الذهاب إلى السينما. كان يرى أنها تقدم للناس موقفا فاسقا للحياة، فيصبحون أشد ترخصا، ثم يشغفون بعد ذلك بالمتع المصطنعة. حتى الفقراء الذين يعجزون عن الوصول إلى هذه المستويات يتأثرون بها كثيرا، ومن ثم لا يشعرون بالسعادة أبدا، ولا ينفكون يتطلعون إلى هذه الحياة المترفة، وكنت ناضجا حينما أحببت أن أذهب، ولكن ذلك كان ممنوعا فلم أذهب.

وشرح الخليفة أسباب هذا المنع في خطبة الجمعة، وقال: إنهم أي الأحمديون جماعة فقيرة، وعليهم واجب هائل لتحقيقه، ولذلك ينبغي الحد من المتع الحسية لتوفير المال وإنفاقه في خدمة الإسلام. وكان هناك اقتصاد صارم في أمور تدبير مترله، وكان يصر على أن يقدَّم صنف واحد من الطعام على مائدته. وكان في ذلك الكفاية التامة، فلا لزوم لثلاثة أو أربعة أصناف، بل إنه إفراط آثم.

وفي ذلك الوقت ذاعت موسيقى الأفلام في المذياع، ولكن كثيرا من الأحمديين رأوا أن الإنصات لها يخالف التقوى. "كان والدي معارضا لها بشدة، وكان يتغاضى أحيانا عن سماع الأطفال لها. وقد بلغني أنه مر بغرفتي

مرات عديدة وكنت أستمع إلى الموسيقى ولكنه لم يتدخل. لم يكن يتحقق من الأمر إلا إذا استغرقت أنا وغيري في الموسيقى أو ما شابهها. فعندئذ كان يتدخل على الفور".

ومع أن التأثير الديني في البيت كان قويا وصارما، لكن لم يكن أبدا متسمًا بالتعصب. كما لم يكن هذا السلطان على أي حال قائما على أساس عقائدي جامد، إنما كان بالأحرى يقوم على القيم الإنسانية التي يصنعها الدين، وتأثيرها على الخلال الشخصية، كما تتمثل في أشخاص أحياء. وهكذا تأثرت منذ طفولتي بوالدتي من بعض النواحي، وبخالاتي من نوع آخر، وبوالدي من نواحي غيرها. وقد تركوا في قلبي تأثيرات دائمة لا تمحى، وسارت بي طويلا لتصنع مني ما أنا عليه اليوم.

كان والدي عندما يواجه قرارات صعبة أو خطيرة يطلب من أطفاله جميعا أن يدعوا له. كان يقول لهم: إنني في حاجة إلى دعواتكم.

## الفصل الرابع

# روح التضحية

حدثت في عامي ١٩٣٧م، عندما كان عمر طاهر ٩ سنوات، و١٩٤٤ عندما كان عمره ١٦ سنة أحداث أثرت في حياته العائلية.

ففي عام ١٩٣٤ نظمت جماعة معادية للأحمدية مظاهرة قرب قاديان، وتنبأ منظّموها بزوال الجماعة الأحمدية، وكان هناك حملة عدائية في الصحف وتهديدات بالعنف الجسدي. وكانت ضجة كبيرة، إلا أنه ولحسن الحظ لم يحصل شيء من جراء التهديدات، وتحول الغضب إلى إطلاق أكاذيب عن الجماعة مما حدا بالخليفة الثاني إلى تقديم معتقدات الجماعة الإسلامية الأحمدية بشكل أكثر جلاء وبإيجاز.

تماشيا مع زيادة عدد المنضمين إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية فإن الحاجة تقتضي المزيد من الجهد من قبل الأحمديين على صعيد الوقت والمال، ولذلك أسّس الخليفة الثاني ما سُمِّي نظام "التحريك الجديد". كان من المفروض أن يعمل هذا النظام لمدة ٣ سنوات وقد طلب فيه الخليفة من الأحمديين ١٩ طلبًا. وقد قال ظفر الله خان، أحد صحابة المسيح الموعود الذي أصبح فيما بعد وزير خارجية باكستان ورئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة ورئيس محكمة العدل الدولية، في هذه الطلبات: "كان الهدف الرئيس منها رفع مستوى التضحية في الجماعة والتحفيز المعنوي والروحي لها وتوسيع قاعدة الجماعة عن طريق حمل رسالتها ونشرها بعيدا وعلى أوسع نطاق. وعلى سبيل المثال فقد حض الخليفة على تبني طريقة عيش متواضعة أو متقشفة أيضا فيما يتعلق بالمأكل والملبس والسكن والفرش وغيرها. وقد منع من الذهاب إلى السينما والمسارح والسيرك وأماكن التسلية عموما. وقد حض

على تطوير العمل اليدوي، وقد أعلن عن طلب عدد معين من العمال المخصصين. وقد حض غير الموظفين أن ينشغلوا بأي نوع من العمل أو بالعمل الطوعي أو مقابل مردود بسيط من أجل الجماعة. وقد دعا الجميع ليشغلوا معظم أوقاتهم بالتضرع إلى الله طلبا لعونه وهدايته وليُثبتهم."

قال الخليفة الثاني واصفا "التحريك الجديد" في إحدى خطب الجمعة: "سوف نقوم بكل الواجبات التي فرضها الله سبحانه علينا ورسوله صلى الله عليه وسلم، وعندها سوف يتحقق الهدف من التحريك الجديد. إن رُبّان سفينة الأحمدية سوف يقود هذه السفينة المباركة بين الصخور المخيفة ليوصلها بسلام إلى بر الأمان."

ويقول ظفر الله خان عن ذلك الخطاب أنه جرى من الجماعة كالتيار الكهربائي فوصفه بالكلمات التالية:

"دُرِّب عدد كبير من المتطوعين في مختلف الفروع والمجالات... وحُضّرت وطبعت المنشورات اللازمة لعرض أهداف الجماعة الإسلامية الأحمدية وتعاليمها وعقائدها.. باختصار قد بُثت في كل شيء في الجماعة حياة وروح جديدتان."

عند انطلاق التحريك الجديد كان طوعيا، ولكن في عام ١٩٣٧ خطب الخليفة الثاني خطبة أخرى أعلن فيها أن التحريك الجديد سوف يصبح إجباريا ليصبح رأس الحربة في نشر الإسلام إلى أنحاء العالم الأخرى، وأن الله قد أراد لهم التقدم. وكالمعتاد كان توجيهه وإلهامه مبنيا على القرآن الكريم وأقوال رسول الإسلام والمسيح الموعود. ومرة أخرى كان تأثير خطابه صاعقا؛ فكتب إليه آلاف الأحمديين يعرضون لوجه الله خدماتهم في هذه المهمة ومن بينهم كان طاهر الذي كان عمره حينها ٩ سنوات. كان بعمر يسمح له بفهم معظم ما قاله أبوه، وقد حرّكته موجة المشاعر التي انتابت غيره من الأحمديين. ويذكر ذلك بقوله: "كنت طفلًا عندما حدث ذلك،

لكن الأثر والانطباع الذي أحدثه الخليفة الثاني كان من العِظَم الذي جعل حتى الأطفال من عمري لا ينسون أبدا هذه التجربة. حضرت هذه الخطبة وقد سحرتنا جميعا وذكرى ذلك الوقت ماثلة أمامي، والجميع كان يذكر تلك الخطبة ويتكلم عنها بحماس. كان الجميع راغبين بتقديم حياتهم وجهودهم في سبيل الإسلام. وأذكر أن أمي نادتني وأخواتي وطلبت منا أن نساهم في التحريك الجديد من مصروفنا الشخصي واتفقنا على دفع خمس روبيات أو عشرا. ولكن كان ذلك مستحيلا عليّ لأن مصروفي الشخصي لم يبلغ خمس روبيات في السنة كلها. فقد كنت أُعطى "آنّا" واحدة في الأسبوع. أظن أن ذلك المبلغ يساوي حاليا ٦٤٠/١ من الجنيه الاسترليني. وفي المناسبات الخاصة كنا نحصل على روبية واحدة هديةً، ولكن كان ذلك يؤخذ بعين الاعتبار عند حساب مصروفنا حتمًا. ولذلك قامت أمي بزيادة مصروفنا لنتمكن من دفع الخمسة الروبيات أو العشرة التي وعدنا بها. أعتقد أن ذلك من أكبر أفضال أمي علينا. لقد منحتنا متعة المشاركة في العطاء. وبسبب هذه التجربة المبكرة تولدت فينا روح التضحية التي ستمكننا عندما نكبر أن نقوم بالتضحيات بكل سرور."

ولعظم الاستجابة بعد خطبة الخليفة الثاني لم يردّ مكتب الخليفة على رسالة طاهر إلا بعد مضي ١٨ شهرا، بأن الخليفة قد اطلع على رغبته في أن يهب حياته لله وأن الخليفة حتى حينه سيبقى على تواصل معه وطُلب منه حتى ذلك الوقت أن يملأ الاستمارة المرفقة ويعيدها إليهم.

"أتذكر التبدل الذي أحدثته الخطبة؛ فقد ساعدتني وساعدت الآخرين، على ما أظن، أن نكتسب سلوكا خاصا في الحياة وأن يكون تفكيرنا منفتحا وأن نكون جلدين وألا نخجل من أي عمل؛ لقد زرعنا أشجارا، ولكن عملنا التطوعي لم يكن دائما ممتعًا، فقد كنا ننظف مجاري الصرف الصحي وفي أيام الجلسة السنوية كنا ننظف القمامة وننقلها. كل ولد من أولاد أبي كان

يشترك في الأعمال المطلوبة من الجميع، و لم يكن هناك أي حساب للمكانة أو العلاقات الخاصة. وإنْ حدث وأغفل أحد ما كُلِّف به فقد كان يتعرض للضرب أو للطم من المسئول عنا، وقد تعرضتُ أيضا في بعض الأحيان لهذه الضربات. إن حدث وخرجتَ من الرتل أثناء نقل الأتربة مثلا أو ما شابه وأخذتَ بالضحك فقد تتعرض لصفعة على مؤخرة رأسك، وأي أحد قد يقوم بذلك وليس فقط المشرف. فلم يكن هناك أي تمييز بين الأولاد أثناء العمل؛ إذْ كانوا يعامَلون بالتساوي تماما."

وفي وقت لاحق من حياته قال طاهر وهو يتكلم عن سلوك أبيه تجاه الموسيقى والسينما: "كان يعتقد أنها مدعاة لعدم العفة بجعلها الناس أكثر تفلتا وتحررا ثم ليصبحوا مأخوذين بملذات مصطنعة، حتى إن الفقراء كلهم –الذين لن يبلغوا أبدا تلك المستويات– قد يتأثرون بشدة بها فيفقدوا السعادة تمامًا بسبب تطلعهم للوصول إلى تلك السوية من الترف والبذخ."

وفيما يتعلق بحظر دخول السينما علّق طاهر بقوله: "كنت أتمنى في ذلك العمر الذهاب ولكنه كان محظورا علينا فلم نذهب." ثم أضاف أيضا: "كنا قد ذهبنا سابقا، وأذكر أني شاهدت مع أبي فيلما لشارلي شابلين. فقرار أبي لم يكن دافعه الدين بحد ذاته وإنما فرضته حاجة الزمن والبلد أكثر من كونه دافعا دينيًا. فالإسلام دين مرن جدا ينوِّرك بالمبادئ ويطلب منك أن تتصرف بحكمتك الخاصة. لقد أقلقت أبي كثيرا تلك المغريات الجديدة وشعر أن الجماعة قد تنغمس أجيالها الشابة فيها لتصبح أقل جدّية في واجباتها الدينية. وهذا برأيي كان أحد الأسباب التي أجبرته على دعوة الجماعة إلى الامتناع عن هذه الأمور".

السبب الثاني كان ضرورة التوفير؛ فقد شرح قراره في العديد من الخطب بقوله أنهم جماعة فقيرة لديها مسئوليات جسيمة ولذلك وجب الحد من الترفيه وتوفير المال ليستخدم في خدمة الإسلام. وفي بيت الخليفة نفسه كان

هناك توفير صارم؛ فقد كان يصر على ألا يقدم له في الوجبة الواحدة إلا طبقٌ واحد فقط وكان ذلك يُعد كافيا؛ فتقديم ثلاثة أطباق أو أربعة لم يكن غير ضروري فحسب، بل كان إسرافًا.

من أعظم نبوءات المسيح الموعود التي أعلنها في شباط/فبراير ١٨٨٦ أنه سيأتي بعده المصلح الموعود الذي سوف يكمل بعض الأعمال التي بدأها المسيح الموعود وذلك بإصلاح بعض التنظيمات والممارسات بما يسرّع عجلة دخول العالم بالإسلام. في عام ١٩٣٧ كتب الخليفة الثاني: " إن المصلح الموعود يجب أن يكون أحد أبناء المسيح الموعود وليس شخصا سيظهر لاحقا. ولما تفكرت بهذه النبوءات فإن ٩٠ بالمئة منها يوافق ما تحقق في فترة خلافتي.. ليس ضروريا أن أدّعي ادعاءً كهذا.. ولكني أرى أن الله قد حقّق إلى حد بعيد من خلالي الهدف من هذه النبوءات". وفي مناسبات عديدة وبالنظر إلى هذه الانجازات، كان الأحمديون يحثّون الخليفة الثاني ليعلن أنه المصلح الموعود. ولكن لم يفعل حتى كانون الثاني/ يناير ١٩٤٤ حيث أعلن عندها أن الله أوحى إليه أنه هو المصلح الموعود. وأحد الأسباب الرئيسة لدعوتهم تلك كان نجاح العمل التبشيري لنشر الإسلام في العالم من خلال التحريك الجديد. وقال الخليفة الثاني: "لقد أوحى الله إليَّ حقيقة الأمر وبإمكاني التأكيد دون أي تردد أن نبوءة الله قد تحققت وإنه قد أسس نظاما من خلال التحريك الجديد." وقال إن الله أخبره بأنه الانعكاس الحقيقي للمسيح الموعود وبالتالي هو المصلح الموعود المنوط به إصلاح الأخطاء وسوء الفهم في الأديان الأخرى وخاصة المسيحية. ونتيجة لذلك فإن دولا في العالم سوف تفهم الإسلام الحقيقي "وتدخل في ملكوت الله ليصبح ملكوت الله على الأرض كما هو في السماء". وقال للأحمديين في خطابه الأول الموجه لمجلس الشورى في ذلك العام إن الله سوف يساعده بأن يجعل له من الصحب المخلصين وقال: "ولذلك فعليكم أن تحدثوا تغيرا عظيما في أنفسكم وتجهزوا

أنفسكم بسرعة لتضحيات عظيمة." وليعلن تحقق نبوءة المسيح الموعود أعلن الخليفة الثاني أنه سيعقد اجتماعات في المدن الخمسة المرتبطة بالمسيح الموعود، وقال بأن ذلك سيكون مناسبة للتعبير عن تقوى الله والاستقامة، ولن يكون احتفالا دنيويا ولذلك فليحضر المتضرعون لله والمستغفرون بكثرة الحامدون الذاكرون لربهم على الدوام. وقال:" إن الأولاد واليافعين والذين لا يستطيعون التحكم بأمزجتهم والذين يتململون بسرعة عندما يضطرون للجلوس صامتين فعليهم ألا يحضروا هذا الاجتماع." لقد التزم الأحمديون بشدة بهذا المنع من حضور الاجتماع الأول حتى اضطر أحد المعادين الأشداء للجماعة الإسلامية الأحمدية أن يكتب: "فبدا وكأن جمعًا من صحابة رسول الله يتأهبون لفتح مكة".

وكان طاهر من بينهم، وقد تشرف بوقوفه بجانب الخليفة الثاني في كل الاجتماعات إلا اجتماع لدهيانه. ويذكر طاهر أحاسيس الجماعة بالكلمات التالية:

"كان الجميع سعيدا ومبتهجًا ويشعر بالحماسة، وقد عمّ شعور بالاحتفال. كنت أشعر بذلك، وما كنت إلا نقطة في ذلك البحر، كما أني أذكر أن أمي كانت سعيدة جدًا وكانت تدعو ليظهر الله بعض العلامات للخليفة. وكانت سعيدة جدًا أن الله قد أوحى للخليفة أن ادّعاء الأحمديين بكونه المصلح الموعود لم يكن في غير محله."

لقد مرَّ أول اجتماعين أظهر فيهما الخليفة وحي الله بسلام، مع أن آلافا من الناس من عقائد مختلفة كانوا قد حضروا. وعندما حان وقت الاجتماع الثالث في دلهي في نيسان ١٩٤٤ كان المشايخ قد نظموا معارضةً. فقد اجتمع قرابة عشرة آلاف أحمدي في خيم مفتوحة في مكان واسع يُستخدم عادة للاجتماعات وكان بمساحة ٤٠ ملعب كرة قدم، ولكنهم كانوا قد

أحيطوا تماما بجموع أكبر مسلحة بالعصي والحجارة وكانت تهتف بموت الخليفة. ويقول طاهر:

"لم يفقد أبي تركيزه، بل تابع كلامه دون أن يعير الكثير من الانتباه لما كان يحدث خارجًا. ولكنه لمرة واحدة فقط قال للذين كانوا يقومون بعمل الحراسة: "اذهبوا وتأكدوا من عدم اقترابهم كثيرا بحيث يزعجون المستمعين". ولكن المعارضين فيما بعد ارتكبوا حماقةً بإلقاء الحجارة على مكان وجود النساء. وكان أبي غيورا جدًا على النساء، فما كان ليحتمل أي سوء أدب بحقهن مهما كانت النتائج. فأمر على الفور الحضور الذين كانوا جالسين بتأدب شديد بالرد على المهاجمين بأي شيء كان بين يديهم. فتحول الأحمديون إلى شيء مختلف تماما، وأذكر أني هرعت مباشرة مع غيري إلى الخارج. وبهذا التدفق المفاجئ من الناس المشحونين عاطفيًا انقلبت موازين المهاجمين ونكصوا على أعقابهم مع أنهم كانوا يفوقوننا عددا وأخذ بعضهم يسقط على بعض في موجة ذعرهم وهربهم لا يلوي أحد على شيء، وفرغت الساحة تماما في وقت وجيز."

كان طاهر قد اندفع أيضا للخارج ولكن قبل أن يصل إلى خط المهاجمين سُحب بقوة من الخلف وأعيد إلى خيمة الاجتماع. "لو كنت وحدي لاستطعت أن أحرر نفسي؛ وكان من أوقفني شاب يكبرني بثلاث أو أربع سنوات اسمه سيد إقبال رضا وكان طويلًا وقويا، وكان بإمكاني أن أتدبر أمره لأني كنت جيدا في المصارعة ولكن جاء آخرون وأمسكوا بي من الخلف وجروني جرًا إلى الخلف. ثم وضعوا من يراقبني ويمنعني من الذهاب. وقيل لي أن أساعد المجروحين وقد عزّاني ذلك بعض الشيء إذ كان بعضهم قد أوذوا بشدة."

فهل كان ذلك لأنه ابن الخليفة وما أراد الأحمديون أن يتأذى؟ أجاب طاهر على هذا التساؤل قائلا: "لا أعرف، ولكنهم قصدوني أنا بالذات، وأكاد لا أسامح "سيد"، وبقيت لسنوات عديدة أغتاظ بشدة كلما رأيته."

لم تكن مهارته بالمصارعة مبالغا بها.

"كنا نشكل فريقين، كل فريق بجانب، ثم تحدث المنازلات الفردية. كنت بارعا في أحكام القبض على الخصم بطريقة تعلمتها من لاعب ماهر، وكانت ضربة مقص طائرة تُوجَّه إلى ساقي الخصم. وكنت أتدرب عليها على كل فئات الناس عندما كنت صغيرا؛ على الأطفال الآخرين وعلى الأقارب الذين كانوا يأتون لزيارتنا. وكان بإمكاني إسقاط أقوى رجل. كان الأمر محرجا جدا لأمي وكثيرا ما كانت تضربني على ما كنت أفعل. كنت مطلوبا جدا كلاعب وفي إحدى المرات كنا نلعب في لقاء سنوي وكسرتُ ساق أحد الخصوم. لقد كنت مصدوما فقد رأيت العظم يتبارز للخارج ففررت. ولم أرغب في الخروج لعدة أيام خجلا مما فعلت ومما قد يظنه الناس بولد يكسر سيقان الآخرين. ثم قالت جدتي أنها ترغب في رؤيتي. فظننت أنها ستكون غاضبة مني بشدة وحاولت تجنب اللقاء، فأرسلت لي قائلة أنه ما من داعٍ لأشعر بالخجل فلم أرتكب جريمة. ولكنها نصحتني ألا ألعب مجددا المصارعة كي لا أكسر ساق أحدٍ آخر. وفيت بوعدي حتى جاء يوم وطلب مني بعض الصبية أن أنضم إلى فريقهم وقالوا إنهم بحاجة لمساعدتي لأنهم كانوا ينافسون فريقا قويًا. فالتحقت بفريقهم، وعلى أولِ رجُل طبقتُ ضربةَ المقص الطائرة كسرت ساقه أيضا. كنت في كرب شديد لما فعلت. وكان ذلك درسا من الله للوفاء بالوعد."

## الفصل الخامس

# لا احتكار للصلاح

في عام ١٩٤٤، عندما كان طاهر في السادسة عشر من عمره، وكان موشكا على دخول امتحان القبول للجماعة، توفيت والدته. كانت تعالج في مستشفى بلاهور لأكثر من ثلاثة شهور. مكث الخليفة معها معظم الوقت، وكذلك رافقتها بناتها. ولكن طاهرا بقي في قاديان بسبب امتحاناته، ولم يكن بوسعه زيارتها سوى خلال عطلات نهاية الأسبوع.

كان السير محمد ظفر الله خان صحابيا للمسيح الموعود، وشغل منصب أول وزير خارجية لباكستان، كما رأس الجمعية العامة في الأمم المتحدة، وشغل منصب رئيس محكمة العدل الدولية، وكان صديقا للأسرة. قال: "إن موتها غمر طاهرا في الأسى. ومنذ ذلك الوقت أصبح الحزن والألم ينعكس في شعره أيضا."

وقال ابن عمه مرزا مظفر أحمد: " كانت وفاة والدته، وهي في مقتبل شبابها، أكثر الذكريات أثرًا في ذاكرتي. كان موتها صدمة للعائلة وللجماعة كلها أيضا، فقد كانت تحظى بمودة واحترام كبيرين".

"لا أزال أتذكره عندما كان غلاما حدثا، يقف في غرفة تؤدي إلى المسجد المبارك وتُستخدم لمرور المصلين إليه. كان غارقا في الحزن العميق، منهمكا في ابتهال خاشع إلى الله تعالى. لم أستطع نسيان هذا المشهد المؤثر. وبعد ٤٦ عاما ما زال وقوفه ماثلا في ذاكرتي اليوم كما لو كان وقع بالأمس القريب. لابد أنه كان هناك شيء مفعم بالحساسية والإخلاص والخشوع جعل ذكرى هذا الألم لا يغادر ذاكرتي أبدا."

ومع أن دراسته سارت متثاقلة عموما، فإن طاهرا أصبح قارئا نهمًا، قرأ للكاتبين التقليديين في الأردية. كما قرأ أيضا ترجمات في الأردية لوليم شكسبير وتشارلز ديكتر وكونان دويل وغيرهم من الكتاب الإنجليز. ووجد كتاب (ثلاثة رجال في قارب) للكاتب جيروم جيروم كتابا هزليا صاخبا. كان هناك إدراك للثقافة الأوربية في البيت. قال: لم يكن غريبا عنا، لأن والدي كان متسامحا من بعض النواحي. لقد استخدم مربية أطفال ألمانية ثم أخرى إنجليزية لتعليم أخواتي، وأقامتا معنا في البيت. وهكذا منذ طفولتي عرفت الأساليب الألمانية والإنجليزية، وكيف ينظرون إلى الأشياء. ثم أصبحت الحياة والفكاهة الإنجليزية مألوفة لي بعد قراءاتي الكثيرة في الكتب الإنجليزية".

بدأ طاهر كتابة الشعر. كان في بادىء الأمر يحتفظ لنفسه بما يكتبه. وقليل من الشعراء الأحداث من يحب عرض أفكارهم للنقد على الآباء والإخوة والأخوات. ولكن لما عُرف الأمر في العائلة كان يُطلب منه قراءة شعره عليهم.

قال طاهر: "كان الأمر محزنا ومزعجا للغاية، ولكني كنت مندهشا لرؤية بعض أفراد الأسرة يبكي. وبعدها ألفوا أن يقولوا لي: تعال، واقرأ لنا بعض شعرك. كان منه ما هو مرح سعيد، وأحيانا فكاهي، ومنه ما كان حزينا جدا. ولم يبدُ أنني أكتب شيئا وسطا بينهما أبدا".

تولت خالتاه دور الأم بعد وفاة أمه، وكان طاهر يحمل لهما حبا عظيما. وأشرف والده على تنشئته بأسلوب أقرب إلى الصرامة. "كان صارما في بعض النواحي، ومتساهلا في نواحيَ أخر. كان مُشوِّقا لأنه مزيج من الصرامة والتساهل. كان والدي يفهم نقاط ضعفي البشري، ولذلك لم يشأ أن توضع أخطاؤنا أمامه. كان يعطينا الوقت والفرصة ويحملنا على الفهم. أما إذا طفا الضعف على السطح فإنه كان ينصحنا ويعظنا من دون ذكر اسم المخطىء كان يقول إن كيت وكيت من الأشياء خطأ، وينبغي تجنبها.

إذا ضبط أحدا يفعل شيئا فإنه كان يعاقبه بحزم. كانت قوانينه صارمة جدا. ولم يكن يتساهل في أقل هفوة فيما يتعلق بالمسائل المالية، فقد كان عليه، وهو الخليفة، أن يربي جماعته على نظام من التضحية المالية الاختيارية تماما. ولذلك لم يكن من المستطاع أن يتسامح مع أولئك الذين يتصرفون بتراخ أو يتخطون الحدود والقواعد.

وكان صارما على وجه الخصوص مع أسرته. وأذكر مرة أني كتبت إلى شخص في (كلكتا) ليشتري شيئا ويرسله إلي. فشكَّ حضرته في الأمر وسألني: هل طلبت منه ذلك؟ هل دفعت له؟ هل أهداه لك؟ قلت: إنه أعطاه لي هدية، لكني رفضت، ودفعت جزءًا من الثمن ولا أزال أدفع. فاشتد غضبه وقال: إن الهدايا تُقدَّم عن طوع، ولا يمكن أن تطلب. إذا طلبت شيئا فلا بد وأن تدفع على الفور وإلا أثقلت على مَن تطلب منه مساعدتك."

كان الخليفة عندما يود إبراز نقطة معينة يشير إلى المهدي والمسيح الموعود، ولم يشر إليه قط بأنه جدهم، وإنما كان يذكره بوصفه مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية. وفي إحدى المرات لمح طاهرا يغادر البيت حاسر الرأس، ويُعد كشف الرأس أمام المسئولين وذوي السلطة في بلاد الغرب علامة احترام، ولكنهم في بلاد الشرق يعدون تغطية الرأس هي دلالة على الاحترام، لذلك استدعاه الخليفة وقال له: اسمع! لم يكن مؤسس الجماعة ليرضى عن خروجك إلى الطرق هكذا، فأرجو ألا تخرج حاسر الرأس أبدا في المستقبل.

وكان الخليفة يصر على العادات والتقاليد الإسلامية، مثل وضع النعل في القدم الأيمن أولا، ويراها من الضرورات العظمى في تربيته أولاده. كان يوصيهم بألا يحاولوا حصر التقوى والأعمال الصالحة والقيم الأخلاقية في التعامل مع المسلمين وحدهم واستبعاد أتباع الديانات الأخرى، وأنه ليس من ميزات المسلم الصالح أن يتحاشى جاره لأنه هندوسي أو سيخي مثلا. وكان

الخليفة يعرف بأمر ذلك الجسر الذي أقامه طاهر وأخواته مع جيرانهم من أطفال الهندوس ليصل بين البيتين. ولقد وافق عليه.

وفي المناسبات التي كان يحضر فيها أعضاء من طائفة "آرياسماج" الهندوسية المتشددة إلى قاديان ليعقدوا مؤتمرا لهم، كانوا يتبجحون بأنهم سيدمرون الجماعة الأحمدية ومن فيها، "علَّمنا ألا نعارض المعتقدات الدينية الأخرى بالجدال، وإنما بالتمسك المخلص بما يكون هناك من خلافات في الرأي. لم يكن مسموحا لنا تحويل اختلاف الرأي إلى عداوة وبغضاء في حياتنا اليومية."

و لم يكن لدى طاهر أي شك في صحة المنطق الإسلامي، ولكنه كان يمر وقتئذ في مرحلة من الشك في وجود الله. "كنت متأكدا من أن وجود الله ممكن من الناحية النظرية، ولكن.. ألا يزال موجودا؟"

## الفصل السادس

# هل اللّه موجود؟

يُعدُّ حفظ القرآن من أعمال التقوى في الإسلام. وكثيرون يبدأون هذه المهمة لكن القليلين يكملونها، فالقرآن مؤلف من ١١٤ سورة و٦٦٦٦ آية، ولذلك تكون المهمة شاقة. ويَعدُّ معظم المسلمين اليوم أن مجرد حفظ القرآن لا يكفي؛ فالمهم فهم كلام الله.

كان يفترض بطاهر أن يحفظ القرآن، ولكن منذ البداية بدا أن هذه المهمة لن تكتمل أبدا؛ فالذي كان يهم طاهر أكثر هو معاني كلمات القرآن؛ فقد كان يسأل أساتذته وإخوته والخليفة. وقد اعتاد على دراسة القرآن بعمق، واستمر على ذلك طول حياته.

كان يدرس كل يوم جزءا من القرآن، وكان يدرس أيضا تعاليم رسول الله من سنّة وحديث. وكان بالطبع يصلي الصلوات الخمس، وكان يصلي في عزلة في غرفته أيضا كما أمر الإسلام. لقد كانت الصلاة جزءا أساسيا من حياة كل أبناء الخليفة.

في إحدى المرات كان الخليفة عائدا مع عائلته إلى قاديان بالسيارة، فاكتشف أن مؤشر الوقود فيها يشير إلى الصفر؛ لقد نسوا أن يملأوا خزانها. في ذلك الوقت كانوا قد بلغوا منتصف طريق العودة ولا يوجد محطات للوقود حتى بلوغ قاديان، فقال "ادعوا كي نصل قاديان، فإن وصلنا فسوف أعطي من يُفْلِح غالونين من الوقود وأسمح له باستخدام السيارة". ربما قيل ذلك بين جد وهزل فلم يفعل إخوته وأخواته شيئا، لكن السيارة وصلت إلى قاديان فقفز طاهر قائلا: " لقد دعوت، كنت أدعو منذ أن طلبت".

وفّى الخليفة بوعده فحصل طاهر على السيارة وغالوني وقود للذهاب في نزهة.

ومع بلوغه الرابعة عشرة من عمره بدأت الشكوك تظهر؛ لقد كان مهتما بالدراسات العلمية ومع ذلك كان ترتيبه في معظم صفوفه مع المتأخرين حتى في مادة العلوم. ولكنه كان قد بدأ بإجراء تجاربه العلمية الخاصة به ولكن لم يكن لها أية علاقة بالمنهاج المدرسي.

كان أيضا قد استكشف مكتبة أبيه، وفيها كتب عن نظرية دارون في التطور وبعض المراجع عن علم الحياة وأعمال فرويد. "لم أكن أبلغ من العمر ما يكفي لفهم كل ما في هذه الكتب ولكن كان لها على تفكيري تأثير عام، تأثير غامض ضبابي؛ فبدأت أتساءل: هل الله موجود؟"

كان في كثير من الليالي ينام والكتاب بيده، وربما تكون هذه القراءة المستمرة هي السبب في الصداع الشديد الذي أصبح يعاني منه.

لم يكن عنده أية شكوك في حقانية الإسلام مقابل الأديان الأخرى. "لقد كنت مقتنعا تماما بمنطقيته. وفيما يتعلق بتعاليم الجماعة الأحمدية لم يساورني الشك قط، لم أشك قط أنها تمثل الإسلام الحقيقي، ولم يساورني في ذلك شكٌ في حياتي".

ويذكرُ أن ما أحدث اضطرابا لديه إدراكه أن الإسلام أساسُ بنائِه الإيمان بالله، وإن لم يكن هناك أساس فلا يكون الدين إلا مناقشة نظرية أو جهد عقلي لا غير. وقيم المقارنة لا يمكن أن تكون إلا قيم مقارنة.

"لقد كان هذا أول سؤال واجهته في هذه المرحلة من حياتي، وإدراكي أني كنت بالواقع أطرح مسألة وجود الله هزت كياني، لقد تملكني على ما أظن رعبٌ بطريقة ما... أردت أن أكون متيقنًا ولا يمكنني التيقن بقراءة الكتب فقط، لقد أردت طريقة مباشرة."

فبدأ يتحرى إمكانيات وجود الله وفق أسس المنطق. "أظن أني منطقي بطبيعتي –إنه جزء من تكويني– فدرست مسألة إمكانية وجود الله. وببحثي بدأت أدرك أن هناك فارقًا بين درجات الوعي المختلفة، تمامًا كالفارق بين وعي الكائنات الدنيا إذا ما قورنت بوعي الإنسان. وللتبسيط فلنقل إن الإنسان يعي وجود نملة ولكن النملة لا تعي وجود الإنسان. فإن كان هناك فارق وبُعد بين النملة والإنسان فلا بد أن يكون هناك بُعد أعظم بين الإنسان والله. فحللت مسألتي الأولى بسهولة."

وبعد أن عرف طاهر محدوديته عاد إلى الدعاء المباشر. "لقد كانت المرحلة الأكثر شدّة في حياتي وقد عانيت فيها. لقد كان تحديًا أن تؤمن بشيء وأن تبني كل فلسفة حياتك على هذا الشيء، الذي هو شديد الانفلات من حيث وجوده الملموس، وقد سبب لي ذلك اضطرابًا وقد عانيت بشدة. لقد كنت على يقين أن الله يمكن أن يكون موجودا من الناحية النظرية، ولكن ألا يزال موجودا؟ وإن كان موجودا، فهل سيظهر نفسه لي؟"

كان يذهب أحيانا إلى المسجد ويصلى منفردًا لساعات. وأحيانا أخرى يصلى في غرفته طول الليل.

"كنت أدعو الله: إن كنتَ موجودا فإني عنك باحث. أعلمني بوجودك وإلا ضللت ولا أُلام. فكّرتُ أنني قد أؤاخذ، وسوف أدعو، ولكني أظن أنه لا يجب أن أؤاخذ".

ثم بعد ظهر أحد الأيام، مر بتجربة حلت له نهائيا مسألة وجود الله. يقول إن هذه التجربة لا يمكن أن يُنظر إليها على أنها دليل موضوعي قوي على وجود الله، ولكنه كان على يقين أنها جواب الله.

"كنت بنصف وعيي بين الحلم واليقظة، فرأيت الأرض كلها تتقلص لتصبح كرة، ولم يكن هناك أي خلق مرئي؛ لا حياة ولا مدن، لا شيء سوى الأرض. ثم رأيت كل جزء من العالم يرتعد ويهزج: **ربنا!** وكل جزء

كان يعلن عن سبب وجوده. غُمِر كل العالم بنور عجيب وكل ذرة من الأرض بدأت تَكْبُرُ وتتقلص بإيقاع فوجدت نفسي أكرر عبارة **(ربَّنا)**."

وبعد أن عاد إلى وعيه الكامل كان لا يزال بإمكانه رؤية ذلك يحدث، وبعد ذلك لم يعد لديه أية شكوك.

في أيار/ مايو ١٩٩٠ أعطى عالمٌ في الفيزياء الكونية وصفا بحسب رأيه عن كيفية بدء العالم وكان ذلك يشبه بشكل غريب تجربة طاهر.

لا يظن أن كل واحد سوف يكون له تجربة باطنية مماثلة لإثبات وجود الله؛ "إن الله يظهر نفسه للناس بحسب قدراتهم على معرفته. إن الله واسع وإن سَوِيَّة حدود المرء هي التي تحدد كيفية تعرفه على الله."

وعندما أصبح لاحقا خليفة علق قائلا: "إن القرآن الكريم ينصح المؤمنين بالإضافة إلى الصلوات الاعتيادية أن يذكروا الله آناء الليل وآناء النهار وأن يذكروه في تجاربهم اليومية من معاناة وحزن. إن هذا هو المجال الذي كان الأكثر فعالية بالنسبة إليّ لأني تعلمت أن أدعو في أوقات الشدة والرخاء.

لقد كان لأبي الدور في وضعي على هذا الطريق، فقد كان مع كونه رأس الجماعة والناس يلجأون إليه طلبا للدعاء يطلب في أوقات الشدة من أولاده أن يدعوا من أجله ومن أجل الجماعة."

لقد كان لطاهر أن يجرب أدلة أخرى على وجود الله كون الله أصبح الآن يستجيب لدعائه.

"حتى عندما كنت طفلًا كنت أدعو وأرى أدعيتي تستجاب. كنت أظن أن ذلك ظاهرة نفسية لكن بعد أن أريتُ دليل وجود الله فإن نسبة استجابة أدعيتي أصبح بارزا لدرجة لا يمكن إغفاله؛ وليس للصدفة أي دور في تحققها. إن هذه الأدلة الداعمة ظلت تزداد قوة على مر حياتي وفي النهاية عشت الوحي المباشر من الله."

## الفصل السابع

# مكان يُدعى ربوة

في ١٥-٨-١٩٤٥ م دخل الملك جورج السادس إمبراطور الهند إلى قصر ويستمنستر ليفتتح الجلسة الجديدة لـ "مجلس البرلمان" Houses of Parliament. وكان حزب العمال الإشتراكي قد جاء إلى السلطة بأغلبية ساحقة وشكل حكومة جديدة. وكانت الكلمة الملكية التي ألقاها أمام أعضاء مجلس اللوردات ومجلس العموم باسم الحكومة الجديدة لأن الملك دستوريا فوق السياسة ولا رأي له. وكانت سياسة حزب العمال أن على جميع شعوب الإمبراطورية أن تنظم نفسها في أمم مستقلة.

وقال الملك: "إن حكومتي وبناء على الوعود السابقة للشعوب الهندية سوف تعمل جاهدة بالتعاون مع أصحاب الرأي من الهنود على تعجيل إقامة حكومة مستقلة تماما في الهند".

ولاحقا كتب ظفر الله خان: "لقد تحقق هذا الوعد في ١٥-٨-١٩٤٧ تحققا مأساويًا."

وقد ناضل "إيرل ماونتباتن" آخرُ والٍ على الهند لإبقاء شبه القارة كيانا سياسيًا موحدًا، ولكن التاريخ كان ضده. لقد تعايشت ثقافتا شبه القارة، مسلمون وهندوس، ثمانية قرون، وبالطبع كان هناك تأثير متبادل ولكن لم يكن هناك اختلاط واسع المدى، وبالتأكيد لم يكن هناك ذوبانٌ يحدث اندماجا. ويقال إن أحد أسباب ذلك أنه لم يكن هناك نقاط مشتركة بين الدينين وبين فروعهما. فقال المراقبون أن المسلمين والهندوس لم يشكلوا مجتمعين بل كانوا أمتين. وظن المسلمون أنهم في هند موحدة لن يظلوا أقلية فحسب بل سيكونون أقلية مضطهدة. بدأ تقسيم الهند؛ فالناس الذين عاشوا

لسنوات جيرانا دون نيّات سيئة بدأوا فجأة يتباغضون، و لم يكن أحد بمأمن، وبدأ الجميع في كل مكان بالتسلح. وكان طاهر عضوا في حركة الشباب الأحمدي المعروفة بخدام الأحمدية، وكانوا قد نُظِّموا بمجموعات وكتائب لحماية قاديان، وجاء سبعون ألف مسلم من القرى المجاورة، وأصبحوا محاطين بالمعادين من السيخ والهندوس.

يقول طاهر: "كنا نعرف منذ الطفولة كيف نطلق النار، وكنا معتادين على العمل المنظم وتلقي الأوامر ولذلك كنا قادرين على تنظيم أنفسنا على الفور. لم يكن هناك رتبٌ إنما قيل لنا: "فلان رئيسكم!". وبوقت قصير أرسل عدد من الجنود النظاميين إلى منطقتنا وتسلم كل واحد منهم قيادة منطقة معينة وقام بتعيين عدد من الضباط وطُلب منا طاعة أوامر شخص معين وكان دائما ممن نعرف، بينما كنا نجهل الآخرين. كان ذلك نظاما مصونا جدًا؛ فإن قبض على أحد وسُئل فلن يعرف من القائد في المنطقة ولن يعرف كيف تدار التنظيمات الأخرى. لم يكن هناك رتبٌ، وكل ما كنا نعرف هو من طُلب منا أن نطيعه."

إن مهارة طاهر في الرياضة والرماية جعلت من الطبيعي أن يُعين ضابطا مسئولا عن إحدى الوحدات غير النظامية. وطلب منه حماية مركز قاديان من أي هجوم.

"لقد كان تعيينا مهما للغاية، لكنه لم يرضني. ظننت ولا زلت أظن أنه صُمم لابقائي بعيدا عن المشاكل. ولا أقصد المشاكل بمعنى الخطر الشخصي إنما لأني كنت شابًا وقد أحدث مواجهة بدل تجنبها. ولذلك وضعوا أشخاصا آخرين –أكبر عمرًا– في المناطق المحيطة حيث احتمالية حدوث المشاكل أكبر وأبقوني في المركز. لم يعجبني ذلك على الإطلاق، ولذلك لم يتسن لي أن أشترك في أي عمل."

ولكنه اشترك في بعض الإنذارات والطلعات العسكرية. وعني بأسلحة المسلمين التي جمعها في قاديان.

"كان لكل منها رخصته الفردية، فكان ذلك يجانب قليلا القانون الصارم ولكن الهدف كان إخراج هذه الأسلحة فجأة ثم أن تخبأ بسرعة أيضا إن حدث خطر الهجوم. وكان عدد قليل من الناس يعرف مكان احتفاظنا بها. إذن كانت هذه إحدى مهامي. مرةً، عندما وصلتنا مجموعة كبيرة من الأسلحة الإضافية، حُفرت حفرة كبيرة في أرض بيتي ووضعت الأسلحة فيها ثم طمرت وسويت الأرض. وطلب مني أن لا ألمسها وأن أنساها حتى أتلقى أمرا، فأقفلت الغرفة وذهب الرجال. عندما فكرت أولا بمخبأ سألت كل الرجال الذين كانوا معي أن يقترحوا علي مكانا لتوضع به الأسلحة دون أن تكشف، فاقترحوا الكثير من الأماكن وعندما انتهوا قلت: "حسنا، لنبحث الآن عن مكان لم يُذكر". المكان الذي لم يذكر كان المدخنة. فأمرت أن تشعل فيها النار ليل نهار، ولكن قبل ذلك فتحنا المدخنة ووضعنا فيها رفوفًا ليسهل وضع الأسلحة فيها. وبعد فترة بدا أن السماء ستمطر فأرسلت متطوعا إلى السطح ليغلق منافذ المدخنة كي لا يفسد المطر البندقيات. وعندما كان على السطح رأيت امرأة سيخيّة تراقبه فأقلقني ذلك، فأنزلت على الفور كل الأسلحة وأخذتها إلى بيت مَن ستصبح حماتي. ولأني كنت مضطرا للعودة بأسرع وقت إلى موقعي تركت البندقيات على سرير بشكل شبه مكشوف. وفي اليوم التالي خرجت مبكرا لأجد جنودا من الجيش الهندي في كل مكان. كانت هناك فرقتان قاسيتان —المرهاتيون والدوجراس– ولسوء الحظ كان فيهما العديد من الجنود المناوئين للمسلمين؛ فأعلنوا أنهم سيفتشون كل البيوت بحثا عن أسلحة. وبالطبع كان بيتنا من أول البيوت التي بدأوا بتفتيشها.

كنت عندها قلقا من أمور ثلاثة؛ وجود الأسلحة تحت الأرض، ورفوف البنادق في المداخن- وكنت خائفا أن نكون عن عجل نسينا شيئا منها هناك- وكان في غرفتي عدد كبير من الذخائر المتنوعة من عيارات خفيفة إلى أثقل. اتجه الجنود مباشرة إلى الغرفة التي دفنت فيها الأسلحة وبدأوا بالحفر ولكن الأسلحة كانت قد اختفت! قيل لي فيما بعد أنه مست الحاجة إلى الأسلحة في مكان آخر فجاءوا وأخرجوها عندما كنت بعيدا وبحوزتي الأسلحة الأخرى. عندما دفنت للمرة الأولى سمع جار هندوسي صوت الحفر وبلغ الجيش. بعد ذلك توجه الجنود مباشرة إلى المدخنة وقد كانت المرأة السيخية أخبرتهم أننا فعلنا شيئا بالمدخنة، فأنزلوا فيها جنديا من أعلاها إلى أسفلها ولكن لم يكن فيها شيء سوى عبوة واحدة تحوي ٢٥ رصاصة. ولما كان مرخص لنا فكان يحق لنا امتلاكها؛ وأُقِرُّ بأنه مكان غريب جدا للاحتفاظ بها. ثم ذهبوا إلى غرفتي حيث توجد عبوات الذخائر في مكتبي. تناول أحد الجنود عبوة وهزها وقال: "رصاص، رصاص لا غير!" وأغلق الجارور. لقد كانت هذه المحنة الحقيقية الوحيدة التي واجهتها شخصيا في قاديان. ولم تهاجَم المدينة قط مع أنها حوصرت من قبل لصوص السيخ."

وقد كتب طاهر رسالة لإحدى عماته في ذلك الزمن معبرًا عن مشاعره ومشاعر صحبه قال فيها أنهم لم يكونوا مستعدين للموت فقط بل لم يكونوا يهابوه، ولم يكونوا ليشفقوا على أنفسهم لأنهم لم يشعروا أنهم يقومون بتضحية. ولم يشعروا بأي ألم حتى لفكرة عدم رؤية أعزائهم مرة أخرى.

وأضاف أنه كل بضعة أسابيع تقريبًا كان يُسحب عدد منهم ليُرسلوا إلى باكستان، والذين أمروا بالرحيل كانوا يبكون طول الليل لمجرد فكرة الرحيل.

" لقد عبرت عن رأيي بشكل صريح وعلني إلى درجة أن عمتي أخذت نسخة من رسالتي وأعطتها لناشر الجريدة الأحمدية اليومية، "الفضل"، لظنها أن الناس سيهتمون لما قد يفكر به فتى في السابعة عشرة أو الثامنة عشرة من

عمره في ذلك الوقت. ولكنه رفض نشرها لأنها كانت جريئة جدًا. وبعد سنوات عديدة عندما نسيتُها أخرجتها لي من صندوق وجعلتني أقرأها مجددا. فدهشت مما كنت قد كتبت."

لقد كان للرسالة عواقب غير متوقعة على طاهر؛ فقد قرأها الخليفة الثاني وأصابه قلق كبير. "لقد كان يعرفني جيدا، فظن أني سأعرض نفسي للقتل عن سبق الإصرار، فبعد شهر تقريبا كنت على قائمة المأمورين بالرحيل من قاديان إلى لاهور. وأذكر أني تألمت كثيرا على مدار يومين أو ثلاثة أيام. لقد ظننت أن رؤسائي لاحظوا فيَّ ضعفا وأني أعاقَب على ذلك أو أني أُزحت لأني لم أكن قادرا على القيام بما كانوا يريدونه مني. لقد كانت تجربة مريرة لي."

لقد ساهم تنظيم الشباب الأحمدي في مقاومة مُحكمة أنقذوا فيها حياة العديد من المسلمين، وكان ذلك يعود إلى بصيرة الخليفة الثاني. لقد أبيد مسلمو العديد من قرى البنجاب. هوجمت القوافل وسلبت وذبح دون رحمة كل من وقع بأيديهم، لكن الدوريات الأحمدية لثلاثين ميلًا بمحيط قاديان أبقت الإرهابيين بعيدين عن القرى التي كانت تحت حمايتهم، كما أنهم لم يجوعوا. وقد أسكنتْ قاديان التي تتسع عادة لـــ ٢٠ ألف نسمة أكثر من ٨٠ ألف لاجئ. "فبدل أن يطلب أبي قمحا ليكفي فقط لجلسة سنوية واحدة كان قد طلب ما يكفي لجلستين أو ثلاث جلسات. لقد علم أن اللاجئين سيتدفقون وأن الطعام سيكون شحيحا. ونتيجة لذلك ما طال أن بدأت شاحنات محملة بالقمح تغادر قاديان إلى المدن الرئيسة مثل أمريتسار بدل أن يحدث العكس. وقد كتبت الجرائد الإسلامية بصدق عن هذه المساعدة التي قدمتها الجماعة الأحمدية؛ فقالوا بأنه لم تكن المدن الكبرى هي التي ساعدت رعاياها المسلمين بل قام بذلك من دعوهم في الماضي كفارًا. فمرت علينا

أيام لم ننم فيها إلا قليلا. كنا نعمل ليل نهار في تحميل الشاحنات ثم الذهاب إلى الحراسة."

وعلى أية حال وفي آب/ أغسطس ١٩٤٧ واجهت الجماعة أزمة غير متوقعة: وقعت المنطقة بأكملها داخل الأراضي التي خصصت للهند. وبعد تفكير عميق أمر الخليفة بالاخلاء. بالطبع لقد كانت قاديان التي ولد فيها المسيح الموعود وعاش فيها ووري فيها الثرى بلدة مقدسة عند الأحمديين كلهم، ولكن مستقبلَهم في باكستان البلد الذي ساهموا في إنشائه.

وقد وعد الخليفة في أحد الأيام أن الجماعة ستعود إلى قاديان.

وفي ٣١-٨-١٩٤٧ أُغلقت المساجد والمدارس والمكاتب والبيوت الخاصة واندفعت خارج قاديان قافلة من الشاحنات تحميها وحدات من الجيش. أخذوا معهم كل ما يمكن أخذه، وذهبت بهم القافلة التي كانت باستمرار تحت تهديد السيخ إلى لاهور وإلى البلد الجديد: باكستان. وبقي ٣١٣ أحمديا لرعاية أملاك الجماعة حتى يتمكنوا من العودة مجددا، وهذا العدد هو ذاته عدد أصحاب محمد رسول الله في معركة بدر.

وفي باكستان انتشر أفراد الجماعة ليبدأوا حياة جديدة، وكانت مهاراتهم وثقافتهم مطلوبة بشدة في بلدهم الجديد.

كان الخليفة قد تنبأ أنهم سيضطرون لمغادرة قاديان، ونُشر إلهامه في جريدة الفضل التابعة للجماعة في كانون الأول/ديسمبر عام ١٩٤١ ولكنه كان على يقين أيضا من العودة. وحتى العودة سيقيمون في مدينة جديدة تقع في منطقة خضراء ممتعة فيها العديد من الأشجار والينابيع المتلألئة وتنتشر فيها الروابي. ولم تكن الأرض التي اشترتها الجماعة من الحكومة على الضفة الغربية لنهر شِناب التي بلغت مساحتها ١٠٣٤ هكتارًا تطابق إلهام الخليفة الثاني؛ فلا أشجار ولا ماء وتربتها مالحة وبدا أن سكانها الوحيدين الأفاعي والعقارب

والذئاب والضباع. وقد وصف أحد الكاتبين الأحمديين حالتها الأصلية بـــ"البرية العاوية".

كان هذا الوادي يبعد ستة أميال عن مدينة شنيوت على الطريق الممتد من لاهور إلى سرغودها، وكان طوله نحو ثلاثة أميال وعرضه ميلا. وفي الشمال كان محاطا بجبل أسود غِربيب.

ولكن كان هناك بعض الميزات؛ فنهر شناب المتدفق عبر الوادي وسكة الحديد من لاهور إلى سرغودها التي شطرت الأرض التي اشتروها كانا يعِدان بسهولة المواصلات في المستقبل القريب. والأهم من كل شيء أنهم هنا سيتركون بحالهم. وقال الخليفة: "لقد فضلنا هذه البرية على المدن لننبه الناس إلى واجباتهم ولننظمهم ولتزودهم بالثقافة والتدريب الأخلاقي."

سيكون هذا الوادي، الذي يقع على ارتفاع ٦٠٠ قدم فوق سطح البحر ويرتفع قرابة ٢٠ قدما عن السهول المجاورة، مأواهم؛ تماما كما وصف القرآن إيواء الله مريمَ وعيسى:

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (المؤمنون: ٥١)

وفي العربية يسمى المكان المرتفع من الأرض ربوةً؛ فقرر الخليفة أن يكون ذلك هو اسم مدينتهم الجديدة. عندما رأى الوادي للمرة الأولى فيما سبق قال: "مكان المأوى الذي رأيت في مناماتي يشبه هذا من نواح عديدة؛ فتنتشر فيه على سبيل المثال الروابي ولكنه مقفر بينما كان المكان الذي رأيت مخضرا معشبًا؛ فربما سيصبح هذا المكان كذلك بجهودنا."

أُقرت مخططات المدينة الجديدة ووصل أول الأحمديين إلى الموقع في ١٩-٩-١٩٤٨م. كان عليهم نصب الخيم التي ستؤمن سكنا مؤقتا للمتطوعين الذين سيبنون المدينة، ومن بينهم كان طاهر.

بُنيت أول المباني بلَبِن محلي الصنع وشُريت الأبواب والنوافذ من أماكن كانت قد هُدمت. وبدأت مباني غير مميزة من لبنات طينية صغيرة تملأ المواقع السكنية الـ ٣٠٠٠ المخصصة بحسب مخطط المدينة. لم تكن الحياة سهلة؛ خُصص لكل عائلة فراشين ومصباح ودلو للاستخدام المترلي. الإمداد بالماء كان بحده الأدنى. قال الجيولوجيون بوجود الماء تحت الأرض ولكن لم يُعثر عليه. وحُفر أول بئر بنجاح بعد سبعة أشهر في أبريل/نيسان ١٩٤٩.

ولرفع معنويات الجماعة وضعت مكبرات الصوت ليتمكن كل من يعمل في ربوة من سماع الرسائل المذاعة. وفي إحدى الليالي بينما الخليفة في مترله دوى مكبر الصوت فسُمع صوت شاب يلقي قصيدة مثيرة، ذكر فيها أن عملهم يُجزى وأن النجاح بات بقبضتهم. وحضت القصيدة كل أحمدي على بذل المزيد من الجهد.

خرج الخليفة من مترله ليسمع بشكل أفضل ووقف عند السور المحيط بالحديقة وقال: "ذاك نوع القصائد التي نحتاجها في مثل هذا الوقت، تُراه من يكون؟" فحدقت زوجته به وقالت: "ألم تتعرف على صوته؟ إنه طاهر".

فنشج الخليفة غاصّا بالبكاء ودخل دون أن يزيد شيئا. بالنسبة لمراقب عادي قد يبدو أنه انزعج لثنائه العارض على طاهر. وبطريقة ما كان هذا صحيحًا؛ لقد كان يعرف السر الذي إئتمنت عليه أم طاهر صديقتها. وطاهر لم يكن يشك في الحب العظيم الذي كان أبوه يكنه لكل أولاده بمن فيهم هو وقال: "ولكنه كان دائما يحاول إبقاء عواطفه تحت السيطرة."

## الفصل الثامن

# فترة فاصلة في لندن

في عام ١٩٥٤م، بدأ المأوى ذو الوديان الخضراء والينابيع الجارية الذي رآه الخليفة في رؤياه يصبح حقيقة. لقد أصبحت ربوة الآن مدينة من ٤٥ ألف نسمة ويزداد هذا العدد ليفوق ٢٥٠ ألفا في الجلسة السنوية في شهر كانون الأول/ديسمبر. واستُبدلت الممرات المحفرة بالشوارع الواسعة المرصوفة، وتحولت أبنية اللبن الصغيرة إلى أبنية قرميدية عامرة. وفي وسط المدينة انتصب ببياضه الناصع المسجد المبارك الذي كان يتسع لخمسة آلاف مصل.

في هذا المكان، بعد ظهيرة يوم من أيام شهر آذار/مارس ١٩٥٤ عندما كان الخليفة الثاني يؤم الصلاة، تقدم من الصف الأول شاب وطعنه بسكين حاد في عنقه. ثُبِّت مهاجمه على الفور، وتمكن الخليفة بمساعدة آخرين من الانسحاب إلى مقره وقطعة قماش قطنية ترقئ نزفه. إن الجرح الذي تسبب به من حاول اغتياله –وحُكم عليه بسجن طويل الأمد– كان عميقا ومؤلما. ومع أن الجرح بحد ذاته برئ بسرعة لكنه ترك أثرًا خطيرًا على أعصابه. لقد بلغ من العمر ٦٥ سنة، ومن قبل لم يكن بحالة صحية قوية، فوجد نفسه الآن غير قادر على العمل لمدد طويلة. وبعد سنتين تقريبا تقرر استشارة المختصين في لندن، واختير طاهر مع من ذهب معه من العائلة. كان الخليفة قد وهب كل أولاده إلى الجماعة. وبدأ طاهر الذي ترك الجامعة دون شهادة بالعمل في أدنى مستويات "خدام الأحمدية"، وسرعان ما أثبت أنه ليس مديرا جيدًا فحسب بل هو عامل كادح.

يقول أحد أصدقائه: "كان طاهر يتردد إلى بيتنا وكان مُرحّبا به فقد كان كثير الأسفار لشئون الجماعة. كان لديه إخلاص في عمله وطاقة لا تنفد، وكان يسافر خفيفا وكثيرا ما أتى وهو يقود سيارته بينما سائقه في المقعد الخلفي. وكثيرا ما حدث أن أتى متأخرا بالليل والعائلة نائمة ثم سافر مع الفجر قبل أن يحظى أحد بلقائه."

قرر الخليفة أن يذهب طاهر مباشرة إلى لندن وأن ينتظره هناك بينما يغتنم هو الفرصة ويزور أفراد الجماعة في سويسرا وألمانيا والبلدان الأخرى في طريقه.

كان تقرير المختصين في لندن غير مشجع؛ لقد انكسر رأس السكين واستقر في الوريد الوداجي ومحاولة استخراجه كان خطرا للغاية. فعليه أن يريح نفسه أكثر أملا أن تتحسن صحته مع الزمن ولكنه لن يستطيع العمل لساعات طوال كما كان يفعل بالماضي.

قرر الخليفة أن يعود إلى مقره في ربوة وترك طاهرا الذي بلغ من العمر ٢٦ سنة خلفه في لندن مع أن النية كانت أن يعود مع أبيه إلى باكستان لكنه رسم له مخططات جديدة.

ويقول طاهر: "إن رداءة خلفيتي التعليمية جعلت قبولي في جامعة لندن بالطريقة الاعتيادية محالًا، ولكن لحسن الحظ أن أبي كان يعرف السير رالف تورنر الذي كان مدير مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية. فتجاوز شروط القبول وقبلني. إذن هكذا أصبحت طالبا في جامعة لندن. لكن للأسف لم تتغير عاداتي؛ فبدل أن أتعلم ما يجب أن أتعلمه بدأت ألتقي بالناس وأزور الأماكن والمدن وانتقلت في كل بريطانيا بإيقاف السيارات العابرة وطَلَبِ التوصيل واختلطتُ بالناس ولعبتُ "السكواش"... فعلت كل شيء عدا فصولي الدراسية المفروضة. عشت كمتغيب وتُقبلت كذلك. لا أعرف إن يصح القول أني كنت شعبيًّا، ولكن بدا أن كل مَن في طريقي يعرفني وكنت

أعرف الجميع. لقد كان وقت سعادة عارمة صادقت فيه الكثيرين، لقد كان وقتا ممتعا جدا جدا."

كان طاهر بعد الانتهاء من الاستماع إلى أخبار الـ BBC العالمية من المذياع قُرْبَ سريره، يحوِّل إلى إذاعة لوكسمبورغ ليسمع الموسيقى الهادئة وقال بأنه كان يجدها مريحة جدًا.

إن العلاوة التي قدمها له أبوه كانت تكفي لدفع أجرة غرفته الوحيدة في Maida Vale وطعامه -مع أنه غالبا ما كان يطبخ لنفسه- وبعض النشاطات الترفيهية ولكنها لم تبلغ الرفاهية بأية حال. وقصة شرائه سيارة حدثت عندما سمع وهو ذاهب إلى جامعة القوات الجوية الملكية في كرانويل للقاء بعض الأصدقاء أن لدى أحد الطلاب سيارة للبيع. كانت سيارة Morris ذات عشرة أحصنة فقط وعمرها ٢٣ سنة، كلفت طاهرا ٤٢ جنيها استرلينيا. ولكنه قال فيما بعد بأنها لم تكن صفقة لأن قيمتها الحقيقية كانت تساوي ١٥ جنيها استرلينيا فقط.

قال: "كانت سيارة مثيرة للاهتمام؛ لم أكن ميكانيكيا بأي حال من الأحوال لكني تعلمت تدريجيا أن أكون بفضل تلك السيارة. لقد جُلت بها أوروبا كلها مع صاحبيَّ: محمود ناصر الذي كان يتدرب ليصبح مبشرا في وأفضال باري، واضطررنا أحيانا لدفعها لمسافات طويلة جدا!"

عُرف بين زملائه بحسن الصُحبة، ويقول أحدهم: "كان الود ظاهرا في عينيه، وكان بإمكانه الضحك على كثير من الأشياء، وبدا لي شخصا طيبًا. ويقول آخر: "كان مسليا جدا، ولا أقصد التسلية بأنه كان يطلق طرائفَ مملة على الدوام إنما مسليًا بمعنى أن صحبته كانت ممتعة."

يذكر السيد آفتاب أحمد خان، الذي كان وقتها دبلوماسيا شابا في "لجنة باكستان العليا" ثم أصبح فيما بعد سفيرا لباكستان في عدد من الدول، أن طاهرا جاءهم على الغداء في يوم أحد وكانت ابنته حينها تبلغ من العمر سنة

ونصف، وبعد الغداء قال طاهر: "اتركني هنا سوف أرعى ابنتكما، واذهب أنت وزوجك في مشي طويل فليس كثيرا ما يتاح لكما قضاء بعض وقت الفراغ معا." ففعَلا.

كان هناك جانب آخر من شخصيته لم يعرفه إلا قليل من زملائه. فقد تابع كتابة الشعر بالأوردو في غرفته المفردة في Maida Vale. في ذلك الوقت كانت مسجلات الأشرطة الشخصية تطورا تقنيا ثوريًا مع أن وزنها وحجمها كان بوزن وحجم آلة الكتابة المكتبية وكانت تحتاج لتوصل بمصدر كهربائي. كان أنور أحمد كاهلون سيشتري واحدة منها ليأخذها معه عند عودته إلى باكستان، واقترح على طاهر أن يسجل له بعض أشعاره ليُسمعها الخليفة الثاني عند عودته إلى ربوة. وحدث أن زار ظفر الله خان ابن أخيه أنور قبل أن يغادر إلى باكستان، فأراه مسجل الأشرطة وأسمعه أشعار طاهر المسجلة. استمع ظفر الله خان باهتمام بالغ للأشعار التي كان العديد منها حزينا ثم علق قائلا: "إنها تظهر الأثر العميق الذي تركته فيه وفاة والدته". وبعد سنوات عديدة عندما ذُكر لطاهر تعليق ظفر الله خان قال: "تعلم، عندما بدأت أكتب الشعر كان دائما مشحونا بالأسى، كان تعبيرا عن المعاناة. لم أستطع أن أكتب شعرا عن الأشياء العادية. وجب أن أكون مشحونا بالعاطفة أو الفكاهة، لم يكن هناك حل وسط. وقد يكون لذلك علاقة بالتعليق الذي ذكره ظفر الله خان. ولكن لم يكن هذا فحسب بل كنت أتألم لألم الآخرين من حولي وبدل أن أعبر عن شعوري بالقول كنت أطلق هذا الحزن شعرًا. وعندما سمع أبي هذه الأشعار قيل لي أنه قال إنه يتمنى أن يتحسن الشباب ويرقوا. وقد عنى بذلك أنه علي أن أرقى بمعنى أن أعمل على تصحيح هذه الأخطاء، وأنه كان عليّ أن أعبر عن نفسي بصورة أفضل. كان أبي حريصا جدا على عدم الثناء علينا بأية طريقة أو أن يجعلنا نعلم أنه أحب شيئا. أحيانا كان يصرح بتقديره وثنائه، وعدا ذلك كان يبقى

صامتا. كان يريدنا أن نتطور مستقلين دون أي دعم منه. حاول دائما أن يجعلنا ندرك أننا أناس عاديون وأنه ليس لدينا أية ميزات لكوننا أولاده."

تعلم طاهر الإنجليزية في المدرسة وفي الجامعة، ومع استطاعته قراءة الإنجليزية إلا أن لغته المنطوقة كانت رديئة؛ فأخذ في جامعة لندن دروسا في الصوتيات الإنجليزية.

" أولا وجب عليّ أن أهدم بشكل كامل طريقة كلامي فقد كانت كلها خاطئة، فالذين علَّموني الإنجليزية لم يعرفوا الإنجليزية حقًا. لقد عرفوا كيف يركبوا جملة نحويًا لكن الجمل الصحيحة نحويًا قد تكون خاطئة تماما عندما نتكلم عن الإنجليزية المحكية. عندما تعتاد على لفظ خطأ فإنك لن تلاحظ أبدا أنك تلفظ الكلمات بشكل غير صحيح وإن كنت تستمع للـ BBC، وكانت هذه معضلتي. وجب علي أن أنسى أني تعلمت الإنجليزية وأن أبدأ من جديد، ولذلك قلت لكل أصدقائي: "أرجوكم ألا تستحوا مني وقوِّموني إن قلت شيئا خطأ". كان ذلك أحيانا تجربة مريرة؛ فلم يكن بمقدوري إخراج جملة دون أن يقاطعني أحدهم قائلا: "لا تقلها بهذه الطريقة". وتدريجيا اعتدت على ذلك وتعلمت كيف أعبر عن نفسي بشكل أفضل. وكانت تفتنني أساليب التأثير المختلفة على الناس ومنها الصوتيات، فدرست ذلك بكثير من الاهتمام وقد أثمر ذلك، إذ نجحت في مادة الصوتيات بمرتبة شرف." وتابع قائلا: "لكني فشلت في المواد الأخرى ولكن يجب أن أقر أني لم أدرسها كما كان عليّ أن أفعل. وربما درست بطرق أخرى؛ فقد التقيت أناسا كثر بكل الظروف وأظن أني بطريقة ما هيأت نفسي للعمل الذي سيلقى عليّ. فيما سبق قطنت في الهند وباكستان فقط والآن عشت في أوروبا والتقيت في مدرسة الدراسات الشرقية أناسا من كل أنحاء الأرض، من إفريقيا وألمانيا وبولونيا وبالواقع من كل أنحاء أوروبا، ومن أميركا وكندا وجنوب أميركا. أظن أن ذلك كان مهما، فالله قدر لي ما كان عليّ فعله و لم

أكن أعرف المغزى من ذلك فى تلك الأيام. لقد قُدّر أن ألتقي كل هؤلاء الناس وأن أخرج وأسافر في أوروبا. أظن أن ذلك كان من خطة الله. فالجماعة الأحمدية كانت ستواجه تحديات هائلة وطبعا لم نكن نعرف ذلك في حينه، وأن مركزنا سينتقل مؤقتا إلى لندن؛ فكان لا بد أن أتكلم وأفهم الإنجليزية لأنه من خلالها سأستطيع بلوغ معظم الناس عند بدء اضطهادنا. وهجرتي إلى بريطانيا ساعدتني على تحقيق ما قاله الله للمسيح الموعود بأنه سيبلغ دعوته إلى أقصى أطراف الأرض."

## الفصل التاسع

# العمل والمتعة

كانت عودة طاهر إلى ربوة في عام ١٩٥٧ وإن كانت بدون شهادة، عدا شهادة اللغة الإنجليزية، راحة كبيرة لأبيه الذي أخذت صحته تتدهور. وكان ذلك مثالا على استقلالية فكره. نصحه أحمدي التقاه في كراتشي قائلًا: "لا تلبس طقمًا غربيا، حيث سيظنونك متشبهًا بالأوروبيين، البس السروال والقميص." والقميص معطف مزرر حتى العنق والسروال بنطال قطني فضفاض، وهي ثياب إسلامية عادية. فأجابه طاهر: "لماذا علي أن ألبس شيئا لأبهر الناس فقط؟" فلبس أفضل طقم غربي لديه. "لم أفعل ذلك لأبهر الناس أني كنت في أوروبا إنما لأني لم أُرِدْ أن أكون زائفًا."

وبعد إجازةٍ قصيرة أعطتْ طاهرًا الفرصةَ لتجديد الصداقات وفهم الاجراءات الجديدة أخبره الخليفة عن المنصب الذي سيشغله؛ كان عليه أن يلتحق بالوقف الجديد الذي كان يُعنى بحاجات الأحمديين الذين يعيشون في الجماعات الريفية في باكستان، ثم بعد فترة قصيرة انتُخب رئيسا للخدام.

منصبه الجديد في الوقف الجديد وضعه على تماس مباشر مع صغار المزارعين والقرويين وأصحاب الدكاكين الذين كانوا إحدى القوى الكبيرة للجماعة. "كان عليّ العناية بهذه الجماعات وأن أتابع محافظتهم على مستوى إيمانهم وإخلاصهم. وكان عليّ متابعة معرفتهم الدنيوية أيضا وأن أرى كيف يمكن مساعدتهم بأية طريقة ممكنة، كتوفير الخبراء الزراعيين ليوضحوا لهم الطرق الحديثة، أو المهندسين والأطباء والممرضات، ليساعدوهم في تأمين المياه أو المعرفة الطبية وبالطبع توفير المدرسين. كان هدفنا أن يستطيع كل ولد وبنت القراءة والكتابة، كنا نريد بلوغ نسبة مئة بالمئة متعلمين بين

الأحمديين، وأردنا بقدر الإمكان أن يصل كل أحمدي إلى الشهادة الثانوية في كل بلدان العالم. وحاليا أظن أن قرابة ١٠٠% من النساء الأحمديات في ربوة متعلمات وما يقارب ٧٠% من الرجال، فتقديراتنا أن ٨٠% تقريبا من أحمديي باكستان متعلمون، علما أن نسبة التعلم في باكستان كانت ٢٧%فقط."

"في منصبي الجديد سافرت باستمرار في باكستان وبنغلادش-كانت تُدعى باكستان الشرقية في ذلك الوقت- وتعرفت على كثير من الناس. في صباي كنت عضوا في حركة الشباب الأحمدي التي تُدعى خدام الأحمدية، وبدأت فيها من أدنى درجاتها، وعملي في هذا المستوى كان تدريبا جيدا لي كوني عملت تحت إمرة أناس عديدين. قد عملت تحت رؤساء قساة ومستبدين طالبوا بالانصياع التام ولم يكونوا لطيفين. وهذا جعلني أدرك حالة الناس الذين يعملون كمرءوسين. وبالطبع في الجماعة هناك انصياع تام. لقد انصعت لرؤسائي انصياعًا تامًا وهذا منحني خبرة وافرة عن كيفية وجوب عمل الناس."

وسريعا ما لاحظ أنه كما يتابع الناس بمقابلتهم فإنه يجدر أن يتابعهم عندما ينصرفوا من عنده ويتوجهوا للآخرين. "فذهبت إلى أبعد من العمل مع الذين كانوا على تماس مباشر معي، وأردت أن أعرف ما هي صورة الرؤساء أمام مرءوسيهم، وإلا لأُعطيتُ انطباعا مغلوطا تماما عما كان يحدث"؛ فشجع كل أحمدي أن يكتب إليه إن كان له ما يثني عليه أو إن كان مستاء من شيء. "خاصة إن كان مستاء، ولكن بشرط واحد؛ إن كانت شكوى فلا بد أن تصل المشتكَى عليه نسخة من الرسالة."

عمل هذا النظام بشكل ممتاز. كما بدأ طاهر يستقبل تعليقات واقتراحات عن كيفية تحسين الأمور وأفكار ما كانت لتخطر على بال المنظمين.

"بعد فترةٍ تطورت لدي موهبة فيما يتعلق بالشكاوى لأحكم وأحدد المحقّ من المخطئ. كنت دائما أسأل عن توضيحات وإن كان المسئول مخطئا فما كنت أتردد بإخباره بذلك."

جمعت قيادته بين الطيبة والصرامة. معظم الناس كانوا يستجيبون للطيبة ولكن تبين له أن القليلين منهم احتاجوا لأن يقرِّعهم. "إذن الصرامة كانت ضرورية، وكان عليهم أن يعلموا أنك إن طلبت فعل شيء فإنك تريده حالًا وليس عندما يريدون هم أن يفعلوه."

وقد لخص طريقته في القيادة بالكلمات التالية: "إنها مسألة محاولة نقل شخصيتك بكاملها إلى العاملين معك، ولا أعرف طريقة أخرى ولا يمكن تعليمها بالكلمات فقط. يجب أن تعامل الناس بالطريقة التي تريدهم أن يعاملوا بها غيرهم."

وعلى سوء سجلِّه في اجتياز الامتحانات، إلا أنه لم يكن هناك أي شك في أن طاهرا كان مُجدًّا. كل ما فعله أنه وظف ذكاءه للعمل في مجموعة واسعة من المواضيع و لَم يعر اجتياز الامتحانات اهتماما. أما الآن فقد وظف ذكاءه وجدّه في العمل.

كان يصل مكتبه في الساعة الثامنة صباحا قبل ساعة ونصف من وصول أي أحد وكان يغادره غالبا في الساعة العاشرة ليلًا بعد مغادرة الجميع. حتى أيام الجمعة التي كانت يوم عطلة للجميع كان يداوم في مكتبه حتى الظهر ثم يذهب للمسجد الأقصى حيث كان الخليفة يخطب في قرابة ١٥ ألف شخص ثم يعود إلى مكتبه. وقال: "لم أشعر قط بالتعب وكنت أجد العمل ممتعًا."

وكان يقرأ كل رسالة وصلت إلى المكتب تقريبا. وعادة ما تصنف هذه الرسائل في مجموعات يمكن لفريقه أن يجيب عليها دون العودة إليه غالبًا. ولكن لما كانت موجهة إليه أحب طاهر أن يتفقد أنواعها المختلفة كل يوم. "لم أستطع قراءتها كلها ولكني كنت اطلع عليها، وبذلك أبقى مطلعا على ما

يقال وما يُفعل في كل منطقة تحت مسئوليتي. أحيانا كنت أجد أنه لم يُفعل ما يكفي، وكثيرا ما اطلعت على ما بذله الناس من الجهد والساعات الطوال من العمل المخلص." وقد أتمَّ هذا النظام عندما انتُخب خليفة.

إذا ما وجد طاهر نفسه فجأة بدون عمل شَعَرَ بالحيرة: " أشعر عندها بالتعب وإنها لتجربة مريرة، شعور بالبلادة. كيف أصفه لك؛ إنه أمر مميل بشدة. ولذلك سعيت بالطبع لترفيهات أخرى؛ فركبت الدراجة ولعبت الريشة وركبت الخيل وسبحت وسرت لمسافات طويلة." لقد لعب السكواش، وأول دروسه كانت على يد البطل العالمي هاشم خان. وفي لندن لعب لصالح جامعته: مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية.

قام بجولة خاصة في الولايات المتحدة، ونزل في واشنطن عند مرزا مظفر أحمد الذي كان حينها يعمل لصالح المصرف الدولي. يقول السيد مظفر أحمد: " أتذكر من صفاته فضوله وتعطشه للعلم ودراسته الناس والعلاقات الوطيدة التي أنشأها مباشرة مع الأحمديين المنتشرين في كل أنحاء البلد. كانت لديه طاقة لا تصدق وقدرة على التحمل وجرأة المبادرة. سافر في سيارة مستأجرة وقادها من الساحل إلى الساحل بجدٍ أدنى من التوقف؛ جولة كالزوبعة لكنها جمعت أكثر مما يفعل الآخرون في إقامة مطولة."

من رياضات طاهر الأخرى؛ الصيد. الصيد مشروع في الإسلام إن كنت ستأكله، أما الصيد والقنص للمتعة فلا.

" لا أحب أن تربى الطيور والحيوانات ثم يأتي الناس لاصطيادها، فليس هذا عندي إلا ذبحًا ولا أشترك فيه أبدا. والأمر مختلف إن كان الحيوان في البرية واستخدمت مهارتك لصيده أو لتمسك به."

الطبخ كان دائما أحد مُتَعه الكبيرة. وكثيرا ما أقام بعض ما اصطاده من حمام وحجل وغيرها من طيور، وظبي صغير مرةً، شواءً للأولاد من منظمة

الشباب الذين جاءوا من خارج ربوة، بينما ذهب الضيوف الآخرون إلى بيته.

في إحدى المناسبات استقبل بعض المسئولين من الهند الذين لم يكونوا يعرفونه جيدا. وكان أنور أحمد أحد الضيوف أيضا وكثيرا ما تذوق طهي طاهر عندما كان في لندن. وبتتالي الأطباق بدأ الضيوف يثنون على الطباخ، فقال أحدهم: "إن ذلك رائع جدا، ليت لدينا طباخ كهذا. لقد أتعب نفسه من أجلنا فعليك أن تشكره من أجلنا." وقال ضيف آخر مازحًا: " ألا تظن أنه يود الانتقال إلى الهند؟" فأجابه طاهر: "أظنه سعيد هنا، لكني سأنقل له عرضك هذا." كان مظهر وجهه جديا لكن أنور أحمد استطاع التقاط غمزة، إذ كان يعلم أن الطباخ ما هو إلا طاهر نفسه!

كان يقول أن أهم شيء في الطبخ بالنسبة إليه الموازنة بين الفلفل الحار والملح. "يجب أن لا يكون الطعام دسما جدا، فكلما قل دسمه كان أفضل عندي. ولا يجب أن يكون جافا جدا، وإلا فيجب أن يكون جافا جدا كأكلة "دجاج تِكْهِ" المطهوة جيدا مثلًا، فلا تُطهى نصف طهو. لكن التوازن بين الفلفل الحار والملح هو الأكثر أهمية وكذلك القدرة على اخفاء رائحة بعض المأكولات بطريقة طبخك لها؛ فعندما أطبخ اللحم أو السمك أحب أن أتغلب على رائحتها لأني كغيري من الناس لا أحب رائحة بعض المأكولات."

وهناك بعض المأكولات التي لا يحبها: "كنت أحب البرتقال كثيرا. وفيما بعد ربما لأني أكلت الكثير منه أصبحت أتحسس منه ولا أستطيع الآن احتماله، والأمر نفسه ينطبق على القرنبيط. كنت أحب الباميا كثيرا ولكنها للأسف لا تواتيني."

وماذا عن الكحول؟

"سيكون من الخطأ القول إني أكره الكحول إلى درجة كره رائحته، سيكون ذلك ادّعاء والإسلام يعلِّم الصدق. عندما كنت أقوم بتجارب في مختبري لم تزعجني البتة تلك الرائحة الفاكهية للكحول، كما أن الألوان كانت غاية في الجمال... ألوان مختلفة وظلال وتدرجات لونية."

تزوج في عام ١٩٥٧ في سنة عودته من لندن، وكانت عروسه آصفة بيغم. كان قد كتب لأبيه من لندن ليخبره أنه كان يفكر بآصفة التي عرفها منذ الطفولة وأنه سيسعد إن كان بإمكانه أن يتقرب من عائلتها لمعرفة مشاعرها، فكانت مشاعرها كمشاعره.

بعد زواجهما حلَّا في أحد البيوت الأحد عشر التي بناها الخليفة لأولاده. كان يتألف من ثلاث غرف نوم وغرفة جلوس ومطبخ مع حديقة مسورة صغيرة. وكان لطاهر مزرعة أيضا، وربما تكون كلمة مزرعة كبيرة بالنسبة للهكتارات الخمس والعشرين الموجودة قرب الأحراش، ولكن هناك يمكن لطاهر أن يربي الخيول، التي دربها بنفسه، والجواميس لتوفير الحليب. وأصبحت قيادة الدراجة في السادسة صباحا لثلاثة أميال حتى المزرعة عملا يوميا ومتعة يومية. " أحببت الخروج قبل أن يستيقظ أحد، كل شيء كان هادئا ومنعشًا وأتيحت لي الفرصة لأرى حيواناتي وأرعاها، وكانت فرصة لي لأفكر لوحدي، فقد كانت بقية يومي منظمة ومشغولة إلى درجةٍ باتت بها تلك اللحظة من الهدوء متعةً عظيمة لي."

منحه زواجه سعادة وامتيازات الأبوة. ولدت ابنته الأولى شوكت في آب/أغسطس عام ١٩٦٠م وتبعتها بناته الثلاث فائزة في أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٦١ ومنى في سبتمبر/أيلول ١٩٧١ وطوبى في أبريل/نيسان ١٩٧٤.

جلبت له طفلاته سعادة كبيرة: "كنا نلعب من يمسك الآخر ونتبارى من يستطيع أن يتسلق إحدى الشجرات، كنا نلعب لعبة التخفي، وعندما كنت ألعب معهن كنت أشعر أني بعمرهن تماما، كانت تلك متعتي وراحتي."

بنى في المزرعة مسبحا صغيرا وعلمهن السباحة. واشترى لهن ترامبولين (جهاز قفز). عندما كبرت ابنته الأولى أصبحت تذهب معه على دراجتها إلى المزرعة لجلب الحليب.

كان يسر جدا بسرد القصص لهن قبل النوم التي غالبا ما كانت من الإنجيل. وفي ألبوم العائلة صورة التقطها بعد الترقّب أحد الأصدقاء، وفيها شوكت وهي تصفق بحرارة عندما بلغت القصة ذروتها بينما فائزة جالسة على ركبتيه ملفوفة بلحاف.

وغالبا ما كان طاهر هو من يسهر لرعايتهن عند مرضهن.

الفصل العاشر

# السياسة والاضطهاد

إنها لمن مفارقات التاريخ أن تُضطهد الجماعة الأحمدية إلى هذا الحد في باكستان، البلد الذي كانت هذه الجماعة أداة تأسيسه. والمفارقة الأخرى أن يكون علماء الدين الذين عارضوا بشدة تأسيس باكستان هم مضطهدوهم. عادة ما كانت معارضة الجماعة الأحمدية دينية ولكن غالبا ما كان دافعها سياسيا بهدف صرف انتباه الشعب عن المشاكل الرئيسية أو لتحقيق انتصار سياسي بوسائل وضيعة. وهذا ما حدث مع الجماعة الأحمدية. هناك اختلافات أساسية مع المسلمين الآخرين من حيث عقائد الجماعة، لكنها غالبا ما صُعِّدت لأسباب سياسية، بعضها داخلي وبعضها دولي. قليل من ينكر حسن جيرة الأحمديين وصلاحهم كمواطنين. ولكن أليست معتقداتهم هي التي تجعلهم يسلكون مسلك المسلمين الصالحين؟ ولكن السياسيين يريدون كبش فداء. إن استنكار الجماعة الأحمدية بدوافع سياسية محضة أورث الجناة إرثا قبيحا.

بدأ طاهر، الذي أخذه عمله في مشارق باكستان ومغاربها وكان على تماس مع السياسيين وكل الأحزاب، بالعمل تدريجيا كنوع من صلة الوصل بين الأحزاب السياسية المختلفة.

"كانت لنا حملات من اللقاءات مع السياسيين لنفهم سياساتهم. لم يكن تدخلا بالسياسة فما كان يعنينا هو بقاء باكستان وبقاء الجماعة. لم يكن بمقدورنا عزل أنفسنا والنأي بها عما كان يحدث في البلد." استقبله بعضهم بشكل مهذب على إنكارهم نبوة أحمد، وبعضهم الآخر كان علمانيا تماما ومعارضا لكل الديانات، وقد زادت معرفته ببعض الذين يحترمون إخلاص

الآخرين، كما وجد آخرين يظهرون الحياد بالنسبة للجماعة، لكن تبين له أنهم غير جديرين بالثقة وأنهم بوجهين. فقال لأحدهم: "يا سيدي، لقد التقيت بالعديد من القادة السياسيين ولكنك أضعفهم وبلا حول ولا قوة."

"لو أمكنه صفع وجهي لفعل؛ فاستشاط غضبا ولكنه أصبح فضوليا. تعمدت إطلاق هذه الكلمات فقد أدركت أنّ عليّ أن أحدث زلزالا في داخله وإلا فلن يهتم لأمري. فأخبرته بمنظوري أن القيادي هو الشخص الذي يقود شعبه بعيدا عن الكوارث وليس الذي يكون في مقدمة حشد كبير وتدفعه الأحداث. قلت له بأنه يركب موجة غضب وعندما تحقق الجموع مأربها سوف ينقلبون ضده ليصبح أداة حقد. أراد منحي نصف ساعة ولكني بقيت معه لثلاث ساعات ونصف. إن هدفنا كما ترى ليس كسب القوة إنما مساعدة السياسيين على فهم الأمور بشكل أفضل بما فيه مصلحة البلد والناس، وهذا دور منوط بكل مواطن وليس بنا فقط. وفيما يتعلق بذلك السياسي بالذات، تبين وللأسف أن توقعي كان بمحله فقد اختفى تماما بموجة الغضب التي حاول أن يركبها."

لقد نأى المسيح الموعود دائما بجنبه عن السياسة وأشار إلى أن على أتباعه أن يبقوا بعيدين عن الانخراط المباشر بها. ولكن التوجيه الأخلاقي من واجب الخليفة كما بينه طاهر لاحقا. لا يمكن للدين أن ينفصل تماما عن السياسة. ومن واجب الأديان كلها أن تواظب على تذكير الساسة بواجباتهم الأخلاقية تجاه البشرية. قال طاهر: "يجب أن ننصحهم ولكن يجب ألا نتدخل."

أكد طاهر مرارا فيما سبق وكذلك في السنوات الأخيرة على أنه؛ وإن كانت الجماعة الأحمدية تدعم إقامة دولة إسلامية، وأن الإسلام دين يضم الجميع، فإن ذلك لا يعني أن الدولة الإسلامية يجب أن تحكمها سلطة دينية.

"إن جوهر التعاليم الإسلامية هو نظام حكم لا يفرق بين دين وآخر ولا يحابي أتباع دين على آخر."

خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر سادت فوضى أصابت علماء المسلمين والدين؛ وذلك بغزو السيخ لمناطق عديدة كانت تحت سيطرة المسلمين، ثم بسيطرة الجيش البريطاني المدفوع بالثورة الصناعية في بريطانيا لتولد الإمبراطورية الهندية.

كتب أحد سفراء باكستان محللا النشاط السياسي الإسلامي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بأن المسلمين في الهند "سقطوا في هاوية الانحطاط الروحي والفوضى السياسية التي بدا أن لا أمل منها يرتجى."

إن إحدى المهام الرئيسية للمسيح الموعود بحسب نبوءة محمد أن يحيي العقيدة الإسلامية، وقد أشاد المسلمون عبر الهند كلها بأول كتاب نشره المسيح الموعود. وقد كتب المولوي محمد حسين الذي كان عالما مسلما متميزا ثم أصبح واحدا من ألد أعداء المسيح الموعود: "برأيي، ونظرا إلى الظروف الراهنة فإن هذا الكتاب (البراهين الأحمدية) في هذا الزمن فريد، و لم يكتب إلى الآن نظيره في تاريخ الإسلام."

في البداية قام المسلمون بدعم "حزب مؤتمر (الهند كلها)" الذي سعى لتستقل الهند كأمة واحدة، ولكنهم بدأوا في عام ١٩٠٥ يشكّون بمستقبلهم في دولة يغلب فيها الهندوس بنسبة أربع إلى واحد. كان البريطانيون قد أقاموا دولة مركزية قوية بجيش واحد وخدمات موحدة، وإنْ تناثَرَ العديد مما يشبه الولايات المستقلة التي لها قوانينها الخاصة هنا وهناك في شبه القارة.

تصدَّر مخططات بريطانيا الخاصة بالهند من الناحية الجغرافية السياسية مفهوم الهند المتحدة. ومع ذلك فإن ذلك لا يعني إهمال الكفاءة الإدارية، ففي عام ١٩٠٥ أعلن حاكم الهند اللورد كورزون أن البنغال التي نمت بشكل يصعب السيطرة عليه ستقسم إلى قسمين؛ مقاطعة شرق البنغال وأسام. وحسِبَ الفلاحون المسلمون في شرق البنغال أنها فكرة جيدة، بينما اعترض هندوس البنغال بشدة لهذا التغير. وبحسب ما قيل فقد كانت هذه أول علامة

واضحة على أن المصالح السياسية والاقتصادية للهندوس والمسلمين قد تكون على طرفي نقيض.

وكانت النتيجة بعد سنة في عام ١٩٠٦ تَشكل "اتحاد (الهند كلها) الإسلامي" في مدينة داكا، لتصبح فكرة الهند الموحدة على شفا جرف هار.

وفي عام ١٩١١ وتحت الضغط الهندوسي استسلم الحاكم وأَلغي تقسيم البنغال إلى وحدتين إداريتين. أزال قرار الوالي وهمَ العديد من المسلمين. وبدأ يتبلور مخطط الهند في أمتين.

لقد كانت الجماعة الأحمدية في طليعة هذه النشاطات الإسلامية. وفي عام ١٩٢٨ وبعد دراسة المخطط الدستوري الذي صممته لجنة من "حزب مؤتمر الهند كلها" أبرز الخليفة الثاني مخاطر هذا المخطط على المسلمين في كتاب بعنوان "حقوق المسلمين ومخطط نهرو". وقُبيل ذلك أشاد مسلم بارز هو مولانا محمد علي جوهر بعمل الجماعة الأحمدية في نضالها من أجل دولة إسلامية مستقلة في الهند قائلًا: "سيكون من الجحود إن لم نذكر الخليفة الثاني وجماعته المنضبطة، الذين ضحوا بكل جهودهم بغض النظر عن الفروقات العقائدية من أجل خير المسلمين؛ فهؤلاء الرجال من ناحية يهتمون بفاعلية بسياسة المسلمين، ومن ناحية أخرى يشاركون بنشاط في تعزيز الوحدة والتنظيم والتجارة والدعوة بين المسلمين. وليس بعيدا الزمن الذي سيصبح سلوك هذه الطائفة الإسلامية المنظمة هديًا للأمة الإسلامية عامة وخاصة لأولئك الأشخاص الذين يجلسون يتفرجون تحت قباب "بسم الله" ويتبجحون ويدَّعون ادعاءات فارغة بخدمة الإسلام."

وقد لعب الخليفة الثاني والجماعة الأحمدية دورا مهما في توفير الحقوق الأساسية الاجتماعية والسياسية لمسلمي الكشمير الذين كانوا تحت السلطة المستبدة للمهراجا الهندوسي. ولكن الدور البارز للجماعة في إنشاء باكستان كان قد جعل محمد علي جناح يعود إلى الهند ليناضل من أجل دولة إسلامية

مستقلة؛ فبعد قنوطه من عدم الوحدة بين المسلمين وبعد مؤتمر الطاولة المستديرة عام ١٩٣٢، قرر السيد جناح أن يستقر في لندن ويمارس مهنة القانون. ولقناعة الخليفة الثاني بأن السيد جناح هو الرجل الوحيد الذي لديه الخبرة السياسية والقدرة على قيادة المسلمين، أخبر السيد أ.ر. درد، المبشر الأحمدي في لندن، أنه عليه أن يقنع السيد جناح بالعودة إلى الهند.

في نهاية المطاف نجح السيد درد، بإقناع السيد جناح وأقيم حفل عند مسجد لندن عند مغادرته وأعلن فيها السيد جناح أمام ٢٠٠ من الضيوف البارزين أن السيد درد هو من أقنعه بالعودة إلى الهند فقال: "إن بلاغة إقناع الإمام لم تترك لي مهربا."

وما بعد ذلك فهو من التاريخ؛ فقد عاد السيد جناح إلى الهند وعاود نضاله من أجل حقوق المسلمين السياسية في الهند. وفي ٢٣-٣-١٩٤٠ تبنى "اتحاد الهند كلها الإسلامي" برئاسة السيد جناح قرارا بشأن الهيكلية الدستورية المستقبلية للهند.

وجاءت الفقرة الحاسمة كما يلي: "تقرر بعد نظرة مدروسة في الجلسة الحالية لـــ"اتحاد الهند كلها الإسلامي" ألا يُعمل ولا يُقبل بأي مخطط تشريعي في هذا البلد من قبل المسلمين إلا إن بني على الأسس الرئيسة التالية: أن تفصل الوحدات الجغرافية المتجاورة إلى مناطق يتم إنشاؤها بالتعديلات الإقليمية اللازمة بحيث تُجمع المناطق التي يكون المسلمون فيها أغلبية لتؤلف دولة مستقلة".

فأُنشئت باكستان في عام ١٩٤٧ تحت قيادة محمد علي جناح.

## الفصل الحادي عشر

# النضال من أجل باكستان

كان دعم الجماعة الإسلامية الأحمدية لإنشاء دولة إسلامية تحت المراقبة الدقيقة للحاكم العام البريطاني. وفي عام ١٩٣٤ كان هناك أعمال شغب واسعة النطاق في البنجاب وأجزاء أخرى من الهند، نهبت فيها بيوت الأحمديين وحرِّقت. حتى حينه كان هناك استفزاز فردي متقطع لأبناء الجماعة و لم يحصل أن كان على مستوى الجماعة كلها، وترأس ذلك حركة الأحرار وهي منظمة معادية للأحمدية.

ألقى السيد إيمرسون حاكم البنجاب اللوم على الجماعة الأحمدية، فذكر للمكتب الهندي أن إيمانهم بعدم وفاة عيسى على الصليب لم يجعلهم خطرا محتملا على المسيحية فحسب بل وعلى الإمبراطورية؛ فقد يكونون سببا للمزيد من أعمال الشغب الطائفية، فلا بد لذلك من عدم الاكتفاء بمراقبتهم الجدية بل يجب وضع خطط لرؤية إمكانية سحب الثقة منهم. فأعطى الأوامر بأن تسجل ملخصات خطب الخليفة الثاني ليرى إن كان يدعو بأية طريقة للفتنة فيحاكم ويسجن. فأصبح وصول كاتب من الشرطة على دراجته الآلية ليلخص خطبة الجمعة أمرا اعتياديا في قاديان.

قال السيد إيمرسون فيما بعد لظفر الله خان الذي كان أحد أعضاء مجلس الحاكمين؛ وهو أحمدي بارز، أن الخليفة الثاني كان "كالأنقليس (ثعبان البحر) ما تكاد تمسك به حتى ينفلت من بين أصابعك." وقال: "درست تقارير خطبه، وكلما ظننت أني أمسكت به انفلت بعد بضعة جمل تلتها من قبضتي."

إن الفلسفة السياسية للجماعة بشكل عام هي التي وضعها المسيح الموعود بأن الحكومة التي تضمن الحريات الدينية والسياسية وتسمح للمواطنين بالتطور بسلام هي الحكومة الجيدة والواجب دعمها. ولكن ذلك لا يمنع الأحمديين كأفراد من المطالبة بالمزيد من الحريات السياسية.

ويقول طاهر: "الجماعة منظمة غير سياسية، ولكن لكل أحمدي في كل بلد حقوقه السياسية وكلما كانوا أقوياء في ممارسة هذه الحقوق أمكنهم تحصيل شيء على الصعيد الشخصي."

إن حماس الجماعة الأحمدية لإقامة دولة إسلامية مستقلة، وشبه المعارضة الرسمية لها من قبل حاكم البنجاب، قابله تصريحات عُممت على نطاق واسع من قبل معارضي الجماعة السياسيين مفادها أن الجماعة من صنع ومكر حكومة الحاكم العام لتفرقة المسلمين وسيادتهم.

ورغم التقرير الصحفي في الجرائد البريطانية الوطنية عن السيد جناح في حفلة الشاي التي أقيمت لتوديعه عند مسجد لندن قبل ذهابه إلى الهند، ورغم التوثيق المكتوب، فإن هذه الاتهامات لا تزال تلقى على عواهنها؛ إنه صحيح للأسف أن تكرارك أمرا يجعل البعض يصدقونه.

إن العواقب المأساوية والمروعة للتطرف الديني خلال التقسيم في عام ١٩٤٧ قد سجلت وحفظت. أقامت الجماعة الأحمدية ميليشياتها الخاصة لحفظ حياتهم وممتلكاتهم، وبحدوث التقسيم انتقلت الجماعة أفواجا إلى باكستان.

في عام ١٩٥٣ حدثت أعمال شغب ضد الجماعة في البنجاب لأسباب سياسية ولكن لم تعان الجماعة لما يقارب ٢٠ سنة تلت إلا من بعض المضايقات العرضية. واجهت باكستان العديد من المشاكل الداخلية وكان لها جبهتا حرب مع الهند عبر كشمير التي ضُمت غالبيتها المسلمة إلى الهند عنوةً.

لعب الأحمديون دورا بارزا في السنوات الأولى في خلق الهوية الوطنية لباكستان. وبلغ بعضهم رتبة لواء في الجيش، وكان أول وزير خارجية لباكستان ظفر الله خان، أما وزير الاقتصاد فكان مرزا مظفر أحمد. وأصبح بعضهم سفراء، وكان آخرون من الأحمديين رجال أعمال ناجحين، حتى قيل إن نجاحهم أصبح ظاهرًا. كل أحمدي يتبرع بواحد من ستة عشر من دخله للجماعة، ويُعرف الذين يتبرعون بعشر دخلهم ويوصون للجماعة بعشر تركتهم بعد وفاتهم بالموصين. وليس من المستبعد في بعض السنوات واستجابة لنداءات خاصة أن يرفع الموصون تبرعهم إلى ثلث دخلهم.

ومن بين الأمور التي تستخدم فيها هذه الأموال، بناء المدارس وتوفير منح للأطفال الموهوبين. وقد ساهمت في انطلاقة رائعة لحياة الأطفال الأحمديين في دولة محدودة الموارد كباكستان.

لقد كان لنجاح اللواء الأحمدي أختر مَلِك في السيطرة على أجزاء واسعة من كشمير خلال حرب ١٩٦٥ الحدودية مع الهند دورا في تعرُّف ذو الفقار علي بوتو على طاهر. وقد ارتبطت حياتهما ومسيرتهما حتى وفاة بوتو مشنوقا في عهد اللواء ضياء الحق الدكتاتوري.

## الفصل الثاني عشر

# بوتو والشيوعيون

أصبح ذو الفقار علي بوتو، وزير خارجية باكستان، بطلا وطنيا بسبب دفاعه الحماسي عن باكستان في مجلس الأمم المتحدة. فقد قال أن باكستان لن تتخلى أبدا عن مسلمي كشمير ولا يهم المدى الزمني لكنهم يومًا ما سيعودون إلى وطنهم الأم.

ويقول طاهر: " لقد كان خطابا رائعا، فأصبح بطلا شعبيا بين عشية وضحاها. طلب مني أخي ناصر، الذي لم يكن حينها خليفة ولكنه كان ينوب عن والدي في العديد من القضايا لاعتلال صحة والدي بعد محاولة اغتياله، أن أذهب لإسلام آباد وألتقي ببوتو. أرادني أن أنقل له مدى تأثرنا بخطابه ودعمنا لوجهة نظره وأن أعرض أية مساعدة باستطاعتنا تقديمها كمواطنين باكستانيين. وعندما علم بوتو سبب مجيئي طلب مني على الفور أن أخرج من غرفة الإستقبال لأن الكلام لم يكن آمنا هناك، وأخذني إلى غرفة أخرى كان فيها طاولة وكراسي قليلة. تجاذبنا الحديث وأصبحت بيننا مودة." كان ذلك لقاءهما الأول ولكنهما لم يلتقيا لبضع سنوات حتى طلب منه بوتو برسالة أن يتصل به. فقد كان بوتو مسجونا تحت الحكم العرفي وأُطلق سراحه ليشترك بالانتخابات التي ستقام. وأخبر طاهرُ أخاه ناصرا الذي انتخب حديثا خليفة ثالثًا فسمح له بلقاء بوتو، فالتقيا في منزل بوتو.

وذكر طاهر أن بوتو كان وديًّا جدًا، وبدأ يناقش حملته الانتخابية وحاجته لدعم مالي، كما ذكر خطابه الذي سيلقيه على التلفاز في اليوم التالي. وعندما طلب طاهر إمكانية الاطلاع على خطابه، استدعى بوتو الدكتور مبشر المسئول عن خطة الحملة وتركهما مع بعضهما وذهب إلى مؤتمر.

"أعجبني الدكتور مبشر، وقد وجدته مستقيما ونزيها وخلوقا. وتعالت طبيعته عن النفاق". ولكن طاهرا لم يوافقه على خطته للحملة الانتخابية. وقال بأن كل العبارات الجميلة عن الاشتراكية العلمية ستكون بعيدة عن مدارك الشعب، إن فلسفة المساواة التي جاء بها محمد كانت أكثر أهمية. واقترح أن يستخدموا المصطلحات الإسلامية. كما اعتبر أن اليسار المتطرف من الحزب يحاول أن يتحكم ببوتو. فقد كانوا يحاولون استثمار شعبيته ويحولوها إلى صالح الشيوعيين.

"عندما عاد السيد بوتو أصغى إليَّ باهتمام وتحول اهتمامه من المال الذي كان يرجو أن يحصل عليه منا- وأخبرته باستحالة ذلك كوننا منظمة دينية- إلى نصحي له."

وقد أعطى طاهرُ بوتو نصائح أكثر مصيرية أيضا. وبحسب رأيه فقد كان العديد من أعضاء حزب الشعب الباكستاني في ذلك الوقت من الشاردين الباحثين عن الثروة. ولكن لم تكن تلك حالة اليسار المتطرف الذين كانوا منظمين ومتفانين. "لقد ضمنوا أن يكون أكثر من ٧٠% من المرشحين على القائمة النهائية لانتخابات المجلس الوطني من الشيوعيين أو من المتعاطفين معهم. ولو انتخبوا لسيطرت الشيوعية على باكستان. نقلت للسيد بوتو هذه المعلومة وقلت له إن كان يريد سيطرة الشيوعية فليمض فيما هو عليه وإلا فعليه أن يعيد النظر في القائمة وأن يتحرك بحذر شديد. تبين فيما بعد أن بوتو لا يريد أن يستقطب لا من اليسار ولا من اليمين. كان يريد أن يحافظ على توازن حساس بين الاثنين وبذلك أمر."

دعا بوتو إلى اجتماع أعضاء الحزب البارزين ونشر بيانا صحفيا مستعجلا ينص على أن القائمة لم تكن نهائية. وعقدت لجنة من أعضاء الحزب البارزين لمراجعة قائمة المرشحين ولتقدم توصيات. وبالنتيجة سحبت أسماء عدد كبير

من المرشحين سابقا، وفازت أسماء القائمة النهائية فوزا ساحقا وانتخب بوتو رئيسا للوزراء.

وعن هذه المرحلة من حياته قال أحد أمراء الجماعة: "لقد أظهر الشاب ميزرا طاهر أحمد بصيرة نافذة في المشاكل التي واجهتها البلد، وظهرت قدرته المتميزة وجده وإصراره لتحقيق المهمة التي كرس نفسه من أجلها. لقد أبدى صفات قيادية متميزة وجلدًا وطاقة لا تنضب."

بعد الانتخابات ذهب طاهر لرؤية بوتو وقال له: "سيدي، لقد جئت لأقول لك وداعًا". دهش بوتو وسأله: "لم الوداع؟" فأجابه طاهر أنه من الآن فصاعدا سيحاط بالمتملقين الذين لن يكيلوه إلا كلاما معسولا ومديحا "ولا أستطيع أن أقدم لك إلا الحقيقة المرة وقد لا يعجبك ذلك." فأجابه بوتو أنه يعرف أن طاهرا رجل صدق وأنه لن يشعر بالإهانة من قوله.

استمر طاهر بلقاء بوتو عندما كان رئيسا ثم رئيسا للوزراء. وغالبا ما كانا يناقشان الأوضاع في باكستان وأن حزب الشعب الباكستاني لم يف بوعوده الانتخابية. كما التقاه ليشكو المعاملة السيئة التي تلقتها الجماعة الإسلامية الأحمدية من قبل الحكومة إذ صودرت أراضيهم ومدارسهم.

وتدريجيا أدرك طاهر أن بوتو أحيط بنفوذ معاد للأحمدية من داخل وخارج حزب الشعب الباكستاني وأنه سيكون من السذاجة التوقع أن يخاطر بسمعته السياسية لحماية حقوق الأحمديين.

بدأت صداقتهم تفتر ولكن بوتو بقي دمثا ومهذبا ومتقبلا للنقد. وكما وعد لم يشعر قط بالإهانة من كلام طاهر.

## الفصل الثالث عشر

# خليفة للعالم الإسلامي

طلب بوتو من طاهر أن يزوره مرة كل شهر وتدريجيا أصبحت اللقاءات نادرة. عندما استدعى بوتو السيد مرزا مظفر أحمد من واشنطن لاستشارته بأمور الميزانية شكا له عدم زيارة طاهر له وطلب منه عندما يذهب إلى ربوة أن يقنع طاهر بمعاودة زياراته. وكذلك اتصل بوتو بالخليفة مباشرة الذي طلب من طاهر أن يعاود زياراته. وقد كان السيد مرزا مظفر أحمد مع طاهر عندما التقى مجددا ببوتو، وكان ذلك في مكان الإقامة الرسمية لرئيس الوزراء على حفل شاي في حديقته الواسعة.

ويذكر السيد أحمد ذلك قائلا: "قام رئيس الوزراء من كرسيه المريح وعانقه بحرارة قائلا: "هذا هو الرجل الذي لم يعد يأبه للقائي."

ويتذكر طاهر جيدا تلك المرحلة من علاقتهم. "نظّم بوتو في عام ١٩٧٣ مؤتمرا كبيرا في باكستان للدول الإسلامية. كان رجلا طامحا ليكون قائدا عالميا وكانت باكستان صغيرة بالنسبة له. لقد حاول لمدة أن يصبح قائد العالم الثالث –أي مستعمرات بريطانيا وفرنسا والدول الأخرى سابقا– ولكن تلك المكانة كانت مشغولة بنهرو وابنته السيدة إنديرا غاندي. فقرر أن يصبح القائد السياسي للعالم الإسلامي بمساعدة المملكة العربية السعودية بشكل رئيسي وأن يصبح ملك السعودية خليفة المسلمين في العالم. وقبل ذلك كان البابا ناشد المسلمين كلهم أن يتّحدوا ويتآزروا مع المسيحية ضد الشيوعية، وقد وجه هذا النداء إلى الملك فيصل بشكل خاص. في حينه كان تأثير السعودية السياسي محدودا. كانوا منعمين ويتمتعون بالميزة الفريدة بخدمة بيت الله في مكة وأماكن الشعائر الأخرى والأماكن التاريخية المرتبطة بحياة

الحبيب المصطفى. لم تكن في حينها الطاقات الهائلة قد استثمرت وحولت إلى نفوذ سياسي بعد. ربما كان من المناسب للغرب أن يكون الملك فيصل القائد الروحي للإسلام؛ فإن سمع المسلمون نداء من مآذن مكة فسوف يستجيبون له على أنه نداء من الله، والقليلون فقط سيدركون أن المكبرات فقط هي الموجودة في مكة بينما الميكروفونات في مكان آخر في الغرب. ولكن بالطبع الخلافة الأحمدية كانت عثرة في طريقهم؛ فلا يمكن وجود خليفتين؛ فكان لا بد أن نعلن أنهم غير مسلمين. معظم الناس في إندونيسيا شافعيون بينما السعوديون فوهابيون ولا يتوافقون، ويعادي المالكيون في إفريقيا والأحناف في تركيا الوهابية. لذلك فإن العلماء لن يقبلوا المال السعودي إن جاء كرشوة صريحة مفادها "هذا هو المال؛ اقبلوا نفوذنا"، ولكن إن جاء كمساعدة للمدارس الدينية والمساجد وأرفق بحملة ضد الأحمدية فعندها سيقبله العلماء. وبهذه الطريقة سيقوى النفوذ الوهابي في العالم الإسلامي دون أن يعرف أكثر الناس ما يحدث."

هذه الخطة التي خلص إليها طاهر: الملك فيصل سيكون الخليفة الجديد للعالم الإسلامي وبوتو عقله السياسي. وقدم طاهر استنتاجاته لعزيز أحمد وزير خارجية باكستان وأضاف أن لديه معلومات بأن حملة ضد الأحمدية سوف تنطلق في المؤتمر الإسلامي. قال له عزيز إن ذلك غير ممكن وأن لا وجود لمخطط كهذا وأن الدعاية الدينية بأي شكل كانت محظورة في المؤتمر؛ فهو مؤتمر الدول الإسلامية وليس مؤتمرا دينيا، وما كان ليسمح لأي تنظيم ديني أن يوزع أية منشورات أو وثائق من أي نوع على الممثلين. وأضاف أنه يكفي صعوبة أنهم استطاعوا جمع الأعداء السياسيين كسورية والأردن فدونك الاختلافات الدينية.

عندما التقى طاهر ببوتو أخبره عن مخاوفه، فطمأنه بوتو أنه لن يكون هناك أي نوع من الدعاية ضد الجماعة. ولكن طاهر كان قد حصل على

بعض المنشورات التي جهزت من قبل "الجماعة الإسلامية" والمنظمات الأخرى المعادية للجماعة الإسلامية الأحمدية. وهذه المنشورات كانت قد جُهزت خصيصا لتوزع على المندوبين.

لقد تأكدت شكوك طاهر تماما عندما بدأ المؤتمر. طلب بوتو من الجيش تعيين عدد من الضباط ليعملوا كمعاونين لرؤساء الدول والمندوبين الذين حضروا المؤتمر وأكد على عدم تعيين أي أحمدي بينهم. وعلى السرّية المتخذة تسربت الأمور؛ فقد مرر رئيس وزراء إحدى الدول الإفريقية مجموعة كاملة من الوثائق إلى أحمدي من معارفه وهذا مررها لطاهر. كانت الوثائق تهجمات صارخة ضد الجماعة الأحمدية، منها ما سمعه طاهر قبلا وأخرى جديدة عليه. معظمها حُضِّر لهدف واحد هو تشويه سمعة الجماعة الإسلامية الأحمدية والافتراء على خليفتها.

اقترح عيدي أمين دكتاتور أوغندا شبه المجنون أن يعين الملك فيصل بن سعود خليفة للعالم الإسلامي، ولكن اقتراحه المحضر بعناية من قبل السعودية لم يلق أذنا صاغية. لقد كان هناك الكثير من الفوارق السياسية بين العديد من الدول ودونك أن يتفقوا على شيء يبلغ هذا الحد. وأضف إلى ذلك أنهم كونهم سياسيين دهاة لم يتورطوا بشيء كهذا. إن استخدام الفوارق الدينية لأهداف سياسية شيء، وتعيين شخص لأسباب سياسية محضة في منصب ديني رباني شيء آخر تماما؛ إن الله هو من يختار الرسولَ، وأتباعُه ينتخبون بتأييد رباني الخليفة ليخلفه في عمله.

فشلت حملة بوتو لبلوغ المجد الدولي. وبعد زمن غير طويل جهر بمعارضته للجماعة الأحمدية لتكون النتيجة اقتراح تشريع يعلن الأحمديين غير مسلمين.

ترأس الخليفة الثالث وفدا من خمسة أشخاص إلى المجلس الوطني الذي ناقش التشريع المقترح بجلسة سرية. وكان طاهر أصغر أعضاء هذا الوفد

اختير "تكريما لعلمه وحكمته ومعرفته بتاريخ وتقاليد الجماعة" كما ذكر لاحقا أحد أمراء الجماعة.

قام الخليفة الثالث في البداية بتعيين طاهر ليكون المتكلم باسم الجماعة الإسلامية الأحمدية في جلسات المجلس الوطني، وقال لبوتو أنه عين ممثلا لأنه لن يستطيع أن يأتي بنفسه. ولكنه لم يذكر له اسم طاهر. يقول طاهر عن ذلك الاختيار: "أعتقد أنه ربما ظن أني سأكون أكثر استعدادا من علماء جماعتنا للجدال الذي سينشأ، مع أنهم أكثر مني ثقافة ولهم سبق كبير علي في الدراسات الدينية ولكنهم ربما كانوا أقل مني قدرة على مجادلة من لا يعرفون من الناس، بينما كنت أعرف معظمهم، وكانت معرفتي ببعضهم حميمية. وربما السبب الآخر أنه كان يحب طريقتي في الجدال، إذ كان يجدني مقنعا. وكان قد قرأ لي مقالات عديدة كتبتها وأحبَّ طريقتي في تناول المواضيع. وعلى كل حال ومهما كانت الأسباب فقد احتفظ بها لنفسه. وطلب مني أن أستعد نفسيا للمهمة."

ولكن بوتو أجاب أن الخليفة يجب أن يحضر إلى المجلس الوطني ولن يقبل سواه.

وقال طاهر فيما بعد: "كان ذلك خطأً من بوتو؛ إذ توقّع أنني سأُرسَل مندوبًا من الجماعة لكوني أكثر قدرة على مواجهة المدعي العام والمشايخ. وقد كان مخطئا جدا في ذلك وأؤكد لك أنه كان من المستحيل علي أن أعرض القضية بذلك الجمال والهدوء دون انفعال وبذلك الاقناع الذي قام به الخليفة الثالث. لقد وهبه الله حينها صفات خاصة ليقوم بذلك بهذه الروعة. وإن قرأت محاضر الجلسات ستدرك بوضوح ما أقول."

وعلى كل حال كان طاهر مسئولا عن كتابة ثلاثة من أكثر الفصول أهمية في الأدلة التي قدمها الخليفة للمجلس؛ الأول كان عرضا مكتوبا تناول بعض الأسئلة الأساسية المتعلقة بكون الأحمديين مسلمين أم لا، وتعاليم محمد

عمن يستحقون أن يدعوا أنفسهم مسلمين، والفروقات بين الطوائف المختلفة في الإسلام التي هي أكبر وأكثر جذرية في بعض الطوائف مما هي عليه بين المجلس والجماعة الإسلامية الأحمدية. ثم ورد فصلٌ يتناول منطقية القانون المقترح وما يتضمنه من مخاطر، وإن كان من حق أية مؤسسة أو مجلس أو سلطة قضائية أو أي نوع آخر من التنظيمات في العالم التدخل بالدين بالطريقة المقترحة وأن يكون من صلاحيتها أن تعلن أن أحدا يعتقد غير الذي يدعيه. كتب طاهر هذا الفصل بنفسه مستعينا بالطبع ببعض العلماء، وكذلك كتب الفصل الأخر في خاتمية النبي. وقد ساهم أيضًا بشكل كبير في إعداد الفصول الأخرى التي شارك بها العديد من العلماء صابين فيها معرفتهم وحكمتهم وخبرتهم.

كانت جلسات الاستماع في المجلس سرية، واستبعدت الصحافة والجمهور ولم ينشر أي تقرير. كان طاهر في كل يوم بعد الانتهاء من الجلسات هو صلة الوصل بين الخليفة والخبراء الذين أحضرهم: "لكوني أخوه استطعت أن أدخل وأخرج بحرية تقريبا وأحيانا كنت أبقى مستيقظا جل الليل لأنقل تعليماته وأُرجع إليه. كنت منهمكًا جدا والأعضاء الآخرين من فريقه الداعم في تحضير المواد له. كنا نناقش كيفيه عرضها بحيث لا يحدث لبس وليكون كل شيء واضحا قدر الإمكان. وكنا نقترح حججا جديدة مبنية على تعليقات أعضاء المجلس الوطني. لم يكن ليقبل كل ما نعرضه لكنه عادة ما كان لا يرفضه.

"على سبيل المثال، افتُرض أن احتجاجا ما سيطرح، فاقترحت أن يؤتى ببعض الكتب التي كنت قد قرأتها وأعرف مكانها، واقترح آخرون كتبا كثيرة أخرى. وبذلك جمعنا المواد وقسمناها بيننا وتصفحناها بسرعة ودوَّنا النقاط المهمة ثم قدمناها للخليفة. وأذكر أنني وُفقت مرة لأداء خدمة مهمة، فقد شعرت أننا عندما سنطرح فكرة أن الشيعة قد أصدروا صراحةً فتاوى بتكفير

جميع فرق المسلمين من غيرهم سيثار جدالٌ، وأنه على سبيل التحدي سيُطلَب منا حتما أن نقدم النصوص الأصلية من كتب الشيعة الداعمة لطرحنا. لم تكن هذه الكتب في مكتبتنا المركزية وشعرت بأهمية الأمر، وكان لدي إحساس قوي بأن أحدهم سيقف ويقول: "أرني النص الأصلي، إننا لا نثق بمراجعكم". ولحسن الحظ تذكرت أن خبيرا كبيرا في الشيعة واسمه القاضي محمد يوسف يعيش في مردان في (مقاطعة الحدود الشمالية الشرقية) لديه مجموعة قيمة من الكتب عن الشيعة. ولا أعرف إن كان أولاده حافظوا على مكتبته الخاصة تلك، وكانوا جميعا من الأحمديين المخلصين. إذن أرسلت عددا من الشباب في سيارة "جيب" وطلبت منهم أن يحضروا المكتبة كاملة وأن يعودوا قبل الصباح؛ ففعلوا. وبالطبع في اليوم التالي قام أحد المشائخ بحماس وقال: "لا أصدق هذا... أرني الدليل الأصلي." فتمكنا من إبرازه، وكان محرَجا جدا."

وقال طاهر بأن المناقشات دامت ١٤ يومًا وحدثت الكثير من الغرائب في هذه المدة. كان الخليفة الثالث وطاهر يناقشان ما جرى بعد انتهاء جلسات الاستماع اليومية.

"لم أكن تحت التوتر ذاته المفروض عليه، وكنت أحيانا أقول بأنه كان علينا أن نذكر بعض النقاط التي ما ذكرناها فكان يوافقني ويقول: صحيح، ولكن كيف نعيدها على الطاولة الآن؟ والأمر الغريب الذي حدث دون استثناء أننا كنا نذهب للمجلس في اليوم التالي فيقف المدعي العام ليقول للخليفة: وجدت أن النقاش في النقطة الفلانية قد أقفل البارحة وقد اقتُرح أن يطرح عليك السؤال التالي... فكان دائما السؤال الذي أردناه بالضبط أن يناقش! ولأني كنت ناقشت هذه النقطة مع أخي كنت أشعر بمتعة عظيمة ورضا لأن الله قبل رغبتي وجعلني عونا له."

وبتذكر المناقشات استعجب طاهر من ضحالة الأدلة المقدمة من قبل خصومه وضعفها: "لم ينقضوا دليلا واحدا من معروضنا المكتوب. والمسألة الأكثر أهمية من وجهة نظرهم كانت آية ختم نبوة محمد، ولكن لا يختلف مسلمان في خاتمية محمد كآخر نبي مشرع، وقول غير ذلك أمر مستبعد تماما. ولكن في أثناء الألف وأربعمئة سنة من وفاة رسول الله قد أعلن العديد من علماء المسلمين عن اعتقادهم بإمكانية مجيء نبي تابع له من بين المؤمنين. واعتقادنا أنه ظهر في شخص ميرزا غلام أحمد الذي أصبح المسيح الموعود. واعتبر معارضونا في المجلس الوطني كل موضوع جانبي إلا موضوع ختم النبوة، ولم يقدموا دليلا واحدا لصالح اعتقادهم الخاص بخاتمية الرسول الكريم. كل ما قالوه: لأنكم تعتقدون بهذا فأنتم لستم مسلمين ولأنكم تعتقدون بذاك فأنتم غير مسلمين. ولكني أقول ودون تحفظ أن المعتقدات التي نسبوها لنا ليست معتقداتنا على الإطلاق." *(وهذا سلوك فكري أشار إليه في إحدى محاضراته أحدُ الأساتذة في الأديان المقارنة في الولايات المتحدة قائلا: "إذن فمن المهم، لمعرفة صدق الأحمدية، أن نفهم ما ادّعى به أحمد وما لم يدّع به، ولكن معارضي الأحمدية لا يراعون هذا الأمر الهام.")*

وأكمل طاهر قائلا: "إن الأحمدية التي نسجوها ولفقوها كانت وهما، كانت شبحا ابتكروه بخبث من كتابات الأحمدية التي قاموا بليها وحرفها لتستنتج منها نتائج خاطئة. فقلنا: إنا نرفض هذه الآراء، فما هذا مذهب الجماعة الإسلامية الأحمدية. فالقرارات التي اتخذوها لم تكن تتعلق بعقائد الجماعة الأحمدية، ولم تُمسّ أو تُنكر أو تُهدم أي من معتقداتها، بل ظلوا يكبرون شبح الأحمدية هذا الذي نسجوه بأنفسهم ثم أخذوا بإدانته. فكانوا كمن صور من الشمع شكلا –كما في بعض طقوس الفودو أو السحر الأسود– ثم بدأوا يغرزون الدبابيس فيه ظنا منهم أن الأحمدية ستصاب بمقتل.

ولكن الشكل الذي صوروه لم يكن الأحمدية و لم يكن يُشبهها و لم يكن يمثلنا بل كان نسجا من خيالهم فما أصابنا من أذى."

وأضاف طاهر قائلا: "اختلط على الكثيرين دور المسيح الموعود في إقامة الجماعة الإسلامية الأحمدية. إن أسوتنا الوحيدة في الحياة هو النبي محمد، وعلى سبيل المثال عندما كنا نخطئ بطفولتنا كنا نُدعى للتأسي بنبي الإسلام الكريم و لم يحدث قط أن جُعِلَ المسيح الموعود المرجع. فما هو نِدٌ له ولا ينبغي ولكن المشايخ المعادين للأحمدية لن يستطيعوا فهم ذلك أبدا؛ فهم يظنون أننا نؤمن بنبي آخر وأنه أخذ يشاطر مؤسس الإسلام الشرف والمكانة والسلطة، وهذا مناف للواقع. إن ما فعله المسيح الموعود أمامنا ونقدمه للناس أنه تبع رسول الله بكل إخلاص في حياته وقَفَا أثره؛ فلم يكن مثلا يحتذى به، ولكنه كان مثالا يدل على إمكانية اتباع النبي الكريم الآن حتى بعد ١٤٠٠ سنة. ولذلك فما تُظهره حياته دائما أنه شخص وفَّق بين إيمانه بالقرآن الكريم وإيمانه بمحمد المثل الأعلى. فإن كان المسيح الموعود يستطيع فعل ذلك فلم يعجز الآخرون؟ فكل ما حققه كان بسبب إيمانه الكامل والمطلق بالنبي الكريم."

*لكن حجج الخليفة الثالث ذهبت سدى، وفي عام ١٩٧٤ أعلن المجلس الوطني الباكستاني أن الأحمديين ليسوا مسلمين.*

ومنذ ذلك العام مُنع الأحمديون من الحج إلى مكة، وسرح العديد من الضباط الأحمديين الكبار من الجيش والقوى الجوية وحُرِم الضباط الأحمديون الأقل رتبة من الترقيات. وحدث إجحاف مشابه في كل الدوائر والمؤسسات الحكومية؛ فأدرك من كان سفيرا من الأحمديين أنه لن يُعيَّن بمنصب سفاري أعلى، والمدرسون الجامعيون أنهم لن يصبحوا أساتذة بعد ذلك وأطباء المستشفيات أنهم لن يصبحوا رؤساء أقسام أبدا.

ووجد من هم في المناصب الأدنى من هذه من الأحمديين؛ كمهندسي الاتصالات والحاسب الذين تخرجوا حديثا في الكلية التقنية، أن زملاءهم الأقل منهم كفاءة قد فُضلوا عليهم بالتعيينات. وقد أرضى ذلك أعداء الجماعة لكنه لم يكن الطريقة المثلى لاختيار الصفوة.

بدأ الأحمديون، لحرمانهم من تكافؤ الفرص في بلدهم، يتطلعون إلى بلدان أخرى فبدأت الهجرة إلى بريطانيا وألمانيا وكندا والولايات المتحدة وغيرها من البلدان. وكالعادة فإن من تكبد عناء الهجرة كانوا نخبة البلد من الشباب والأصحاء والمتعلمين، فأصبحت خسارة باكستان مكسبا للدول الأخرى.

وقد احتجت الجماعة أن المجلس قد انعقد سرا و لم يعرف شعب باكستان الأسس التي بني عليها القرار، وطلبت أن ينشر المجلس الأدلة المكتوبة والمناقشات التي تلتها. رفضت حكومة بوتو ذلك، واستمرت برفضها على تزايد الطلب على نشر المناقشات. وسئل أحد كبار وزراء الحكومة بعد اجتماع مغلق للمحامين:

"لماذا لا ننشر المناقشات؟"

فنظر الوزير إلى السائل بامتعاض وقال: "أتريد أن تصبح كل باكستان أحمدية؟"

وبعد فترة قصيرة صودرت مدارس وكليات وأراضي الجماعة الإسلامية الأحمدية التي بلغت مساحتها ما يقارب ٢٠٠٠٠ هكتارا، وما مُسَّت أراضي التبشير المسيحي والمنظمات الدينية الأخرى. وعندما رُفع الأمر بأن الجماعة الإسلامية الأحمدية ما هي إلا تنظيم ديني وخيري وأن القانون يجب أن يطبق بالتساوي أجاب بوتو أنه سيعمل على إصلاح الخطأ، ولكن شيئا من ذلك لم يحصل.

بعدها وفي إحدى المرات قام بوتو بدعوة الخليفة الثالث إلى مكان إقامته الرسمي لطلب دعم الجماعة، وكان يريد دعم الجماعة له مع أنه أصدر

التشريع العقابي ضدهم، وشرح أنه لم يرد إصدار هذا التشريع ولكنه أجبر على ذلك وقدم ضمانات على أن التشريع محدود ولا يتناول إلا وضعهم أمام الدستور وكونهم مسلمين وبأن التشريع لا يتدخل مطلقا في حقهم في ممارسة دينهم. وقال للخليفة الثالث بأننا أجبرنا على تمرير هذا التشريع وما أردنا إلا تهدئة الأصوليين، وقد كرر هذا التعبير بأساليب مختلفة، قد نكون سيئين ولكنا أفضل من الأحزاب السياسية الأخرى. كما قال بأنه دُفع لاتخاذ إجراءات أكثر صرامة ضد الجماعة ولكنه لن يفعل. وفي النهاية أدخل الشاي وقام بوتو بسكب فنجان للخليفة الثالث؛ فرفضه الخليفة الثالث وقال: "إنك رأس حكومة دولة أنا مواطن فيها، لقد طلبت مني المجيء واستجبت كمواطن لطلبك، ولكن قبولي الضيافة في بيتك بعد كل الذي فعلت ضد جماعتنا مسألة أخرى، فأرجو معذرتي؛ لا يمكنني تناول هذا الفنجان من الشاي." فكاد بوتو، وهو رجل شديد الكبرياء، أن يتجمد وهو واقف والفنجان بيده، ثم وضعه ببطء.

بازدياد اضطهاد الجماعة انطلقت همسات عما لعبه طاهر من دور، فيقول: "أعلم أني كنت في تلك الفترة محط نقد العديد من الناس؛ إذ قالوا لو لم تساعد بوتو ولو لم تقنعنا بأنه أفضل شخص يصوت له لكانت الأمور على غير ما آلت إليه. لم أندم قط وما أنا بنادم الآن على الدور الذي لعبته في خدمة بلدنا وقتها لأني أعلم أن البديل كان أسوأ بكثير، ولكني تألمت كثيرا من اضطهادهم لنا ودعوت الله أن يدافع عنا ودعوت الله أن يعاقب مضطهدينا وتجافى جنبي عن مضجعي لياليَ عديدة. وفي إحدى الليالي استيقظت فجأة من سريري وقد تملكتني قوة لا يمكن وصفها مع أنها كانت تجربة مشابهة جدا للإلهام الذي تلقيته من الله عندما كنت صبيًا؛ ووجدت نفسي أكرر بكل قوة ودونما سيطرة على نفسي عبارة: "أدهى وأمر، أدهى وأمرَّ". وكنت أعيد العبارة مرة تلو أخرى. كنت قد قرأت عن إلهامات من

هذا النوع وفيها تبدأ بقول أشياء ولا يكون لك سيطرة على الكلمات التي قد لا تدركها تماما أيضا، ولكنك تكون عاجزا تماما بين يدي قوة تجبرك على تكرار الكلمات. وقد وجدت نفسي أرتجف عندما كنت أكرر الكلمات، ثم استعدت وعيي تماما وأدركت الكلمات التي كنت أنطق بها وسببها. كنت أعي بشكل عام المعنى لكني لم أعرف السياق، فنهضت وأشعلت النور وبحثت عن مكان ورود تلك الكلمات في القرآن الكريم. ثم سلمت أمري لله مهما كانت الطريقة التي شاء أن يحقق ذلك."

ازدادت زعزعة استقرار حكومة بوتو ولكنه حاول يائسا أن يتمسك بالسلطة بإقامة تحالفات أو فكها بما تقتضيه مصلحته السياسية. وفي تموز/ يوليو ١٩٧٧ أطاح به ضياء الحق، الذي كان قد عينه قائدا أعلى للجيش، بانقلاب عسكري. وبعد عامين، ومع وجود الاعتراضات الدولية، قام ضياء الحق بمحاكمته بجريمة قتل والد أحد معارضيه السياسيين، فحكمت عليه المحكمة بالإعدام. كانت هناك صرخة عالمية ضد الحكم عليه بالإعدام للاعتقاد بأن دافعه ضرورة سياسية وليس إحقاق الحق. وما ظن أحد أن الجنرال ضياء سينفذ الحكم مع أن رغبته في إقصاء بوتو كانت شديدة.

وبعد عامين في الصباح الباكر والليل لم يرفع سدوله بعد، استيقظ طاهر فجأة: "كان لدي شعور قوي بأن شيئا ما قد حدث، فاستلقيت مستيقظا بعدها حتى وقتي المعتاد للقيام للصلاة. لم يكن من عادتي على الإطلاق الاستماع للمذياع عند الصباح ولكني فعلت في ذلك الصباح، وأول ما سمعت أن بوتو قد شُنق."

## الفصل الرابع عشر

# بهداية الله

كان ظفر الله خان آخر من وصل من هيئة الانتخاب إلى المسجد المبارك وسط ربوة المحاذي لمكان الإقامة الرسمي للخليفة. أحاط المسجدَ فسحةٌ تقارب مساحتها ١٠ هكتارات، ولكن في العاشر من حزيران/ يونيو ١٩٨٢ بدا وكأن سكان ربوة كلهم –قرابة ٤٥٠٠٠ نسمة– قد تركوا بيوتهم وتوجهوا إلى المسجد. لقد أتوا ليشهدوا بحسب الإمكان انتخاب الخليفة الرابع. وقد انضم إليهم أكثر من ١٥٠٠٠ أحمدي آخرين وصلوا ليس فقط من باكستان ولكن من الهند وبريطانيا والولايات المتحدة الأميركية وكندا وكذلك من ألمانيا وفرنسا وهولندا ونيجيريا وسيراليون وغامبيا وماليزيا، أي من كل البلدان التي وجد فيها أحمديون. فامتزجت الثياب المزركشة من شرق وغرب أفريقيا مع اللباس المحافظ لأحمديي ألمانيا وبريطانيا مع القمصان والسراويل للشعب الهندي والباكستاني.

وشكا الجميع –مهما كان مكان مجيئهم أو ما كانوا يلبسون– من الحر. فقد بلغت الحرارة ٤٦ درجة مئوية وأغشي من الحر على العديد من الناس بين الجموع المرتصة ككتلة واحدة، فسُحبوا إلى الظل. وتدفق سيل مستمر من الناس من البيوت المجاورة جالبين ما استطاعوا من الماء ليقدم للمنتظرين. معظم الناس كانوا ينتظرون منذ منتصف الليل بعد أن وصل الخبر الهاتفي عن وفاة الخليفة الثالث من إسلام آباد إلى ربوة. وقد وجد ظفر الله خان البالغ حينها تسعين سنة من العمر الحرارة مروعة. كان ينتظر الأخبار في مسجد لندن عندما جاء الاتصال من ربوة ليبدأ سفره المتواصل؛ فركب طائرة مباشرة إلى إسلام آباد ثم طائرة أخرى إلى لاهور حيث كانت بانتظاره

سيارة لتقله إلى ربوة. ما أكل إلا القليل في رحلته وتناول على عجل في بيت الضيافة بعض الحساء والخبز، ثم جاء طاهر فتشاركا تلك الوجبة البسيطة ثم غادر طاهر إلى المسجد وتبعه ظفر الله خان ببطء برفقة المسئولين الذي فتحوا له طريقا بين الحشود. وقد أبقوا الباب الرئيس للمسجد مفتوحا من أجله وعندما أصبح داخله أُقفل الباب وحرسه ثلاثة مسئولين كي لا يدخل أحد ليبدأ في الإسلام انتخاب الخليفة الرابع للجماعة الأحمدية. واحتل ظفر الله خان، آخرُ الداخلين، مكانا متأخرا في المسجد على كرسي بين الأحذية. وأعطي كرسيا توقيرا له لكبر سنه، والكرسي الوحيد الآخر جلس عليه ميرزا مبارك أحمد رئيس مكتب التبشير الخارجي ( foreign mission department) أي التحريك الجديد وكان المسئول الأكبر في الجماعة فترأس الاجتماع. وقد كان هو أيضا في فرنكفورت في ألمانيا عندما أصيب الخليفة الثالث بالنوبة القلبية الثانية وتوفي. والآن وبعد أن وصل أعضاء لجنة الانتخاب المئة وثمانية وأربعون إلى ربوة فسينتخبون الخليفة الجديد. الخلافة غير متوارثة فقد يكون الخليفة أي واحد من الجماعة الأحمدية ولكنه غالبا ما يكون من بين الـــ ١٤٨ الحاضرين. وقد اختيروا أعضاء في هذه اللجنة بناء على ما قدموه من عمل ولاستقامتهم في حياتهم وسلوكهم الطيب. فكان الحاضرون أمراء من مناطق ومدن مختلفة في العالم وأمراء سابقين ومسئولين شغلوا بعض المناصب في المنظمات المختلفة ومبشرين من الذين خدموا الجماعة لسنة على الأقل في أي بلد من العالم، وبالطبع أي من صحابة المسيح الموعود الأحياء. وقد أُخذ من كل واحد منهم موثقا يضمن أن يكون من يحق له الانتخاب من المسلمين الذين يؤمنون بشكل كامل ودون تحفظ بنبوة أحمد كمسيح موعود والخلافة من بعده. وكانت كلمات العهد: "أقسم بالله الحي القيوم أني أؤمن بالخلافة الأحمدية، وأقسم أني لن أصوت لمن حكم عليه

وأعلن أنه خارج الجماعة الأحمدية كما لن أصوت لمن حكم عليه وأعلن أنه على صلة بخصوم الأحمدية والخلافة الأحمدية."

كان كل عضو في الهيئة الانتخابية قد أُعطي شهادة عضوية تجدد دوريًا وكانت تلك الشهادة هي التي يطلبها الحراس على الباب من كل فرد أراد الدخول إلى المسجد. وضعت قواعد انتخاب الخليفة الجديد في كانون الأول/ ديسمبر من عام ١٩٥٦ بعد محاولة اغتيال الخليفة الثاني تأكيدا على ضرورة التمكن من انتخاب خليفة جديد في الأربع والعشرين ساعة التالية لوفاة الخليفة السابق. وانتخاب الخليفة الجديد يمكن أن يحصل بغض النظر عن عدد أعضاء الهيئة الحاضرين في هذه المدة؛ فالجماعة قد تكون بخطر بدون قائد. وإن لم يكن هناك ضرورة ملحة كما كانت الحالة وقتها فيمكن تأخير الانتخاب إلى ثلاثة أيام ليتمكن كل من يستحق الانتخاب من بلوغ ربوة.

وعندما أعلن المسيح الموعود عن تلقيه وحيًا يخبره بقرب أجله شرح التقدير الإلهي بضرورة من يخلفه لإكمال عمله. وقد طمأنه الله أنه لن يتوفى قبل أن تتحقق العديد من النبوءات. ولن يموت قبل أن تبدأ ثمار جهده بالظهور. لم يكن الوقت قد حان بعد لكن الله أخبره أنه عليه الاستعداد للرحيل وأن من بين مهامه تمهيد الطريق لخليفته ليتابع عمله. "لقد وعد الله بأنه يرزق هذه الجماعة رقيًّا وازدهارا"، "وإنه سوف يرزق هذه الجماعة كل تقدم وازدهار، بعضه على يدي وبعضه الآخر من بعدي." وقال المسيح الموعود أن ذلك لن يظهر فورا، بل سيبدو كأن وفاته جاءت بغير وقتها. وقد كتب في وثيقة عرفت فيما بعد بالوصية أن تلك طريقة الله في فعل الأشياء.

توفي موسى في طريقه إلى الأرض المقدسة وحينها تأثر أتباعه بشدة لفقدان قائدهم وبقوا يبكون في الصحراء إلى أربعين يومًا. وكذلك الأمر بالنسبة لعيسى إذ تشتت أتباعه بعد موته المزعوم وأنكره بطرس أكثر تلاميذه إخلاصا له.

حتى إن بعض أتباع محمد تركوا الإسلام بعد وفاته، ولكن الله أظهر قدرته الثانية بعزة فقام أبو بكر بكل حزم ليعلن عن صدق ما وعد الله به في القرآن بأنه سيمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ويبدلهم من بعد خوفهم أمنا. وكذلك حصل مع المسيح الموعود.

وقال المسيح الموعود: "لقد بُعثتُ من الله تعالى كمظهر لقدرته ﷻ، فأنا قدرة الله المتجسدة. وسيأتي من بعدي آخرون، سيكونون مظاهر قدرة الله الثانية. لذلك كونوا منتظرين لقدرة الله الثانية داعين لمجيئها مجتمعين. ولتجتمع كل جماعة من الصالحين في كل قطر وليدعوا حتى تنـــزل القدرة الثانية من السماء، وتُرِيَكم أن إلهكم إله قادر كل القدرة. أيقِنوا أن موتكم قريب، إذ لا تعلمون متى ستحل تلك الساعة! وينبغي لصلحاء الجماعة ذوي النفوس الطاهرة أن يأخذوا البيعة من الناس باسمي من بعدي. فالله يريد أن يجذب إلى التوحيد جميع الأرواح ذوي الفطرة الصالحة من مختلف أقطار المعمورة، سواء أكانوا من أوروبا أم من آسيا، وأن يجمع عباده على دين واحد. هذه هي غاية الله ﷻ التي أُرسلت من أجلها إلى الدنيا. لذلك اجعلوا هذه الغاية نصب أعينكم، ولكن باللطف وحسن الخلق وكثرة الدعاء."

ثم توسع المسيح الموعود في كيفية اختيار خلفائه قائلا:

"يتوقف انتخاب هؤلاء على اتفاق رأي المؤمنين، فمن اتفق عليه أربعون مؤمنا بأنه يتأهل لأخذ البيعة باسمي فهو مجاز لذلك. وعليه أن يكون أسوة حسنة للآخرين. لقد أنبأني الله قائلا إنني سأقيم لجماعتك من ذريتك شخصا وأخصه بقربي ووحيي. وبواسطته سوف يزدهر الحق، وسيقبله الكثير من الناس."

وأضاف أن عليهم التحلي بالصبر وأن ينتظروا ظهور ذلك الرجل في وقته المحدد، وحتى ذلك الحين سوف يبدو كرجل عادي وربما غير مناسب. وقال

لا تعجلوا بحكمكم وتذكروا أن الذي قُدِّرَ له أن يكون أفضل البشر أتى عليه حين لم يكن أكثر من بذرة في رحم أمه.

ثم أضاف مجددا رسالة السلام التي كانت تفيض من كل كتاباته ومنه في حياته قائلا: اجتنبوا البغض والضغينة، وعامِلوا بني البشر بالمواساة الصادقة. اسلكوا كل سبيلٍ من سبل الخير، لأنكم لا تدرون بأي السبل تُقبَلون.

اجتمع داخل المسجد المبارك في عام ١٩٨٢ أعضاء الهيئة الانتخابية المئة والثمانية والأربعون الذين وصلوا ربوة على مجموعات؛ لتجد أصحاب المسيح الموعود وإلى جانبهم أعضاء صدر أنجمن- التنظيم الرئيسي للجماعة- ويجاورهم أعضاء التبشير الخارجي، ولكن كل هذه المجموعات كانت تلتحم عند أطرافها.

ذكرت أسماء عديدة لشغل منصب الخليفة الجديد ولكن الآن كما وضح ميرزا مبارك أحمد لن يكون هناك نقاشات ولا دعاية لأي مرشح ولا نقاش حول انتخاب أحد المرشحين دون الآخر؛ لقد كانوا هنا لانتخاب خليفة جديد والله سوف يهديهم لذلك ولا مجال للنقاشات العقيمة وكل ما هو مطلوب أن يطرحوا اسم الشخص الذي يعتقدون بوجوب كونه الخليفة المقبل. وعندما كان يشرح هذه النقاط كان هناك باستمرار همهمة انفعال، وقد وصف ظفر الله خان هذا الانفعال العاطفي الشديد الذي عم المسجد أثناء الانتخاب بدقة. كما وصف أيضا ولكن بمتعة أقل الحرارة القاهرة التي عانوا منها داخل المسجد. كان ظفر الله خان نحيل البنية وأضاف تقدمه في العمر إلى جسده ضعفا ووهنا، وكان يرتدي سُتْرَةً وقميصا وسروالا فضفاضا ومع ذلك أصبح يقطر عرقا. ويذكر أن ثيابه تبللت وكأنها غطّست في حوض ماء.

كان الانتخاب سيتم برفع اليد وعُيِّن بعض الأعضاء لعد الأيادي ليكونوا كفارزي أصوات، ثم سأل ميرزا مبارك أحمد عن أول اسم وعلى الفور

صرخت مجموعة من قرابة خمسين شخصًا اسما. ثم سأل ميرزا مبارك أحمد عن اسم آخر وفجأة صرخت مجموعة أخرى من المنتخبين، فسأل عن اسم آخر فصُرِخ باسم آخر. ثم سأل عن اسم آخر وفي هذه المرة خيم صمت؛ سيكون اختيار الخليفة من بين الأسماء الثلاثة.

ثم قال ميرزا مبارك أحمد أنهم سيصوتون على الاسم الأول فرفعت الأيدي وعدها الفارزون وعادوا إلى ميرزا مبارك أحمد بالنتيجة، ثم وقف وطلب الصمت الكامل فتوقف صوت الهمهمات بشكل كامل، وقال لا داعي لمزيد من التصويت. أصبح طاهر أحمد الآن الخليفة الرابع، وانتخبه ١٣٠ ناخبا من أصل ١٤٨. كانت هناك رعشة انفعال عظيمة وضجيج ولكن ذلك توقف بمجرد وقوف طاهر لأداء القسم الذي سيغير حياته إلى الأبد، فلم يعد كأي رجل عند ١٠ ملايين من الناس؛ أصبح رجل الله، رجل يستجيب الله دعاءه بعناية ومودة، رجل ليس بإمكانه أن يُرى طريق الخلاص فحسب بل يضيؤه. لن يريح المرضى والمشرفين على الموت فحسب بل بإذن الله يمكنه أن يشفي المرضى والمشرفين على الموت. سيكون من الآن فصاعدا رجلا يهديه الله في كل قرار يتخذه. قد يخطئ في اتخاذ قرار لكن الله سيضمن أن يصبح ذلك القرار الأولي الخاطئ هو القرار الصائب في النهاية.

ولاحقا عندما حاول تذكر مشاعره وقت الانتخاب قال طاهر: "كنا جميعا مدركين جدا أهمية المناسبة حتى إني لأظن أنه لم يعر أحد انتباها من كان يطرح اسم من، ومن ناحيتي لم أنتبه لذلك إطلاقا. كان اسمي أول اسم ذُكر، ولا أستطيع وصف شعور الاضطراب العميق الذي أصابني، لقد كنت مضطربا إلى درجة توقفت فيها عن التفكير. فكرت بشخص واحد فقط ليصبح الخليفة وهو أخي الأكبر ميرزا مبارك أحمد، فقد كان أكبر مني بكثير وشغل مناصب أهم من المناصب التي شغلتها كما كان يحظى بالاحترام أكثر

مني. كان اسمه ماثلا أمامي على أنه الرجل الذي يجب أن يكون الخليفة المقبل. ثم فجأة أصبحت أنا الخليفة."

أدى الخليفة الجديد القسم باللغة الأوردية وقرأه بصوت قوي ثابت:

"أقسم بالله الحي القيوم أني أؤمن بيقين بالخلافة الأحمدية وأعدُّ مناوئيها ممن ضلوا السبيل. سأعمل بكل ما أوتيت من قوة على استمرار الخلافة الأحمدية إلى يوم القيامة وسوف أسعى بجد لأبلِّغ رسالة الإسلام إلى أقصى أطراف الأرضين. ورعاية حقوق الناس كلهم واجب عليَّ بغض النظر عن مكانتهم أو ظروف حياتهم، أغنياء كانوا أم فقراء متواضعين، رجالا أم نساء. وسوف أعمل من كل قلبي وبكل قوتي بمساعدة الجماعة لأنشر بركات وعلوم القرآن الكريم وسنة رسول الله إلى كل الشعوب في العالم."

ثم أعلن الخليفة أنه سيأخذ البيعة وقال:

"لهذا الغرض أرغب في أن تكون يد أحد صحابة المسيح الموعود المتميزين فوق يدي" وأشار إلى حيث كان ظفر الله جالسا على كرسيه في آخر المسجد بين الأحذية. لم يسمع ظفر الله خان كلمات الخليفة ولكن فجأة فسح له الطريق ليجد نفسه مدفوعا بشيء من العجل إلى مقدمة المسجد، وساعدت الأيدي على إبقائه قائما. قال لاحقا أنه في وسط الزحام وقف أحدهم على قدمه اليسرى التي أصيبت بخدر كامل. أخذ الخليفة يده بلطف ثم قبض عليها بقوة. وضع الآخرون أيديهم فوق يديهما. ومن كانت يده تمس يد الخليفة أمسك بيد آخر وأمسك كل واحد بيد غيره حتى شكل أعضاء الهيئة الانتخابية سلسلة بشرية لأخذ البيعة معا. كان صوت ظفر الله خان منخفضا ويرتجف من التأثر، فكرر العهد الذي أخذه على يد المسيح الموعود أولا ثم على يد خليفته الأول نور الدين ثم خليفته الثاني بشير الدين ثم خليفته الثالث ناصر ثم الآن على يد خليفته الرابع طاهر. وقال لاحقًا: "لقد كان فضلا كبيرا من الله أن أعرف المسيح الموعود وأعيش في زمنه ثم أن أحيا

زمنا كافيا لأعرف هؤلاء الرجال الأربعة العظام الذين انتخبوا خلفاء له... لقد منَّ الله علي كثيرا."

البيعة من البيع، فأن يبايع الناس يعني أن يضعوا حياتهم وإيمانهم ومستقبلهم تحت تصرف الخليفة. ومنذ تلك اللحظة أصبحت رغباته عند أتباعه أوامر. وكانت الكلمات التي رددها معا ظفر الله خان وكل أعضاء الهيئة الانتخابية هي التالية:

" أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أبايع اليوم على يد ميرزا طاهر أحمد وأنضم إلى الجماعة الأحمدية، وأستغفر الله من كل ذنب وسأبذل قصارى جهدي لتجنب كل أنواع الذنوب في المستقبل، لن أشرك بالله أحدا. لن أسيء الظن ولن أقترف النميمة ولن أسبب الأذى لأحد وسأوثر ديني على دنياي وسوف أسعى دائما للتمسك بكل تعاليم الإسلام. وسوف أبذل قصارى جهدي لقراءة وسماع وتلاوة وذكر القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ وكتب المسيح الموعود عليه السلام. سوف أطيعكم في كل ما تأمرونني به من معروف. سأبقى مؤمنا بقوة بأن محمدا ﷺ هو خاتم النبيين وكذلك أؤمن بكل ما ادعاه المسيح الموعود عليه السلام. استغفر الله ربي من كل ذنب وأتوب إليه. رب إني ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. آمين."

أدركت الحشود في الخارج أن القرار قد اتُّخذ، وكان بإمكان من في المسجد سماع ضجيج الناس خارجا. فُتحت أبواب المسجد الثلاثة على مصارعها ورغم جهود الحراس تدفقت إلى الداخل الحشود كبحر بشري كاد يغمر من بالداخل. وعُرف اسم الخليفة وصيح به بين الجمع. وقد صيح به وصيح به حتى أصبح الضجيج يصم الآذان. أراد الجميع أن يبايع الخليفة الجديد فحل الرجال عماماتهم لزيادة عدد من يرتبط بقائدهم الروحي وجُنَّتِهم، بالرجل الذي اختاره الله لهم. فأخذ الخليفة البيعة من الناس مرة تلو

أخرى. كان يلبس قبعة عادية من جلد الخراف معروفة باسم "جناح" نسبة لمحمد علي جناح مؤسس باكستان، وفجأة ازداد الضجيج؛ فقد اقترب أحد أتباعه حاملا العمامة البيضاء ذات الوسط المذهب التي أصبحت غطاء الرأس التقليدي للخلفاء. فوضعها الخليفة على رأسه وسط كثير من الإثارة وتابع أخذ البيعات. وبعد ساعتين أعلن الخليفة أن على الجميع الانتشار. صلاة جنازة الخليفة الثالث ستكون في الخامسة، فعلى الجميع أن يغادروا المسجد الآن ويتوجهوا إلى مقبرة المؤمنين، مقبرة الجنة، ويصطفوا هناك. أما هو فرجع إلى بيته، فأخذ البيعة من زوجه وبناته وآخرين من الأقارب ولكن قبل ذلك أخذ بيعة عمته أمة الحفيظ بيغم آخر بنت للمسيح الموعود على قيد الحياة. وقبل أن يفعل ذلك أخذت الخاتم الفضي الذي أصبح رمزا للخلافة وألبسته إياه في إصبعه الثالث من يده اليمنى. وكان المسيح الموعود قد طلب أن ينقش على زمرده وحيا أوحاه الله إليه: "أليس الله بكاف عبده".

توفي الخليفة الثالث ميرزا ناصر أحمد قبيل منتصف ليل ٨-٦-١٩٨٢ في بيته في إسلام آباد الذي نزل فيه بعد نوبة قلبية. كان يبلغ ٧٣ سنة. كان المختصون مهتمين جدا وبناء على طلبهم استُدعي طبيبا قلب آخران من لندن للاستشارة. وبدا للوهلة الأولى أنه قد يتعافى ولكن حالته تدهورت في صباح يوم وفاته. كانت أسرته، زوجه وأبناؤه الثلاثة وابنتاه قد بقيا في إسلام آباد منذ نوبته القلبية الأولى. كانوا حافين من حول سريره وكان بينهم طاهر الذي كان الممثل الرسمي للجماعة في إسلام آباد. وفي الساعة ١١:٤٥ ليلًا أصيب الخليفة الثالث بنوبة قلبية ثالثة وتوفي. نُقل الخبر مباشرة هاتفيا إلى ربوة ومن هناك انطلقت اتصالات إلى كل أنحاء العالم لاستدعاء أعضاء الهيئة الانتخابية إلى ربوة لانتخاب خليفة جديد يؤم بعد الانتخاب صلاة الجنازة على الخليفة الثالث.

نقل جثمان الخليفة الثالث من إسلام آباد في الساعة الرابعة صباحا ووصل إلى ربوة على بعد ٢٢٥ ميلا قبيل العاشرة صباحا. وبدأت أمام بيت الخليفة طوابير من المعزين لم يبدُ لأرتالها نهاية وامتدت إلى قرابة خمسة أميال. وبعد نصف ساعة من وصول النعش إلى ربوة بدأ المعزون يمرون أمامه. خيم حزن كبير على الجميع، وعلى كل من عرف الخليفة الثالث. كان ذكيا، ومجدا، حمسًا للفقراء والمحرومين ولكن أعظم ميزاته كانت إخلاصه. كان يشع طيبة. وحتى بين الذين كانوا يعارضونه بشدة لمعتقداته وجد العديد ممن اعتبروه رجلا باركه الله ببركة خاصة. وعندما بدأ انتخاب الخليفة توقفت طوابير المعزين خارج المنـــزل. واجتمعت ألوف تلو ألوف في شوارع ربوة التي ستمر بها جنازة الخليفة الثالث، واجتمعت ألوف أخرى على التلة المطلة على المقبرة.

داخل المسجد كان هناك ارتباك وإثارة وسعادة، أما الآن فقد هدأ كل شيء والناس منتصبون بصمت شبه كامل. ازداد توافد الناس إلى مكان الدفن وجاء عبر مكبرات الصوت أنه لا يزال هناك مكان شاغر في الجهة الشمالية من التلة.

وخارج منـــزل الخليفة الثالث جاء الناس لينالوا شرف حمل نعش الخليفة الثالث إلى المقبرة. وضعت عوارض طويلة تحت النعش بزوايا قائمة ليتسنى لأكبر عدد من الناس أن يكونوا من بين من حملوا النعش. وبتقدم الموكب عبر المدينة كان الحاملون يسلمون أمكنتهم لغيرهم لينالوا هذا الشرف أيضا. وبمرور الموكب سُمِعت مِرارا تلاوة آية: "إنا لله وإنا إليه راجعون".

وعندما بلغ الموكب مكان الدفن توقف وكان الجميع صامتين ثم أُعلن عبر مكبرات الصوت أنه لما كانت المقبرة لا تتسع إلا لعدد قليل من الناس فإننا نرجو من الإخوة ألا يدخلوها- للاشتراك في مراسيم الدفن بعد صلاة الجنازة

– إلا الذين تُعلن أسماؤهم، أما الآخرون فنرجو منهم أن يبقوا حيث هم إلى نهاية الدعاء الجماعي الأخير.

قدر عدد المشاركين في الجنازة بنحو خمسين ألفا. وحفر على الشاهد الرخامي لقبر الخليفة الثالث اسمه وتاريخ ميلاده ووفاته. وخيم الصمت على الحشد عندما رفع الخليفة يديه للدعاء الأخير الصامت. ثم انتشر الناس بهدوء إلى منازلهم.

## الفصل الخامس عشر

# تحقق نبوءة

في الصباح التالي لتولي الخليفة الرابع مهامه قامت حراسته بجولة حول البيت. قد كانوا معه مذ فُتحت أبواب المسجد وأُعلن انتخابه. معظمهم كانوا شبابًا من الطلاب أو العاملين في مجالات مختلفة تدافعوا للتشرف بحراسة الخليفة ومكان إقامته في الليلة الأولى. لقد تلقوا تعليمات عن مهامهم من رجال أكبر منهم يشكلون الحراسة المعتادة للخليفة. لم تُتوقع أية مشاكل و لم تحصل فتمشوا وتبادلوا الحديث دون قلق في برودة الصباح الباكر. كانوا يتكلمون بهدوء لأن المنزل كان صامتا وكانت الساعة السادسة صباحا. الواضح أن الجميع ما يزال نائما بعدما حدث في اليوم السابق من سعادة وحزن وتوتر عاطفي. ثم خرج الخليفة من الباب الأمامي وذهب إلى حيث وضع دراجته، وقال لحراسه المندهشين أنه ذاهب إلى مكتب التبشير الخارجي. لم يكن يريد سيارة، كان يريد أن يتريض واقترح عليهم أن يأخذوا دراجات ويتبعوه؛ ففعلوا. ولكن في ذلك المساء رفع إليه رئيس حرسه احتجاجا؛ فلم تكن المسألة مسألة رياضة فإن كان حراسه مشغولين في مداوس الدراجات فلن يستطيعوا الانتباه لسلامته. وذكر بكل دبلوماسية ممكنة أن سلامته وصحته كانت تعني كل أحمدي؛ فوافق الخليفة على مضض. وبدأ عبء مهامه ومسئولية منصبه يلقي بثقله. إن أول وأهم تغير كان في طريقة مخاطبة الناس له. إن أطفاله كما هو معتاد كانوا دائما يخاطبونه بصيغة الجمع للاحترام. وقد هُجِر في اللغة الإنجليزية استخدام صيغة الجمع لمخاطبة المفرد، وفي اللغة الأوردية وكذلك الفرنسية والعديد من اللغات الأخرى تستخدم صيغة المفرد في المخاطبة بين الأقارب والأصدقاء.

أما الآن فإن الجميع حتى إخوته وأخواته أصبحوا يستخدمون صيغة الجمع في اللغة الأوردية لمخاطبته. إن حميميتهم وحبهم العائلي لم يزل موجودا ولكن أضيف له شيء آخر. لقد كانت علاقة مختلفة. لقد احتاج إلى بعض الوقت ليتأقلم مع هذا الوضع. "كنت أشعر بالحرج الدائم، لكأنهم كانوا يخاطبون منصبي. وكنت أشعر بعدم الارتياح عندما يخاطبني الناس بكلمات وتعابير التشريف والتكريم وكان ينتابني شعور بأنهم يخاطبون شخصا آخر غيري وكنت أكاد أنظر حولي لأرى من هو. هذا الشعور بالازدواجية لازمني فترة طويلة جدا، وتدريجيا اندمجت في ذلك الشخص الذي هو نفسي والخليفة معا."

لو سأل أحدهم أعضاء الهيئة الانتخابية لماذا صوتوا له لهزوا برءوسهم دهشة على سذاجة السائل وسؤاله. لا حاجة لتعداد صفاته. لم يصوتوا له ولكن الله اختاره وهو يعلم المهام التي على الخليفة الرابع تأديتها ولذلك هدى الناخبين في خيارهم، ولم يكن هناك من داع لأية اعتبارات أخرى.

ولكن أحد الناخبين عبر عن الأسباب لديه التي كانت: علمه العميق بالقرآن الكريم وتعاليم الإسلام، مودته ورحمته وحبه وعلاقته الوطيدة بأعضاء الجماعة ومساهماته الفريدة في الأوقات العصيبة التي مرت بتاريخ الجماعة وقدرته القيادية المتميزة.

ترى هل أسف الخليفة نفسُه على كونه اختير؟

"الأسف يكون ممكنا عندما يكون لك الخيار فقط. وعندما لا يكون هناك خيار فلا يمكنك أن تأسف على شيء. يمكنك التمني طبعا ولكن هذا لا ينطبق على حالتي. لم يكن بمخططاتي على الإطلاق أن أبلغ تلك المكانة ولم أسْعَ لذلك المنصب."

وبالالحاح عليه أكثر بهذا السؤال أي إن كان يتمنى لو لم يختر، أجاب:

"لا، ولا حتى هذا، إني أستمتع بحالة المعاناة التي لا مفر منها في سبيل هدف نبيل، فلم أعانِ من ذلك مطلقا وأنا مدرك تماما أنه تحدٍّ صعب."

وحدث مرة أن أحمديا حاول أن يتوجه لشخصه كطاهر للتأثير عليه كخليفة وذكر طاهر ذلك قائلا:

"لقد ورد ذلك في رسالة، وذكر لي أنه صوَّت لي، فأغضبني ذلك بحق وقلت له إنه لا يهمني على الإطلاق معرفة تلك المعلومة، قرارك بالتصويت في ذلك الوقت لا علاقة له بما يحصل الآن، ولا أظنك تصْدُقُني بما كتبت. وإني لأظنك حرَّفت شيئا ما، وقد هز ذلك صورتك عندي بشكل كبير."

وأضاف الخليفة قائلا: "لا علاقة للمشاعر الشخصية بهذا الانتخاب. وإن صوَّت لك الناس فإنهم لم يتفضلوا عليك شخصيا؛ إنهم صوتوا لك لوفائهم للقضية وليس أمامهم سبيل آخر، فعليهم أن يصوتوا لمن يعدونه أكثر الناس تقوى وليس أمامهم خيارات أخرى. هذا مسلكنا ولذلك لا علاقة لمن صوَّت لك ومن لم يصوِّت."

لم يكن انتخابه مفاجئا لاثنين من أتباعه، فقد عرفوا منذ خمسين عاما أنه سيُختار في النهاية خليفة! أحدهم كان أنور كاهلون الذي لا يزال يتذكر يوم مولده الذي وافق وصول أول قطار إلى قاديان. وعلى كونه أكبر منه بعشر سنوات لكنهما أصبحا صديقين حميمين عندما كان الخليفة طالبا في لندن. لقد أصبح رجل أعمال ناجح وقبل تقاعده أصبح أمير الجماعة في بريطانيا. وكان دائما يخاطب الخليفة بصيغة الجمع للاحترام حتى عندما كان الأخير طفلا. ولكونه حفيد المسيح الموعود تقبل طاهر ذلك دون أن يلتفت للأمر. وقد انتبه بعض الناس لذلك ولم ينتبه البعض الآخر.

عندما كان السيد كاهلون طفلا، أخبرته أمه أن يحترم كل أفراد أسرة المسيح الموعود وأن يحترم طاهر بشكل خاص. وعندما سأل عن السبب قالت له بأنها لن تخبره وأن عليه أن يفعل ما أمر به. فوعدها ووفى بوعده

الذي قطعه قبل خمسين عاما وعلى كونه يكبر طاهر بعشر سنوات فلم يخاطبه إلا بصيغة الجمع. وعندما أصبح هو وزوجه أمينة بيغم صديقين حميمين لطاهر في لندن ما كانت زوجه تنادي طاهرا إلا بصيغة المفرد وتدعوه بـــ "طاهري" ولكنه استمر هو باستخدام صيغة الجمع احتراما. وعندما سئل الخليفة إن كان انتبه لذلك قال: "نعم، كان يفعل ذلك دائما ولكن لا أعرف السبب."

ولكن بعد أن أصبح طاهر خليفة قال له والده: "الآن سأخبرك لماذا طلبت أمك منك أن تحترم طاهرا بشدة."

وشرح له أن أمه كانت صديقة حميمة لأم طاهر، وفي بعد ظهر أحد الأيام عندما كان طاهر يبلغ قرابة ثلاث سنوات وكانت تزورها غادرت أم طاهر الغرفة فجأة لتعود ومعها عمامة زوجها الخليفة الثاني ولفّتها على رأس طاهر وقالت: "سيصبح خليفة في يوم ما" ثم لشعورها بالدهشة من هذا الاندفاع استحلفت أم أنور على الكتمان و لم تقل لماذا كانت تؤمن بأن ذلك سيحدث وأُقفل الموضوع نهائيا.

حدث هذا اللقاء من بعد الظهيرة، وقد أخبرت أم طاهر بالإلهام في صباح ذلك اليوم؛ كان الخليفة الثاني جالسا مستغرقا في تفكير عميق وقال لها في النهاية أن الله أوحى له أن طاهرا سيصبح في يوم من الأيام الخليفة.

وكأي أم كانت مريم تأمل الكثير لابنها الوحيد. وكانت لها مكانتها الخاصة إذ كانت من نسل رسول الله وكانت خطيبةً للابن الخاص للمسيح الموعود مبارك. بالطبع كان للخليفة الثاني ١١ ابنا آخرين ولكن الآن بدا أن أمنيتها ستصبح حقيقة ولذلك كانت دائما تريد لطاهر أن يتفوق في كل من دراسته وعلمه وتطبيقه للإسلام.

في ذلك الصباح تحكمت مريم بعواطفها حتى غادر الخليفة ثم أصبحت ترتعش وتتنهد وعلى تلك الحالة وجدتها شابة تدعى كلثوم بيغم. وكانت

تَعُدّ أم طاهر كأم لها وكانت تزورها بانتظام. أدركت أنها لم تكن تبكي من حزن أصابها إنما لتجربة عاطفية كبيرة. في البدء رفضت أم طاهر أن تذكر لها ما كان يشغلها ثم استحلفت الفتاة على الكتمان وألا تكشف هذا السر إلا بعد تحققه ثم أخبرتها أم طاهر عن نبوءة الخليفة. وحفظت كلثوم بيغم وعدها، ولم تفصح عن شيء مع أنها تزوجت مبشرا أحمديا والتقت طاهرا مرارا خلال الخمسين عاما التي تلت ذلك، لم تعامله بطريقة مختلفة عن إخوته وما شك هو بشيء. وبعد أن انتخب خليفة رابعا قابلته على انفراد وأخبرته بالوحي الذي كشفه الخليفة الثاني لأمه.

## الفصل السادس عشر

# الحياة الأسَريَّة

عندما انتخب طاهر خليفةً كان عمر ابنته الكبرى شوكت جهان اثنين وعشرين عاما. وعندما تكلمت عن حياتهم العائلية وعن كيفية تأثير انتخابه على الأسرة تكررت فكرة قلة رؤيتهم له واشتياقهم له. لقد كثر غيابه عن البيت، وكان يقضي وقتا أقصر على المائدة وقلَّ خروجه معهن. وفيما عدا ذلك وعلى كونه الخليفة الآن فإن الحياة الأسرية لم تتغير.

وعند سؤالها: هل كان أبًا صارما؟

قالت: "لا، بتاتا! لقد كان دَعِبًا جدا وله طرائف" وقصَّت بمتعة أنها عندما كانت في الخامسة عشر من عمرها، ذهبت مع أبيها بسيارة لاند روفر مكشوفة في طرق مغبرة ووعرة وكيف تأرجحت بهما للأعلى والأسفل وكيف كانا يصرخان مستمتعين عند كل مرتفع على الطريق، وكيف أن الغبار كساهما و لم يبق منهما إلا العينين والفم عندما وصلا المكان المبتغى.

وقد ذكرت ما تمتعتوا به في مسبحهم وعندما كانت ترافق أباها على الدراجة إلى المزرعة لجمع الحليب. كما ذكرت ما لعبته معه من أشواط في كرة المضرب، وكيف علمهم الرمي بالقوس واستخدام جهاز القفز (Trampoline)، وكيف اعتادوا جني فاكهة الجوافة من شجرة حديقتهم ليقّطعوها ثم لتجلس كل الأسرة لأكلها في هدوء الليل المظلم. وقالت بأن تلك كانت ذكريات سعيدة من الطفولة. كما تذكرت الحيل التي كانوا يحتالون بها على بعضهم؛ ففي أحد الأيام عندما كنَّ صغارا رجع من مكتبه وقال لهنَّ: "اليوم سأريكن بعض السحر؛ فبأي نوع من الحلوى ترغبن وأين تردن إيجادها؟" فقالت شوكت جهان أنها تريد نوعا من الحلوى الصفراء

اللون وأنها تريد أن تجدها في خزانة حددتها. أما أختها فائزة فقالت أنها تريد نوعا من الحلوى مصنوع من الكريمة والسكر وأنها تريدها على الرف الثالث في خزانة في غرفة الطعام. فحرك طاهر يديه وقال: "حسنا، تم الأمر، يمكنكما الذهاب والحصول على مطلبكما". فانطلقتا، ولدهشتهما وجدتا الحلوى حيث طلبتا. حسبتا ذلك سحرا بالفعل وأخبرتا الأصدقاء أن أباهما يستطيع أن يحدث سحرا. وبعد بضع سنين عندما تذكرتا الحادثة سألتاه كيف فعل ذلك. فقال بأن الأمر بسيط، فقد عرف نوع الحلويات المفضل عند كل منهما كما عرف أيضا الأماكن التي تحتفظان بها بأغلى أشيائهما وفيها وضع الحلويات، ثم قام بتشجيعهما على طلب وضع الحلوى في المكان الذي كان وضعها به أصلا. وقد استمتع بما فعلنه به من حيل؛ فابنته فائزة وبعد أن أنهت كل الحلوى التي أعطاها إياها إلا واحدة غلفت حصيات في ورق الحلوى الملون البراق ووضعت العبوة على مكتبه ووضعت إشارة استفهام كبيرة على ظهر العبوة. علمت كل صديقاتها بما حضّرت لأبيها وانتظرن بترقب. وبعد برهة وجدت العبوة أعيدت إليها وعليها ملاحظة كتب فيها: "لقد أخذت حلواي فخذي الآن حلواك." وكانت القطعة الوحيدة التي أبقتها في العبوة قد فقدت! وتذكر فائزة: "لقد سرت صديقاتي لخداعه إياي".

وفي رحلاتهم الطويلة بالسيارة كان طاهر يسليهنَّ مبتدئا بإنشاد قصيدة ليجد الجميع نفسه يردد معه. وعندما حفظت ابنته الصغرى طوبى غيبًا قصيدته عن بناء ربوة وأخذت تحاول الالقاء بين القول والإنشاد، غمره السرور.

وفي العطل كان يجعل الجميع يشترك بنشاطات ممتعة. ففي إحدى المرات ذهبوا في إجازة مع عائلة أخرى كانت فكرتها أن تقضي العطلة بالنوم والكسل. لم يناسب ذلك طاهرا فقد كان يستمتع بالنشاطات فقام بتنظيم

جولات ونزهات وشواء ولعب ككرة المضرب، فالتحقَ أفراد الأسرة الأخرى بهم.

إن جولاتهم في العطلة التي قضوها في كندا والولايات المتحدة لا تزال في ذاكرة بناته وإن كن صغيرات في السن. لقد كانت مليئة بالأحداث. وتذكر فائزة أن النادل في أحد مطاعم كندا سألها إن كانت تريد البطاطا مع قطعة لحم (steak)، فلم تسمع جيدا ما قاله النادل واختلط على سمعها كلمة steak بكلمة snake أي "حية" وتوجهت لأبيها بيأس وقالت "حية؟ لا أريد أن آكل حية!" فانفجر طاهر ضحكا. وقد أصبح موضوع أكل الحيات من نكت الأسرة.

في الليلة الأولى من تلك العطلة ناموا في السيارة التي استأجروها بعد محاولة فاشلة في نصب الخيمة التي اشتروها. "لسوء الحظ، لم يشتر أبي كل المستلزمات الضرورية لنصب الخيمة فما استطعنا نصبها، وكان الجو ممطرا والجميع تعبا فتكدّسنا فيها، ولم يكن الأمر مريحا على الإطلاق، وبالطبع كنا أول من استيقظ في اليوم التالي. قام أبي في تلك العطلة بالطهو كثيرا وساعدناه، وبالنتيجة كان يكتشف أننا نسينا العديد من الأشياء وراءنا في مكان تخييمنا السابق الذي غالبا ما كان يبعد مئات الأميال عنا، ولكنه لم يتزعج قط. كان يشجعنا جميعا على الطهي. وأذكر أني كنت أطبخ في البيت وما كان أحد ليأكل من طبخي إلا أبي، وكان يقول إنه لذيذ!"

إن حسه الدعابي امتد ليطالَ كبار الأقرباء الذين كان يعاملهم أفراد العائلة الآخرون بكل احترام. ولكن الاحترام لا يعني أن تكون جامدا، فبإمكانك التمتع بالدعابة وإن كنت كبيرا. وتذكر ابنته شوكت جهان أنه جاء في ظهيرة أحد الأيام إلى البيت ومعه لحيتان كثتان مستعارتان إحداهما سوداء والأخرى بيضاء، وكان معه أصابع من طلاء التمويه. فألبس زوجه والمربية اللحيتين وطلى وجهيهما بطلاء التلوين ودثرهما بقطعة قماش أبيض وأعطى

كلا منهما عصا طويلا، ثم أرسلهما لطرق أبواب بعض الأقارب. وتخفّى هو وشوكت جهان مع بقائهما قريبين بما يكفي ليسمعا. وأول بيت ذهبوا إليه كان بيت الأخت الكبرى للخليفة الثالث. ففتحت الباب ثم صكته بسرعة عندما رأت رجلين عجوزين غريبين أحدبين يتمتمان أمامها بلغة غريبة. ثم غادر "الرجلان" مسرورين لما أحدثاه من اضطراب إلى منزل آخر وتبعهما طاهر وشوكت جهان. وفي هذه المرة جاء الاستقبال أكثر مفاجأة بعد أن تشجعا من زيارتهما الأولى فطوَّرا حركاتهما وتمتمتهما. واستمر الأمر على هذا المنوال، وبالنهاية عاد طاهر وشوكت جهان مع الرجلين العجوزين على أعقابهم إلى الأبواب التي طُرد منها العجوزان ليدرك بعدها أقرباؤه الدعابة.

وتتذكر فائزة كيف علمها أبوها السباحة بقذفها بلطف في الماء من فوق كتفيه وهو فيه. "في البداية كنت مرعوبة وكنت أصرخ ثم اعتدت الأمر ثم أجدت السباحة بعد فترة قليلة لأني لم أعد خائفة كما سبق ولأني كنت أعلم أنه لن يدع مكروهًا يصيبني."

ومع ذلك فقد شارفتْ في إحدى المرات على الغرق في حادث سباحة مع أبيها؛ فقد كانت تسبح مع أختيها وكان طاهر على ظهر قارب تجديف يراقبهن، وبدل البقاء عند مؤخرة السفينة كما أمرها قامت بطريقة ما بالنزول أسفل مقدمة القارب وبينما كان طاهر يجدِّف صدم المجداف رأسها فأغشي عليها وحشرت تحت القارب. شعر طاهر باصطدام وظن أنها بعض الأغصان أو الحطام الطافي، ثم أدرك غياب فائزة ثم رآها طافية في النهر. ولا تزال فائزة تذكر القلق الذي ارتسم على وجه أبيها وفي عينيه عندما سحبها إلى القارب. "بالطبع هو يضحك على ذلك الآن قائلا أني كنت أظن نفسي سمكة بسباحتي تحت القارب."

لقد أحدث انتخابه خليفةً تبدلا طفيفا في علاقة كل بناته به، وقالت إحداهن: "إني كنت أقول لصديقاتي إن أبي هو أفضل صديق لي، وبالطبع هو

لا يزال كذلك لكن أصبح عليَّ مشاركته مع ملايين الناس الآخرين ولذلك فالأمر أصبح مختلفا." ومع ذلك فإن بناته يقلن بأنه لا يزال بإمكانهن مكالمته وإن كن أقل حرية، وليس الأمر أنهن ازددن احتراما له الآن؛ فقد كنّ يحترمنه أصلا ولكنه الخليفة الآن، فكان هناك احترام له لأنه الخليفة، واحترام لأنه أبوهن.

وقالت شوكت جهان: "قبل انتخابه خليفة ربما كنت أقرب إلى أبي من أمي، أما الآن فلم تعد لدي تلك الحرية في مناقشته كما في السابق وربما أصبحت أقرب لأمي من هذه الناحية."

ولكن متعة صحبته لم تتغير بالنسبة لأي منهن. وقد لخصت شوكت جهان مشاعرهن بالكلمات التالية: "إنه لطيف وحنون. وبوجوده هناك شعور مطلق بالأمن والحماية."

ومع قصر المدة التي أصبحوا يقضونها معا على الطعام فإن سعادة الأسرة لم تتأثر، وبقيت هناك حوارات بناءة حول المائدة. وقالت إحدى بناته: "عندما أذكر أبي، أتذكر ذكاءه وحسه الفكاهي، إنه يضحكنا ويحب المزاح." ثم أضافت أخرى: "ولكن وإن كان يمازح فإنه لا يقول كذبا أبدا، إنه لا يقول شيئا غير صحيح حتى على سبيل المزاح. فإن حدث صدق، ولذلك يمكنك الوثوق به ثقة مطلقة."

لم يكن طاهر يفرط بالأكل، وتقول إحدى بناته: "أراد دائما أن يحافظ على رشاقته ليتمكن من ممارسة الرياضات ولذلك لم يكن يكثر من الأكل حتى وإن كان من طعام يفضله."

ولكن في بعض الأحيان كان يبدو عليه ما يعانيه من ضغوط، فكان في بعض الظروف لا يأكل إلا قليلا من الطعام الذي يحبه ويكون كلامه قليلا جدا. وقالت إحدى بناته: " كنا نعلم لاحقا عن تلك الظروف، فنعرف أنه كان هناك بعض المشاكل وشيكة الحدوث لكنها لم تحدث. وفي مثل هذه

الظروف كان يفقد شهيته وما كان يجد أية شهية حتى لألذ الأطباق، وكان يقول إنه ليس جائعا ويبعد صحنه. وفي بعض الأحيان كان ينظر إلى الطعام بما يشبه الاشمئزاز ويقول: "حسنا لا أظن أن ذلك مناسب، لا أريد أن آكل شيئا كهذا" علما أن ذلك يكون مما يحب عادة."

ولكن بعد زوال الأزمة يعود للأكل مرة أخرى ويأكل أكثر مما يأكل عادة. وعندما سئل عن ذلك قال: "وكذلك يحصل معي أحيانا عند اقتراب مغادرتي في جولة، فلا أرغب في أكل شيء وأعتقد أن ذلك بسبب انشغال فكري بالأمور التي يجب إنجازها. ولكن بمجرد انطلاقي أعود للأكل مرة أخرى. لا أظن أن الطعام على الخطوط الجوية ذو جودة، ولكن عندما أركب أبدأ بالأكل وكأن طعامهم رائع وبالطبع لا يستمر ذلك إلا في الساعات الأولى."

ومع كل ذلك فالشيء الوحيد الذي لم يتبدل هو محافظته على الصلاة. ففي كل صباح يوقظ بناته لصلاة الفجر ثم يذهب لشأنه. ولم يعُدْ قط ليتأكد من استيقاظهن؛ فقد أدى واجبه. وتذكر إحدى بناته: "أذكر أني كنت نعسة جدا، فغفوت واستغرقت في النوم ثانية. فلم يقل أبي شيئا على الإطلاق ولكني شعرت بالذنب وأني خذلته وظننت أنه خاب أمله بي لأنه علم أني لم أصلِّ ولكنه لم يقل شيئا قط. فحرصت على عدم تكرار ذلك ما استطعت."

عندما كتبت له مجموعة من الفتيات طلبا للدعاء من أجل امتحانهن، كتبت له أيضا أصغر بناته. وفي اليوم التالي ذكر لهن أبوهن مدى سعادته لطلبهن الدعاء منه. لا شك أنه سيدعو لنجاحهن ونجاح زميلاتهن.

والآن بعد أن أصبح خليفة توقفت جولته على الدراجة الهوائية مع أنه كان ينظم أحيانا زيارة للمزرعة مع بناته في عطلة نهاية الأسبوع. "أحب ركوب الدراجة جدا، فهو يجعلك تسترخي بعدم تمكينك من التفكير بأمور مهمة وإلا ستقع في الحفر، وهذا الاسترخاء يعيدك لما كنت عليه."

أصبح الآن يمشي لساعة في الحدائق الواسعة عند مكان إقامته الرسمي ثم يعود ليحضر بنفسه إفطاره المعتاد المؤلف من الشاي و"البراها" وهي عجينة تُقَلَّى بالسمن. كان لشايه خصوصية، فكان يشرب فنجانا مركزا واحدا. كان يُقدم له أحيانًا في أسفاره شاي الظروف: "إنه أمر فظيع، طعمه كطعم الورق المقوى. فأنا أفضل وضع أوراق الشاي في الفنجان عند شرب ذلك."

وفي جولاته في أوربا أصبح يحب القهوة ولكن ليست الجاهزة، فكان يستخدم نوعين من البن —من كينيا ومن جنوب أميركا– ويطحنها ثم يغليها بنفسه ليحضر منها فنجانا.

لقد تقلص الزمن الذي يقضيه على الوجبات تقلصا كبيرا إلا في بعض الأيام الخاصة أو مع الضيوف الرسميين. فقد أصبح هذا الزمن لا يتجاوز ١٠ إلى ١٥ دقيقة على الغداء وربما نصف ساعة على العشاء.

"إن فترة مجالستي بناتي وأسرتي مريحة جدا؛ نتحدث فيها عن أمور عادية وعن الحياة الأسرية، ومن يفعل ماذا، وعن رأيهم في بعض الأمور. وإن أكثر الأوقات المريحة بالنسبة لي الدقائق القليلة قبل النوم وفيها أفكر بهدوء دون أية ضغوط ودون الحاجة لاتخاذ أي قرارات، فأنت تدَوِّر الأمور بهدوء في ذهنك ويطرح عقلك تساؤلات عن العديد من الأمور. ولكن فيما بعد وجدت متعة وراحة كبيرة بلقاء الأطفال؛ إنه لمن دوافع السرور أن تكلمهم وتصغي إليهم وتستمتع ببراءتهم وحبهم. وبالطبع أنا أحب الورود وأفتن بها وأحب أن أكون محاطا بها."

ومع أنه كان دائما شخصا منفتحا إلا أنه لاحظ وجود اهتمام بالغ بحياته وأفكاره الشخصية: "إنني أدرك سبب ذلك، ولكن إن لم يسألني أحدهم سؤالا عميقا جدا يتطلب الردُّ عليه كشفَ بعض جوانب حياتي فإني أحاول عدمَ مناقشة أموري الخاصة أو أحاسيسي الشخصية. ولكن في بعض الأحيان يجب أن أفعل ذلك لاستنهاض همم الناس، وقد تكون هذه المواضيع عاطفية،

وعندها أكون في موقف لا يمكنني تجنبه. ولكن هناك مجالات أجد فيها الحياة صعبة؛ فلا يمكنني أن أجامل حيث لا مكان للمجاملة. وبالطبع الإسلام يطالب المرء بصراحة ألا يظهر مواضع ضعفه. والرسول وبَّخ أولئك الذين يذكرون عيوبهم ظنا منهم أن ذلك من التواضع والتقوى وقال بأن ذلك ليس أمرا حسنا. إنه سلوك سيئ. عندما يسترك الله برحمته يسدل على حياتك الخاصة ستارا ولا يظهر عيوبك، فإن أظهرت أنت أعماق تفكيرك فإنك لا تسلك سبل التقوى."

يتكلم خليفة المسيح الرابع مع الأحمديين في Ijebu Ode، حيث مسجد جديد في طور البناء. وسيكون المسجد الأحمدي الأكبر في نايجيريا ليتمكن ١٦٠٠ شخص من الصلاة فيه

الخليفة مع ابنته "طوبى" بعد افتتاح أول مسجد في إسبانيا

ذاهبا لصيد البط بالقرب من قاديان

مع أبيه الخليفة الثاني في دلهي عام ١٩٤٤

يظهر رأسه عند الطاولة

يلعب لعبة بنجابية مع أخيه

مع ابنته الكبرى

وزيرا حكومة من أفريقيا الغربية يلتقيان بالخليفة

يوقع نسخا من كتابه في كندا

الخليفة الثالث ومرزا طاهر أحمد في حفل زواج

على النهر قرب ربوة

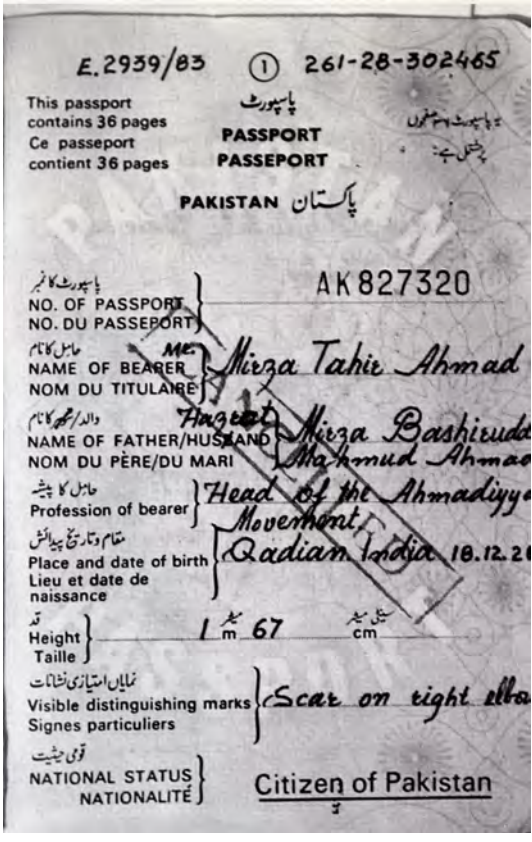

E.2939/83 ① 261-28-302465

This passport contains 36 pages
Ce passeport contient 36 pages

پاسپورٹ
PASSPORT
PASSEPORT

پاسپورٹ ۳۶ صفحوں پر مشتمل ہے

PAKISTAN پاکستان

پاسپورٹ کا نمبر
NO. OF PASSPORT
NO. DU PASSEPORT
AK 827320

حامل کا نام
NAME OF BEARER
NOM DU TITULAIRE
Mr. Mirza Tahir Ahmad

والد/شوہر کا نام
NAME OF FATHER/HUSBAND
NOM DU PÈRE/DU MARI
Hazrat Mirza Bashiruddin Mahmud Ahmad

حامل کا پیشہ
Profession of bearer
Head of the Ahmadiyya Movement

مقام و تاریخ پیدائش
Place and date of birth
Lieu et date de naissance
Qadian India 18.12.1

قد
Height
Taille
1 m 67 cm
میٹر / سینٹی میٹر

نمایاں امتیازی نشانات
Visible distinguishing marks
Signes particuliers
Scar on right elbo

قومی حیثیت
NATIONAL STATUS
NATIONALITÉ
Citizen of Pakistan

جواز السفر الذي سافر به الخليفة جهارا رغم قرار منع السفر

في غواتيمالا

يصلي مع بناته في كندا

يمارس الرماية بالقوس بالقرب من إسلام آباد في بريطانيا

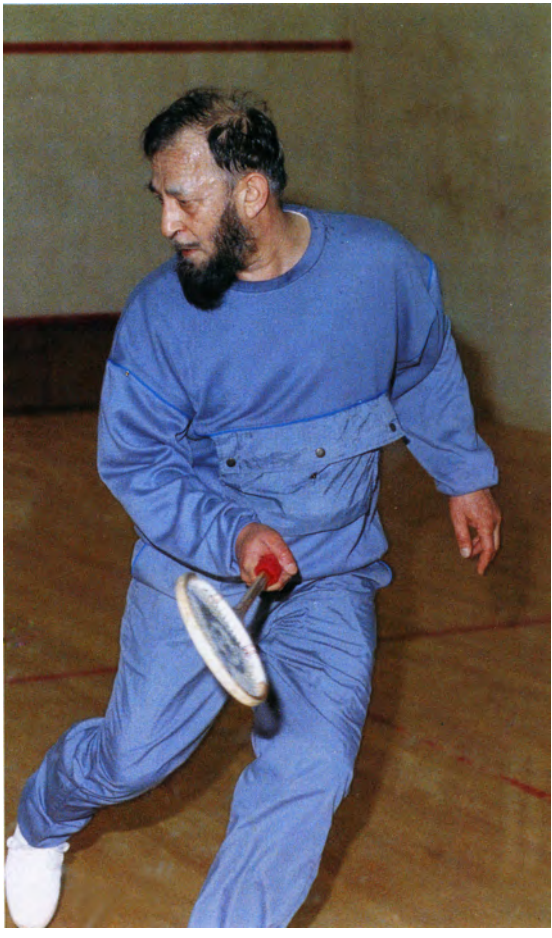

الخليفة رياضي متحمس

الخليفة مع ثلاثة من أحفاده

## الفصل السابع عشر

# الضوء في الصباح

دائما ما أدهشتْ قدرةُ الخليفة على العمل أولئك الذين كانوا على تماس به، وازدادت تلك الدهشة بعد أن أصبح خليفة. كان قبل ساعة من الفجر يعبر سكن الخلافة إلى المسجد المبارك المجاور لتأدية صلاة الفجر، وكان ذلك في الساعة الخامسة والنصف صباحا في بعض الشهور. وبعد ذلك كان يمشي في الحديقة ثم يتناول الإفطار ثم بعد ذلك مباشرة يصبح في مكتبه ليكون هو والحارس الليلي الوحيدين في المبنى.

عمل قرابة ألف شخص في مركز الجماعة عملا بوقت كامل، والمئات منهم كانوا سكرتيريته الخاصين. كانوا يأتون نحو الساعة التاسعة والنصف صباحا ويبدأون فتح وتصنيف وإحصاء الرسائل التي كانت تصله كل يوم من كل أنحاء العالم. وأصغر عدد وصل منها كان ٣٠٠، وكان العدد يقارب ألف رسالة عادةً. في مقدمتها كانت تقارير الأمراء والمبشرين واللجان والتنظيمات الأخرى. كانت تقاريرهم عما يحدث في مناطقهم مع التنويه إلى الظروف السياسية والاقتصادية والمشاكل التي تواجه الجماعة ليتسنى للخليفة تقدير أسباب اتخاذهم بعض القرارات أو وصولهم إلى بعض النتائج.

ولكن في كل يوم كان هناك المئات من الرسائل الشخصية من أناس يطلبون منه الدعاء أو النصح أو وصف دواء معالجةٍ بالمثل. كان سكريتيروه يرفقون مع كل رسالة ملخصا، وكان إما أن يتخذ القرار بناء على الملخص أو إن اقتضت الحاجة يقرأ الرسالة كاملة ثم يبت بقراره. ثم ألغى مشروعا كبيرا لأتمتة سجلاتهم بهدف تسريع العمل الإدراي ولتصل تسجيلات خطبه ليوم الجمعة إلى كل مراكز الأحمدية خلال ٢٤ ساعة. أما هو فلم يكن

يستخدم المسجلة و لم يكن حتى يملي الرسائل على سكرتير. وبدلا من ذلك كان يضع رءوس أقلام عن كيفية الرد على الرسالة، وكانت تلك عملية طويلة ومضنية ومجهدة ولكنها كانت طريقته بالعمل التي بها كان يتذكر وظائف الناس وعائلاتهم حتى بعد سنوات، وذلك الأمر كان يدفعهم للدهشة؛ فقال مرةً لطبيب رآه قبل خمسة عشر سنة أنهما تقابلا في الشارع الفلاني وأنه كان مع أخيه. فخرج الطبيب يسأل الناس باستغراب كيف أمكن للخليفة الذي قد يقابل ستين شخصا كل يوم أن يتذكر اسمه ووجهه ودونك المكان الذي التقيا به. وقال بأن لقاءه به قبل خمسة عشرة سنة كان قصيرا وعاديا، فهز فريقه رأسه بعدم معرفتهم كيف يستطيع فعل ذلك. بالطبع كانوا يعطونه موجزا كلما سنحت الفرصة لكن تذكره المباشر لوجه الشخص والظروف التي التقيا بها والتفاصيل عن عائلته هي التي كانت مدهشة. وعندما سئل عن ذلك فكر الخليفة قليلا ثم قال بأنه لا يعرف، فهو لم يعمل بشكل إرادي على تطوير أية طريقة لتذكر الوجوه والأسماء فهو يتذكرها فحسب.

في معظم الأسر المسلمة يُقرأ القرآن بعد صلاة الفجر، ولكن الخليفة قال أنه أصبح يقرأه بعد صلاة التهجد نحو الساعة الثالثة صباحا. "إنه وقت سكينة، لا إزعاج ولا ضجيج، صمت كامل؛ فهذا هو الوقت الذي أقرأ به القرآن وأقرأه بتدبر كبير. وعادة ما أخصص نصف ساعة إلى ساعة من الدراسة المنتظمة ولكن عندما أتفكر في مسألة يجب أن أدرس السور الأخرى والآيات المتعلقة بها. وإن كان لديَّ بعض وقت فراغ أثناء النهار أقرأ من القرآن ما يتعلق ببعض المواضيع التي أبحث فيها فأوسع بذلك معرفتي على ضوء القرآن."

إن قراءته تحدِّد عادةً مواضيع خطب الجمعة التي يلقيها. "في بعض الأحيان تُجَلّي بعضُ الآيات بشدة الأفكارَ الضبابية التي تتشكل في ذهني فيتداعى عليّ

على الفور ما يجب أن أقوله، وفجأةً يصبح كل شيء جليًا. ولهذا أعطي في معظم خطبي تلك الآيات مرجعيةً، وفي بعض الأحيان يسأل الناس كيف اخترت هذه الآية المناسبة جدًا. وبالواقع أظن أن العكس هو الصحيح فالآية جعلتني أداةً لأظهر الحق الذي تحتويه. قد تدفعني بعض الأحداث لأتكلم عن موضوع معين كحدوث أمر طارئ في العالم أو أخبار سيئة أو أخبار جيدة، وعدا ذلك فإن لي مخططا مستقبليا عاما لما أريد قوله. إني أريد أن أقول للأحمديين ما أحبه وما لا أحبه وما هو الذي أتوقعه من الأحمدي من سلوك في بعض المواقف. وفي بعض الأحيان النادرة تصلني رسالة ومحتواها يثير موضوعا فأتفكر به وأدرس القرآن."

ولم يكن مولعا بالأكل في المطاعم التي تناسب مقاما كمقامه؛ ففي إحدى المرات في جولة في بريطانيا وصل إلى مدينة أبردين Aberdeen وكان مَن معه يتجادلون إلى أي مطعم يذهبون ثم تنبهوا إلى غيابه. وبعد محلين كان هناك مطعم عادي يبيع الوجبات السريعة وكان الخليفة داخله. فقال لهم: "لقد طلبت سمكًا وبطاطا مقلية للجميع." إن تواضعه مع أتباعه ولا مبالاته بأهمية شخصه أصبحت على ألسن الناس. جاء محمد حسين الذي بلغ من العمر مئة سنة وهو صحابي المسيح الموعود الوحيد الباقي على قيد الحياة إلى جلسة بريطانيا السنوية بناء على طلب خاص من الخليفة. استُقبل الرجل العجوز في مطار لندن وذُهب به إلى مسجد لندن ثم جيء به بكل عناية إلى غرفة الانتظار خارج مكتب الخليفة. قام السيد عطاء المجيب راشد إمام مسجد فضل برفع سماعة الهاتف وأخبر الخليفة أن محمد حسين قد وصل. فأجاب الخليفة بالشكر فقط. ويقول السيد عطاء المجيب: "لقد فوجئت بعض الشيء لأني كنت أتوقع أن يطلب مني إدخال السيد محمد حسين على الفور. وما إن وضعت سماعة الهاتف حتى فُتح باب الخليفة وأسرع الخليفة إلى الرجل

العجوز قائلا: " أنا مَن عليه أن يأتيك يا سيدي ولست أنت مَن عليه أن يأتيني."

بعد أن أصبح خليفة ببضعة أسابيع ترك العصا التي كانت أصبحت من ملازمات الخليفة الرسمية وقال: "لا يمكن أن أشغل نفسي بحمل عصا طول الوقت."

إن قراءته فائقة السرعة ويقول: "لا أعرف سرعتي بالقراءة لأني لم أقسها قط ولكني سريع لكثرة ما قرأت." حتى إنه بعد فترة أدرك أنه لن يستطيع الاستمرار بقراءة الكتب وجني المعلومات التي ينبغي أن يحصل عليها، وكان حله أن يعطي هذه الكتب والمجلات أشخاصا لمعرفة وجهة نظرهم ويطلب منهم أن يقرأوها له ويضعوا علامة على الصفحات التي يعتقدون أنها قد تكون ذات أهمية خاصة بالنسبة له.

وعندما سئل إذا ما كان يعتقد أنه يعمل بشكل مجهد أجاب: "أظن أن لدي بفضل الله القدرة على القيام بالعمل الصعب لأني مدرب على ذلك."

في كل مرة يُختار بها زعيم ديني تحدث تغيرات في السياسات، ويجد الناصحون بآرائهم المختلفة الفرصة للتأكيد على وجهة نظر يحسبونها هُمِّشت في عهد الزعيم السابق. في بعض الأحيان يجدون أن الرجل الذي انتخبوه لا يحمل الأفكار التي اعتقدوا أنه يحملها. وفي بعض الأحيان يكتشفون أن الزعيم الجديد رجل مستقل تماما ويقدم وجهات نظر جديدة قد تكون مزعجة لكنها مبنية على أرضية صلبة فيسرّون عندها لأنهم اختاروا رجلا كهذا. ترى هل هذا الرجل جاء بمحض الصدفة؟ أم أنه أخذ بناصية الظروف وجعلها مطواع رغبته؟ هل جاء صدفة أم بتقدير الله؟

إن عهد الخليفة الثاني كان محافظا بعض الشيء. وقد اقترح بعض مستشاري الخليفة الذين تربوا تحت ذلك النظام أنه حان الوقت للعودة إلى ذلك النظام الأكثر صرامة والحياة الأكثر بساطة. وقالوا بأن الجماعة أصبحت

أكثر تحررا فأصبح الناس يسرفون مالهم ويضيعون وقتهم على المتع. وذكروا في ذلك التلفاز والأفلام وأن الأحمديين من كل الفئات العمرية وليس فقط الشباب قد غرر بهم في هذا المجال. وقد عبر ظفر الله خان وهو محافظ شديد عن عدم سروره عندما دعي على العشاء إلى بيت طاهر قبل أن يصبح خليفة ووجد عنده تلفاز؛ وصاح: "ماذا أرى؟ هل استسلمت أنت أيضا لهذه الأمور غير المجدية؟ ويذكر الخليفة أنه أجابه: "لم استسلم لها ولكن وجهة نظري مختلفة، فأنا لا أعتقد أن التلفاز سوء كله حتى بوجود بعض البرامج التي لا يجب متابعتها. وإن قال أحدهم "لا" بشكل مطلق وطلب من الأحمديين الآخرين أن يتشددوا مثله فما الذي قد يحصل؟ أفلن نكون ممن يواجهون الميول الطبيعية للشباب؟ إن منعت أولادي من مشاهدة التلفاز في البيت فربما يذهبون إلى بيت الجيران، فيفتح ذلك عليهم بابا للنفاق وإخفاء الأمور عني والتمتع بالأمور بخفاء. وهذا طريق خطير جدا قد يؤدي إلى أشياء أخرى. فأنا أفضل أن يشاهدوا التلفاز في بيتي فأكون لهم مرشدا إن لزم وأكون تحت تصرفهم إن رغبوا، فأجلس معهم وأشاهد بعض المسلسلات والأفلام، وأقر بأن بعضها مما قد لا أشاهده عادة. فأقوم بالتعليق عليها وبعد زمن تُفهم مواقفي وفحوى الأشياء ويقل الاهتمام بذلك ولا يحصل تمرد على ما قد يعتبر فكرا محافظا لديّ مطلقا." وقال الخليفة بأن ظفر الله خان أدرك الطريقة التي كان يربي بها أسرته.

وفيما إذا كان نبذ أفكار الخليفة الثاني، أجاب: " إنني بكوني مسئولا عن الجماعة أقول يجب السعي لتحسين حياة الأحمديين في المجالات الروحية والأخلاقية وغيرها، ويمكن في زمن معين وفي ظروف محددة أن تكون الصرامة هي التي تبلغ هذه الأهداف، وفيما بعد عندما تتغير الظروف عليك أن تغير استراتيجيتك لبلوغ الأهداف نفسها. فأنا لا أخالف أبي أو أرفض مقاربته للأمر لبلوغ هذه الأهداف العظيمة، ولكني وجدت أني إن تمسكت

باتباعه شكليا فقط فسوف أفشل بتحقيق هذه الأهداف السامية وأُلحق بالجماعة ضررا. فالفرق هو في الأسلوب وليس في الغايات والمبادئ." ثم عاد لاحقا إلى مسألة الإباحة باسم الحرية الفردية وإذا ما كان الذنب فقط من وجهة نظر المتأمل. "إن سياسة الإمساك بالعصا من الوسط قد تكون صعبة، ولكن بالتحليل النهائي فهي المقاربة الوحيدة القادرة على خلق التوازن في المجتمع والمنقذة من الزلل. أظن أن هناك إفراطا في مفهوم الحرية، ولَئِنِ اتُّبع الشر بحرية بحسب مفهومنا للشر فلن يقف بوجهه أحد، ولذلك فمن الضروري أن يمارِس مَن هم ضد هذا الشر المتنكر بالحرية الفردية حقَّهم في التعبير بحرية عن رفضهم لهذه الميول. يجب تشجيع الناس على التعبير ضد كبت الحريات، وذلك بالحكمة والعلم والاقناع والمنطق ليتمكن الناس من رؤية ما يفعلونه بأنفسهم. ومن الضروري أن يستمر، إضافة إلى الحريةِ، صوتُ الحرص والحكمة بتوعية الناس بعواقب الأمور التي أصبحت ظاهرة للعيان من خلال تدمير الحياة الأسرية والقيم الأخلاقية؛ من انتشار الإيدز إلى هجر المسنين في بيوت خاصة بهم وعدم زيارتهم من قبل أولادهم إلا عَرَضًا. إن الناس ينقلبون على الحضارة معرضين عن القيم التي تعلمناها في آلاف السنين من التطور، ويفعلون ذلك باسم الحرية والتحرر. إننا نسيء الفهم ظانين أن السعادة التي نريد الحصول عليها في الحياة تكون بإزالة كل الحدود. ولكن عدم الالتزام بالحدود ليس السبيل؛ لأنه بمجرد القيام به يجعلك تتعدّى على حقوق الآخرين وحقهم بالسعادة. ولذلك يجب أن يكون هناك تدريب على القناعة وتعليم بأن الحصول على المتعة لا يجب أن يكون بدون ضوابط. يسهُلُ الالتزام بالحدود والضوابط فيما يتعلق بالممتلكات ولكن يصعب ذلك عندما يتعلق الأمر بالحب والكراهية."

تحمل العديد من سيارات الأحمديين لصاقات كُتب فيها: "الحب للجميع ولا كراهية لأحد" وهو شعار أطلقه الخليفة الثالث. وقال الخليفة أن كل

أحمدي بالطبع من حيث المبدأ يؤمن بهذا الشعار، فلا مجال في البدء لسلوك آخر سوى الحب وعدم الكره. ثم قال: "ولكن فيما بعد إن استمر الناس بِشَرِّهم فسوف يصبح من المستحيل أن تحبَهم لأن المرء في النهاية لا يمكنه التفريق بين الشر وفاعله. ومع ذلك فعلى المرء أن يستمر بالدعاء ليغير الله الشرير ويبعده عن سبل شره. ولكن لو استمر الشرير على شروره فإن الله سوف يعاقبه."

ومن تصرفه وخطبه وردّات فعله وطرق تعامله مع الناس أصبح بيِّنا أن الخليفة الرابع قد وضع بالحسبان أن العالم قد تغير؛ فلن يكون أسير الماضي ولن يكون أسير الواقع كمتفرجٍ سلبي.

## الفصل الثامن عشر

# حركة تبشيرية

إن الحركة الأحمدية في الإسلام هي، فوق كل شيء، حركة تبشيرية، وهدفها هو تحويل العالم إلى الإسلام، ولإنجاز غايتها فقد ظهر نظام معقد لكنه بسيط يقوم بجمع الأموال وإنفاقها على رعاية الأمور الدينية والأخلاقية لأتباعها وعلى نشر عقائدها.

هو بسيط من ناحية أنه يخضع لسلطة رجل واحد – الخليفة، وهو معقد من حيث أن له مهام عديدة، ونتيجة لذلك تم إحداث مجموعات مخصصة، ولجان وملحقات للتصدي لهذه المهام، وعبر السنين قد تطورت هذه لتصبح تنظيمًا مؤهلًا ومكرسًا، إن الظروف الصعبة قد أكسبته منعة.

الخليفة هو الرأس الأعلى لهذا النظام، وهو ليس بحال من الأحوال نوعًا من رئيس وزراء إسلامي. إن إيمان الحركة الأحمدية مبني على الاعتقاد باستمرار النبوة؛ إن الله، بحكمته، أرسل موسى وعيسى وأنبياء آخرين، ثم أرسل محمدًا، كان هو النبي التشريعي الأخير، لا يمكن لأحد أن يفوق شأنه، هو النبي الوحيد والأوحد للإسلام، لكن هذا لا يعني أن يُدّعى أنه لن يكون هناك أنبياء آخرون أبدًا، مثل هؤلاء الأنبياء لن يأتوا بأي شريعة من الله، لكن سيكون لهم مهمات معينة من قبل الله من أجل خلاص البشرية.

أحمد كان التابع والخادم لمحمد، وهو أيضًا نبي بحسب إعلانه، لقد قال مرارًا أنه ليس نبيًا مشرعًا، كما لا يمكن لأحد أن يكون، لكنه أكد على أنه لكونه نبيًا فإنه قد حاز منزلة خاصة، كان هو المسيح الموعود بحسب نبوءات الكتاب المقدس والقرآن الكريم، والذي كلفه الله أن ينشر نوره الإلهي، وقال المسيح الموعود، أنه سيكون بعد موته خلفاء له، سيكون واجبهم المقدس هو

نشر رسالة الإسلام، وينبغي لهم أن يعتمدوا في أداء هذا الواجب كلية على الله وحده، أي ما يعرف بالعربية بالتوكل.

لقد أمر الله محمدًا في القرآن الكريم أن يطلب النصح والمشورة من ذوي الحكمة والبصيرة من أتباعه، وقيل أن هذا الأمر الإلهي ينطبق أيضًا على الخلفاء في الحركة الأحمدية، هذا الاستخدام للمستشارين لا ينقص من سلطة الخليفة بأي حال، كل أفراد الجماعة الأحمدية بغض النظر عن علو شأنهم ومكانتهم في الحياة، يتعين عليهم طاعة الخليفة طاعة كاملة وفي جميع الأمور.

كما يمكن لأعضاء الجماعة أن يطلبوا إرشاد الخليفة في أمور هي شخصية بالكامل، كالسؤال عن المكان الذي ستعيش فيه العائلة وتعمل، أو ماذا سيدرس الشاب أو الفتاة في الجامعة.

هذه القرارات يمكن أن تكون مهمة للجماعة، وهكذا فإن طبيبًا في شمالي إنجلترا أخبر الخليفة أنه يفكر في العودة إلى باكستان، أخبره الخليفة أنه سيكون من الأفضل أن يبقى في بريطانيا، الجماعة الأحمدية تحتاجه، فنصحه أن يبقى ويحاول ضم أفراد جدد للجماعة، ويجب أن يعدَّ نفسه مبشرًا.

وقال هذا الطبيب لاحقا: "لقد ابتهجتُ أن الخليفة قد وضع هذه الثقة بي، وقد أخبرت عائلتي بهذه النصيحة وألغيت التذاكر، ثم عكفت على القيام بما طلبه مني، وبالمحصلة أصبحت بلدة "هارتلِيه بول" أول جماعة في بريطانيا ضمت أكبر عدد من بريطانيي المولد".

كان في الولايات المتحدة فتىً أحمدي قد أنهى الثانوية بدرجات جيدة جدًا، كان بإمكانه في الحقيقة أن يختار اختصاصه في الجامعة وقد شعر بالميل لأن يصبح محاميًا، وقد تصادف وأن كان الخليفة في الولايات المتحدة في ذلك الوقت وقد طلب الشاب نصيحته، فنصحه الخليفة أن يصبح طبيبًا، فالجماعة أكثر حاجة للأطباء الذين يمكنهم أن يصبحوا مبشرين منها

للمحامين، لم يكن هنالك طلب ملح للمحامين في أفريقيا وأميركا الجنوبية والصين وروسيا، لكن هنالك دائمًا حاجة للأطباء.

ألم يكن مندهشًا أو حتى مترعجًا أن الخليفة أسدى له هذه النصيحة؟ ألم يكن ذلك في النهاية قرارًا شخصيًا جدًا؟

"لا مطلقًا، أجاب الشاب"، لقد كنت سعيدًا أن الخليفة قد تكرم بإعطائي الوقت لمساعدتي في مثل هذا القرار، لقد علم ما هو الأفضل لي وكيف يمكنني أن أخدم الجماعة بالطريقة الأمثل".

هذه الطاعة لتعليمات ورغبات الخليفة تتم طوعًا، لا يوجد إكراه، إنها ليست طاعة تنبع من الخوف، بل إنها تنبع من الحب. إنها تظهر الإيمان التام للأحمديين، ليس فقط برسالتهم، إنما أيضًا بقدسية خليفتهم وبأنه قد اختير من قبل الله كي يقودهم وبأن أي قرار يتخذه كبيرًا كان أم صغيرًا، فإنه سيكون مهديًا من الله وبأنه سيُتخَذ لما فيه خيرهم وخير البشرية.

الاستثناء الوحيد لهذه السلطة المطلقة والطاعة الفورية يمكن أن يحدث إذا أعطى الخليفة أمرًا يتعارض مع تعاليم القرآن الكريم أو أقوال الرسول الكريم، إلا أن هذا لم يحدث قط إلى الآن ولا يحتمل أن يحدث؛ لأن الخلفاء ملتزمون ببناء جميع تعاليمهم على هذه الكتب المقدسة للإسلام.

هذه الطاعة الكلية لقرارات خليفتهم كان لها دور كبير في نمو الجماعة. في ثلاثينيات القرن العشرين لم يكن هناك أي غني في الجماعة، وهناك قليل جدًا من متوسطي الثراء، وكانت قوة الجماعة تتركز في المناطق الريفية وبين بائعي الحوانيت وصغار التجار، بدأ هذا بالتغير خلال السنوات العشر إلى الخمس عشرة التالية عندما بدأت سياسة الحركة في الإيثار والتطوير الذاتي والتعاون المتبادل تؤتي أكلها.

ينبغي على كل أحمدي أن يكون قادرًا على قراءة كلام الله الموجود في القرآن الكريم، كما قال المسيح الموعود. ولذا فإن التعلم بنسبة مائة بالمائة

كان مطلوبًا. لقد أفاد ذلك الأحمديين ليس فقط في حياتهم الدينية إنما في قدرتهم على تحسين معيشتهم. التعلم هو مفتاح التطوير الذاتي بغض النظر عن المكان الذي تعمل به. وبالنتيجة، فقد بدأ الأحمديون في كل مكان بارتقاء سلم النجاح المادي.

إن هذا التحسن في أوضاعهم المالية كان له نتائج مهمة فيما يتعلق بالعمل التبشيري للحركة. كل أحمدي هو ملزم بالعمل التبشيري، ويجب، بدون استثناء، أن يعطي نسبة معينة من دخله للجماعة. وبالتالي فإنه كلما زاد المال الذي يكسبه الأحمديون في حياتهم اليومية زاد المال المتبرع به للجماعة. وتحت قيادة الخليفة فإن عملهم التبشيري بدأ يكتسب عنفوانًا متجددًا.

إن الحد الأدنى والإلزامي تمامًا من التبرعات المالية التي يجب على الأحمدي أن يدفعها للجماعة هو جزء من ستة عشر جزءًا من الدخل الشهري. ليس هناك استثناءات. سواءً كنت فقيرًا أم غنيًا، إن كنت موظفًا فإن مساهمتك البدئية هي واحد من ستة عشر جزءًا من دخلك الشهري، وبالتالي فإن مساهمتك الأولية يمكن أن تكون صغيرة جدًا أو كبيرة جدًا. إن نسبة هذه التبرعات قد حددت من قبل المسيح الموعود الذي، كما ذُكر في كتيّب الجماعة الأحمدية، قد "شدد كثيرًا على التضحيات المالية".

المساهمة الإلزامية الثانية هي عشر راتب شهر واحد مرة في السنة، وهذا التبرع يُنفق على تأمين الطعام والسكن والتكاليف الأخرى للاجتماع السنوي ذلك أنه، في ما عدا كلفة الوصول هناك، فإن كل شيء هو مجاني للأعضاء والضيوف.

المسيح الموعود وضع الأساس بأن أولئك الذين يتبرعون بما بين عشر إلى ثلث دخلهم الشهري، وقد أوصوا أيضًا بالنسبة نفسها إلى الجماعة من أجل العمل التبشيري، يجب أن يحظوا بمكانة عالية في الجماعة. خلال حياتهم

يحظون بلقب الشرف "موصي" وعند موتهم يدفنون في منطقة خاصة تعرف بمقبرة الجنة.

هناك مجالات أخرى للتبرعات الطوعية. من أجل العمل التبشيري خارج باكستان فإن أفراد الجماعة مدعوون للتبرع بما لا يقل عن خمس راتب شهر واحد لمرة واحدة في السنة. إن "الكتيّب" يقول "إنها اختيارية... ولكن في الوقت نفسه فإنه من الضروري لكل أحمدي أن يسهم".

هنالك معدلات مقترحة مختلفة. فأولئك الذين يتبرعون بأكثر من ٣٠٠ دولار أميركي في الولايات المتحدة الأميركية وكندا، أو أكثر من ٢٠٠ جنيه استرليني في المملكة المتحدة وأوروبا والشرق الأوسط، أو ١٠٠ جنيه استرليني أو عدل ذلك في البلدان الأخرى، يُعطون لقب "معطي من الدرجة الأولى". وأولئك الذين يدفعون ١٥٠ دولارًا أميركيًا، أو ١٠٠ جنيه استرليني أو ٥٠ جنيهًا أسترلينيًا في البلدان السابقة على التوالي، يعطون لقب "معطي من الدرجة الثانية".

الأفراد الذين لديهم أموال تكسب فائدة على حساب مصرفي والتي لم يمسّوها لمدة ١٢ شهرًا أو أكثر يجب أن يدفعوا زكاة المال عن أنفسهم. وهذه يجب ألا تقل عن اثنين ونصف بالمائة من المال الذي يملكونه في المصرف. وإضافة إلى ذلك، فإن أي فوائد على ذلك المال لا يحق لهم أخذها طبعًا، ذلك أن وضع فوائد على المال محرم. إن الفوائد المعطاة على ذلك المال يجب أن تسلم للجماعة للاستخدام في الأنشطة التبشيرية والطبية والتعليمية.

وأخيرًا، وفي النهاية، بالإضافة إلى هذه الصناديق العامة، توجد هنالك صناديق خاصة متنوعة، كصندوق اليوبيل المئوي، صندوق التبشير، صندوق الاحتياط، صندوق البناء، صندوق من أجل أفريقيا وغير ذلك. إن أبناء المساهمين الأولين في الصناديق المختلفة قد دُعوا لأن يستمروا بدفع مساهمات

آبائهم بعد موتهم وذلك "لكي تبقى ذكرى التضحيات التي بذلها هؤلاء الأوائل".

وبالمحصلة، فقد قُدِّر أن الأحمدي في الوضع الجيد سيتبرع بخمس دخله تقريبًا للجماعة.

وتحت الحماس التبشيري للخليفة الرابع، فإن عدد أفراد الجماعة سرعان ما وصل العشرة ملايين ثم تجاوزها. لقد ازداد دخل الحركة بشكل هائل، لكنه كان ما يزال غير كاف. إن الجزء الأعظم من هؤلاء الأعضاء الجدد جاء من أفقر البلدان في أفريقيا وآسيا، وفي البداية فإن هذه البعثات تحتاج لدعم مالي وبالتالي فكلما زاد عدد أفراد الجماعة الأحمدية، ازدادت الحاجة إلى سيولة أكثر.

المبشرون، ومع أنهم يتلقون راتبًا زهيدًا، فإنهم كانوا ممنوعين من ممارسة أي تجارة أو مهنة للكسب الشخصي، ينبغي أن تُكرس طاقاتهم من أجل عملهم. هؤلاء المبشرون والذين كانوا أطباء أو مهندسين أو لديهم مهارات خاصة أخرى استخدموها لتوسيع أنشطتهم التبشيرية. الأحمديون الذين عملوا بجانبهم فعلوا ذلك بدون أي مقابل مالي.

الخليفة الرابع، ومن أجل الاستمرار في مهمة تحويل العالم إلى الإسلام، سرعان ما طلب ليس فقط من أغنياء الجماعة، إنما أيضًا من مواطني الدول الأغنى في الجماعة، أن يأخذوا على عاتقهم أداء مهمات خاصة. هذه المهام عادة ما تطلبت الوقت والجهد الشخصي وحتى المزيد من التضحيات المالية الشخصية.

إن السنوات التي أمضاها يعمل في أدنى قاعدة للهرم الذي هو الحركة الأحمدية -من أعمال التنظيف وحمل القمامة في الاجتماع السنوي للعمل ككاتب صغير - تعني أن الخليفة قد عرف بالتفصيل أعمال الأقسام المتنوعة داخل الجماعة. وفضلًا عن ذلك، فقد ترعرع أيضًا داخل الحركة. وتقريبًا

منذ أن أنشأ الخليفة الثاني التنظيمات والأقسام المتنوعة فقد مر الخليفة الرابع، كطفل ثم فتى ثم شاب وأخيرًا كعضو عامل في الحركة.

منظمة الأطفال تضم الأولاد بين السابعة والرابعة عشر، فأينما وجد ٣ أو ٤ أولاد من تلك الفئة العمرية فإن تنظيم أطفال يجب أن ينشأ وحيثما وجد تنظيم أطفال توجب على كل ولد أحمدي أن يصبح عضوًا.

إن الهدف الأساسي لتنظيم الأطفال، كما يصرح بكل وضوح، هو أن يوجه ويطور نمو الأولاد نحو الرجولة "على ضوء الأحمدية، الإسلام الحقيقي"، لذا وبالإضافة للرياضات من كل الأنواع، وجمع التبرعات للجمعيات الخيرية، أو من أجل المسنين والفقراء -وفقًا لاحتياجات البلد الذي يعيشون فيه- فإن عنايةً مستمرة تولى لدراسة القرآن الكريم، وتعاليم الإسلام والحاجة لموقف صحي ودقيق وطاهر في تنفيذ واجباتهم الدينية. وهناك اختبارات سنوية لامتحان معارفهم الدينية.

عند بلوغ خمس عشرة سنة فإن الولد الأحمدي ينتقل تلقائيًا إلى تنظيم الشباب الذي يضم الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين خمس عشرة إلى أربعين سنة. يطلق على الأعضاء اسم الخدام، ومهمتهم هي حرفيًا خدمة الجماعة.

وهنا أيضًا، حيثما وجد ثلاثة أو أربعة رجال من هذه الفئة العمرية يجب أن يكون هناك منظمة شباب. في تنظيم يخدم جماعة كبيرة قد يكون هنالك ١٩ مسئولا من سكرتير عام وسكرتير للمال وسكرتير للتعليم وسكرتير "كرامة العمل"... يجب مساعدة كل أحمدي ليتعلم القراءة والكتابة، كما تقول قواعد التنظيم. وبالطريقة نفسها فإن كل أحمدي يجب أن يتعلم كرامة العمل "فأن تعمل بيديك لا يعني بحال من الأحوال أنك أدنى، بل على العكس إنه لشرف لك أن تخدم جماعتك وشعبك".

منظومة الشباب هذه هي التي كان الخليفة عضوًا فيها عندما ساعد في حراسة قاديان إبان اضطرابات التقسيم، ولاحقًا انتُخب رئيسًا لمنظمة خدام ربوة ثم بعد ذلك انتخب ثانية رئيسا لمنظمة الخدام العالمية، لقد ساعد في تعديل تركيبتها، إنها المنظومة الأكثر فعالية، لأنها تملك الأعضاء ذوي القدرات الجسدية والعقلية الكاملة.

عندما تجاوز سن الأربعين انتقل طاهر إلى تنظيم الرجال (الأنصار) الذي أصبح رئيسًا له. ومع أن العمل الجسدي المطلوب من الأعضاء أقل إلا أنه يتوقع منهم أن يكرسوا بعض الوقت كل أسبوع من أجل أمور الجماعة.

تنظيم النساء (لجنة إماء الله)، الذي أسس عام ١٩٢٢ في الوقت الذي لم تكن فكرة تعليم النساء في معظم الدول الإسلامية تحظى إلا باهتمام قليل، قد سار تقريبًا على منوال تنظيم الرجال نفسه. كان هناك تركيز كبير على التربية الدينية وهناك أقسام عنيت بالتعليم. وهنا أيضًا كان التعليم بنسبة مائة بالمائة هدفًا، ذلك أن الأمهات، في معظم الأحيان، هن اللاتي يساعدن في تعليم أبنائهن القراءة.

اليوم الذي ينهي فيه الطفل قراءته الأولى للقرآن -والتي تبدأ عادة من عمر ست أو سبع- يكون يوم فخر واحتفال للوالدين وللجماعة. لابسين أفضل ثيابهم ينهي الأطفال عادة الصفحة الأخيرة تحت توجيه الإمام. وفي ذلك اليوم يكون هناك كعك وحلوى للجميع أُعدت من قبل الوالدين الفخورين.

لكن بالإضافة إلى ذلك، وبما هو غير اعتيادي تمامًا لمنظمة نسائية إسلامية، كان هناك أيضًا أقسام للثقافة البدنية والخدمات الاجتماعية، وفعاليات التبشير والأمور المالية. النساء الأحمديات، مع أنهن لم يشتركن بأي رياضات مع الرجال، يشجعن على السباحة، والرماية، وأن ينشرن مجلاتهن الخاصة، ويرعين مصالحهن المالية وأن يشتركن في الشورى السنوية؛ "البرلمان" الذي

ينعقد عادة بعد الاجتماع السنوي لمناقشة الاقتراحات المقدمة من قبل مؤسسات الجماعة في كل أنحاء العالم.

إن "الصوت" الذي أعطي للمرأة الأحمدية في الشورى كان في عام ١٩٢٢ أي بعد بضع سنوات من إعطاء المرأة في بريطانيا ومعظم الدول الأوربية حق التصويت وكان ذلك تطورًا مذهلًا في المجتمع الإسلامي. في البداية لم تتكلم النساء بأنفسهن في هذا "البرلمان" السنوي لكن مثّلهن رجل كان يقوم بطرحٍ مجمل لوجهات النظر التي قدمتها له المنظمات النسائية حول قضايا متنوعة.

هذا الفصل أُزيل بعد وقت قصير من تولي الخليفة الرابع، وأصبح صوت النساء يسمع ويصغى له في هذا "البرلمان". كان الخليفة في إحداثه لهذا التطور، يقتدي، إلى حد ما، بمثال والدته التي كانت رئيسة منظمة النساء القُطرية لسنوات عديدة حتى وفاتها. كانت مسئولة عن الكثير من التحسينات في تسيير أمور المنظمة.

كانت تلك هي المنظمات الاجتماعية وتنظيمات الجماعة لأفراد الحركة الأحمدية والتي يستند إليها الخليفة.

"أعطوني مائة ألف مبايع لعام ١٩٨٩ حتى نبدأ القرن الثاني للأحمدية". هكذا حث أتباعه.

ومع أن معدل الانضمام للجماعة قد تسارع، وأنه قد أعيد تشييد المساجد في بلدان كان الإسلام قد اختفى منها، وأنشئت المساجد في مناطق لم يكن فيها قط إلا عدد قليل من المسلمين من قبل، وكان القرآن يترجم وللمرة الأولى إلى لغات لم تتوفر فيها تراجم من قبل؛ إلا أن الإسراع ما زال واجبا. فأمام الحركة الأحمدية قرنان آخران لإتمام تحويل العالم للإسلام؛ وهذا سيحدث خلال ثلاثمائة سنة تقريبًا كما تنبأ المسيح الموعود.

## الفصل التاسع عشر

# الشورى الإسلامية

إن أمانة سر الحركة هي على القدر نفسه من التنظيم كالتنظيمات الاجتماعية ومنظمات الجماعة. المنظمة الرئيسة هي الجماعة العالمية. وتحتها الجماعات لكل بلد على حده، وتحت كل منها جماعات المناطق والمقاطعات، وهذه بدورها يندرج تحتها جماعات المدن والبلدات والمناطق الريفية. كل جماعة تقود وتدير التنظيمات الاجتماعية ومنظمات الجماعة في منطقتها.

كل منظمة من منظمات الجماعة ممثلة في جماعتها المحلية، وكل جماعة محلية لها تمثيل في جماعتها القطرية، وكل جماعة قطرية لها تمثيل داخل الجماعة العالمية. ويحق للجماعة القطرية لبلد بما يتناسب مع عدد أفرادها أن ترشح عضوًا للبرلمان أو الشورى السنوية والذي ينعقد ليومين أو ثلاثة أو أربعة أيام بعد الاجتماع السنوي تحت رئاسة الخليفة.

الشورى القطرية تجتمع تحت رئاسة الأمير في ذلك القطر.

إن الشورى هي هيئة تمثيلية فريدة، فهي ليست ديمقراطية كلية وليست سلطوية بالكامل. هي فريدة في الإسلام، مع أنها تستمد جذورها من الشورى التي عقدها النبي الكريم للإسلام بمناسبات مختلفة خلال حياته.

الديمقراطيات على النمط الغربي فشلت عادة أن تضرب لها جذورًا في البلدان حديثة الاستقلال في أفريقيا وآسيا، وكنتيجة لذلك فإن الكثير من القادة السياسيين قد نظروا بعين الحسد إلى الأداء السلس والمنسجم والفعال لمجالس الشورى في الحركة الأحمدية. وبعضهم قد تناقش مع الخليفة الرابع حول إمكانية وجود نوع من الشورى في المجال السياسي.

الأسباب التي قدمها كانت هي أن "رجل واحد، صوت واحد" لا تعمل إن كان السواد الأعظم من المنتخبين هم أميون بالكامل، وما زالوا يعيشون تحت الحكم القبلي، وما يقرره رئيس القبيلة هو ما يفعله أتباعه. الفساد أصبح مستوطنًا، كل قبيلة تبدأ بالمطالبة من أجل نصيب أكبر من الدخل القومي، وإن لم يستطع القائد السياسي أن يفرض سلطته المطلقة، فإن كبار ضباط الجيش، وقادة سلاح الجو وحتى رقباء الجيش سيفكرون أن بإمكانهم أن يفعلوا أفضل.

لقد لاحظ أعضاء البرلمان في ديمقراطيات غربية فاعلة، المستميتون بالحاجة إلى انتزاع نقاط من المعارضة مهما كانت الوسيلة، سواء بالترديد الممل للحقائق نفسها، ولكن بعبارات مختلفة، من قبل أعضاء في أحزابهم الخاصة، وهرج يفوق الخيال في دخولهم وخروجهم من الكتل الانتخابية؛ أن شورى الجماعة الأحمدية تعمل بصورة أفضل.

عندما عقد أول مجلس شورى للحركة الأحمدية في نيسان/ أبريل ١٩٢٢، قال الخليفة الثاني، "لا شك في أن مجلس شورانا اليوم، يحظى بأهمية قليلة جدًا في نظر العالم الخارجي، لكنه سيأتي الوقت الذي لن يُعدَّ فيه البرلمان الأكثر أهمية في العالم أرفع مكانة من هذا الاجتماع".

إن مجلس الشورى ليس قاعة مناظرة بل هو هيئة لتقديم النصائح التشاورية التي تم الاتفاق عليها بعد المناقشة. إن الصعوبة الوحيدة هي أن مجلس الشورى يحتاج من أجل العمل بفاعلية أن يكون تحت إشراف قائد سلطته يقر بها الجميع. ولما كانت سلطة دكتاتور طيب غير مقبولة بالكامل أيضا فإن الحركة الأحمدية بهذه الحال متفردة ومتميزة تماما.

إن أعضاء مجلس الشورى العالمي يجتمعون عادة عقب الاجتماع السنوي، ولكن يمكن أن تعقد مجالس شورى خاصة في أي وقت بأمر من الخليفة. بعد فترة قصيرة من اختيار طاهر ليصبح الخليفة قرر أن النساء سيشتركن

بأنفسهن في الشورى. ولسن مضطرات لأن يعبرن عن آرائهن من خلال رجل. ولذلك فقد تم فصل قسم من مكان الاجتماع بستارة حيث يمكنهن الجلوس وهن مرتديات الحجاب. ومن خلال دائرة تلفزيونية مغلقة وميكروفوناتهن الخاصة بدأن يشتركن صوتيًا في الشورى.

إن المواضيع التي يتعين البت فيها في الشورى العالمية تأتي من المقترحات التي تم الاتفاق علها كتوصيات من قبل مجالس الشورى القطرية؛ جميع المسائل ذات الأهمية وليس المسائل الإدارية. ولمناقشة كل مقترح يتم تشكيل لجنة من قبل أعضاء يعرضون خدماتهم بسبب اهتمامهم بالموضوع أو الذين تم اختيارهم من قبل أمير بلدهم.

وعندما ينتهي تشكيل اللجان فإن كل أعضاء الشورى تقريبًا يكونون أعضاء في لجنة ما. ثم تجتمع كل من اللجان المختلفة لمناقشة القرارات الخاصة بهم خلال وقت محدد. لا يمكن لأحد أن يكون عضوًا في لجنتين.

إلى جانب القائمة المطبوعة من المقترحات التي تعين مناقشتها هنالك أيضًا تعليمات للأعضاء حول كيفية التصرف. يتم تذكيرهم بأنهم قد جاءوا إلى الشورى بهدف وحيد وهو تقديم خدمة صادقة ومخلصة للجماعة ولذا يجب أن يكون سلوكهم غاية في الإخلاص والصدق. ينبغي أن يقدموا آراءهم مبنية على خبرة معينة والتي يجب أن تكون خالية من أي مصالح فئوية أو شخصية. الحقائق أكثر أهمية من المشاعر الشخصية.

وأخيرًا يتم تذكيرهم بأنه يجب ألا يقف أي شخص ليعبر عن الرأي نفسه مرة بعد أخرى وبالتالي إضاعة وقت الذين يحضرون الشورى.

أمام اللجان وقت متفق عليه لمناقشة المقترح المقدم لهم واتخاذ قرار بشأنه. عندما ينتهي الوقت المحدد لاجتماع اللجان ينعقد مجلس الشورى الكامل ثانية ويقوم رئيس كل لجنة بعرض قرارات لجنته.

يمكن لأعضاء الشورى الآخرين أن يعلقوا على النتائج التي توصلت لها اللجان. لكن أعضاء اللجنة الذين تم تجاوز تصويتهم خلال مرحلة اللجنة لا يمكن لهم الكلام في الشورى الكاملة مالم يكونوا قد أخذوا الإذن بذلك سلفا من قبل رئيس لجنتهم.

التعليقات في الشورى الكاملة لا تأخذ عادة أكثر من خمس أو ست دقائق. إذا طُلب استطلاع للرأي فإن ذلك يتم برفع الأيدي. وبعدما يتم بهذه الطريقة الحصول على آراء مجلس الشورى فإن الخليفة، بعد التداول، وربما بعد طرح بعض الاستفسارات، يعلن قراره.

يمكن أن يقبل نصيحتهم بالكامل، ويمكن أن يقبل بعضها ويخالف بعضها الآخر، يمكن أن يعين لجنة فرعية لفحص المسألة عن قرب أكثر وعمل تقرير عن الموضوع في أسرع وقت ممكن. لكن، إذا اعتقد أن مشروع القرار لا يخدم المصلحة الحقيقية للجماعة أو يخالف أو يتعارض مع بعض العقائد الإسلامية فإنه عندها سيشرح أسبابه ويرفض الاقتراح بالكامل.

وقراره ليس موضع مساءلة بأي حال من الأحوال.

يقول أحد علماء الإسلام: "الخلافة ليست ديمقراطية. في الديمقراطية ينتخب القائد لعدد محدد من السنين من قبل المنتخبين من الرجال والنساء. ومن الناحية النظرية فإنه يتبع الخطوط العريضة للبرنامج السياسي الذي انتُخب من أجله. الخلافة أيضًا ليست ديكتاتورية. الدكتاتور يستطيع التصرف حسبما يشاء فالسلطة المطلقة تكمن في يده. يمكنه أن يغير القوانين إن شاء. لكنه يحكم فقط طالما كان مسيطرًا على مصادر قوته. وعندما يهرم وتضمحل قواه من المرجح أن يتم خلعه. ولدى موته يكون هنالك غالبًا محاولة للعودة للديمقراطية مجددًا. في الخلافة يطلب الخليفة الاحترام الكامل والطاعة المطلقة. هو ملزم بموجب القانون أن يطلب النصح من مستشاريه، لكن عندما يتخذ قرارًا، وحتى لو لم يكن المتوقع من قبل مستشاريه، فإن

فكرة عدم طاعته أو حتى عدم تنفيذ قراراته بكل إخلاص غير واردة أبدًا . لقد أرشد الله الخليفة في قراراته ولذا فإن طاعته واجبة. السن لا يقلل من سلطته. لا يمكن خلعه أو حتى أن يستقيل ليفسح الطريق لرجل أصغر ليحل محله. فهو يبقى خليفة حتى موته. ومع وجود هذه الطاعة المطلقة لسلطته إلا أنه ليس بإمكانه أن يغير القانون – الذي أُسس بناء على تعاليم الشريعة الإسلامية ولا يمكن تغيير الشرع الإسلامي."

عندما كان هناك جدل في دولة أفريقية ما إن كان نظامهم القائم على الحزب الواحد ينبغي أن يستمر أم يتعين عليهم العودة إلى النظام الغربي متعدد الأحزاب، تمت استشارة الخليفة من قبل عضو كبير في الإدارة.

قال الخليفة: "لقد حذرته من النظام متعدد الأحزاب. النتيجة هي دائمًا الموقف السلبي نفسه ضد الحكومة. ليس المبدأ هو ما يؤخذ دائمًا بالحسبان، إنما فقط مبدأ المعارضة. سألته ماذا سيكون الأثر الراسخ بالمحصلة على تفكير الناس عندما يكون البلد كله قد تدرب على النقد السلبي؟ إنك في نظام التعدد الحزبي تتدرب أيضًا على أن حزبك يجب أن يكسب من الجدال سواء استخدمت الحجج الصحيحة أم الخاطئة، وسواء أضررت بمصلحة الأمة أم لا. وكل ما هو مهم في مثل هذه المناظرات هي أن يصل حزبك للسلطة. يجب أن يُسمع ليكون فاعلًا، ولكن في كثير من الحالات يكون ذلك مجرد واجهة. لذا فقد أخبرت وزير الحكومة هذا أنه وفقًا للمفهوم الإسلامي للهيئات الاستشارية ليس هناك ولاء لأي حزب بل الولاء للمبادئ وللموضوع نفسه فقط. ولهذا السبب فإنه في مجالسنا للشورى إن عبر شخص ما عن رأيه في مسألة ما لا يقوم المتحدث التالي ليقول الشيء نفسه لكن بعبارات مختلفة، بل سيقول أن ما أراد قوله قد قيل، وقد يضيف بعض النقاط الأخرى بإيجاز شديد ثم يتوقف. وهكذا لا يوجد أي تكرار أو نقد ضد الإدارة، الكل يفكر بصورة بناءة، معاونين بمجموعهم الإدارة لتصل إلى

النتائج الصحيحة. لا أرى أي سبب يمنع نظامًا مماثلًا من العمل ضمن نظام علماني تكون السيادة فيه لشخص ما بالشكل الأنسب وفقًا للرأي الجماعي. سيكون ذاك الرجل أو المرأة هو الشخص، بدون أي دعم حزبي، الذي يبرز كونه أكثر منطقية وأكثر إخلاصًا وتضحية لمصلحة الأمة. وبمثل هذا النظام تتجه دائمًا للاستقامة والموقف الصحيح والرغبة بتعزيز الخير. لا توالي أي شخص بسبب صداقة أو حزب."

"في النظام اللاحزبي يمكنك أن تنتقي الكفاءة الأفضل من أي مكان. إن المبدأ المرشد لنا في شورانا يتلخص بالعبارة الإسلامية: "لا يكن ولاؤكم للناس بل للحق وأعينوا الحق حتى ينتصر".

وقال الخليفة: "سيستغرق الأمر وقتًا حتى يتم إدخال نظام صحيح كهذا؛ لأن المجتمع كله في الوقت الحاضر ليس صحيحًا. ولذا يجب عليك أن تبدأ من كلا الطرفين. أدخل النظام تدريجيًا وهذا سيخلق الموقف الضروري لتسيير هذا النظام".

"وهكذا عندما يكون الجميع تائهًا، أمامك خياران فقط؛ إما أن تتيه أنت أيضًا، أو أن تحاول بحكمة تغيير الأمور بانتظام. وهذا يمكن عمله فقط في الإسلام لأن النظام الإسلامي هو نظام لا حزبي، أنت لا تناضل من أجل حزبك أو جيلك أو حتى من أجل بضعة أجيال قادمة، أنت تناضل من أجل هدف يمكن أن يتحقق في عدة مئات من السنين."

"نحن عدّاءو مسافات طويلة، فما من نفاد صبر، وما من استسلام. في النهاية لا بد أن يتحقق الهدف. إنه من المهم جدًا أن نفهم أن إنجاز ذلك الهدف ليس مهمًا مقارنةً ببذل الجهد الصادق لتحقيق هذا الهدف. مهما كان ذلك الهدف بعيدًا، بعد جيل واحد أو مئة جيل، إن مت على طريق ذاك الجهد فأنت تموت حينها ناجحًا منتصرًا."

"سيكون لديك شعورٌ بالرضا والنبل بما لا يمكن لبقية العالم حتى تخيله. وهكذا مع أن جيلًا قد ينقضي ثم يعقبه آخر ثم آخر وفي النهاية ستنتصر القيم الأحمدية. أنا وأصحابي نعلم أننا نقترب، ولكننا لسنا من الحمق بحيث نظن أنه سيتم تحويل هذا الجيل. إنه هدف طويل الأمد، لكن يجب علينا المثابرة. سيتحقق ذلك بالتدريج إن شاء الله."

هناك عشرة رؤساء أقسام أساسيين يقدمون التقارير إلى الخليفة مباشرة. عرَّفهم أحد المسئولين في الجماعة باختصار كالتالي: "أولًا هناك الشخص الذي يعمل على ضمان تنفيذ أوامر الخليفة. ثم هناك رؤساء الأقسام التي تُعنى بالتربية الروحية للأعضاء، وتأمين الصفوف الدينية والمعلمين في الأماكن التي لا يوجد فيها مبشرون، وتوفير التعليم الأساسي، ونشر الكتب والمجلات والجرائد ومهام الأشخاص الذين يعملون من أجل الجماعة، وربما يمكن تسمية ذلك بقسم شئون الموظفين."

"بالإضافة إلى ذلك هنالك رؤساء الأقسام التي تُعنى بسبل جمع الموارد المالية، وكيف تنفق الأموال، وتعنى بالممتلكات التي بحوزة الجماعة، وبتعليم المبشرين، وتنظيم الاجتماع السنوي."

"هناك أيضًا محاكمنا حيث يقوم قضاتنا بفض أي نزاع حول المال أو المسائل الأخرى بين الأحمديين أو حيثما يكون هناك ما يُعدُّ جريمة وفقًا للشرع الإسلامي لكنها ليست كذلك وفقًا لقوانين البلد الذي يقيمون فيه. محاكمنا الشرعية تحكم في النزاعات بين الزوج والزوجة. تحاول هذه المحاكم حل هذه المشاكل ولكن أحيانًا تكون هناك خلافات غير قابلة للإصلاح ويريد الزوجان الطلاق. يستمع القاضي إلى الزوج والزوجة ثم يقرر ما إن كان الطلاق ممكنًا. يمكن للزوجين بعدها أن يستصدرا حكمًا في محكمة مدنية لحل الزواج."

"يمكن لأي شخص بالطبع أن يستأنف ضد قرار ما وعندها تعرض القضية على ثلاثة قضاة، وفي حال الطعن بالاستئناف مرة أخرى يتم الاستماع من قبل خمسة قضاة. ويمكن في النهاية أن تعرض على الخليفة بموافقة القضاة الخمسة."

"لا تدفع أية تكاليف مهما كانت فيما يتعلق بهذه القضايا".

لخص المسئول واصفًا عمل سكرتاريا الجماعة الأحمدية بهذه الكلمات:

"إن حقيقة الأمر هي أن كل هذه الأقسام قد أنشئت فقط من أجل مساعدة الخليفة. وهي تعمل فقط تحت إرشاده. هذه الأقسام تطيع أوامر الخليفة الذي يستطيع، متى شاء، تغيير القواعد والتنظيمات والشروط. ذلك أن الخليفة يرشده الله تعالى من خلال الهداية الإلهية. إن الأحمديين يطيعون الله بطاعة الخليفة وهكذا تطيعه الجماعة. هذه القواعد والأنظمة، يمكن وصفها بأنها الجسد للخليفة".

## الفصل العشرون

# ضياء يستولي على السلطة

في يوليو (تموز) عام ١٩٧٧، توصل حزب السيد بوتو؛ حزب الشعب الباكستاني، الذي قد تمت إعادته للسلطة بأغلبية مذهلة حقًا، إلى اتفاق مع أحزاب المعارضة التسعة. كان الاتفاق أن حزب الشعب الباكستاني سيتخلى عن عدد من المقاعد في المجلس الوطني، وبذلك ينهي الشكاوى بأن الانتخابات قد زوِّرت، وكان الاتفاق سيعلن في بيان مشترك والذي كان يجري إعداده حينها.

عند السادسة من صباح أحد الأيام، قام الجنرال ضياء الحق، القائد الأعلى للجيش الباكستاني، باعتقال السيد بوتو ووزراءه وجميع قادة أحزاب المعارضة التسعة. وقد أعلن الجنرال ضياء وكبار الضباط الذين يقودون المناطق الخمس في باكستان فرض الأحكام العرفية. وأن انتخابات جديدة ستجرى خلال ٩٠ يوما.

كان الناس في البداية يأملون أنه كان يقول الحقيقة؛ أي أنه كان ينوي محاربة الفساد ومن ثم، وفي أسرع وقت ممكن، إعادة البلد إلى الديمقراطية النيابية.

إن الجنود، في الحالة الطبيعية، يعيشون حياتهم وفق قواعد بسيطة؛ هم يطيعون الأوامر، يحمون البلد، لا يسعون للحصول على الثراء من خلال القوة التي في أيديهم. إنها لأعجوبة صغيرة أنهم، رغم الالتواءات والمراوغات التي يقوم بها السياسيون عديمي الضمير، يعتقدون أن بإمكانهم أن يسيّروا الأمور بشكل أفضل.

يقال إن السلطة المطلقة مفسدة مطلقة، وهذا القول المأثور ثبتت صحته مع ضياء. انقضت الأيام التسعون ولم تُجر أية انتخابات. إنما كان هناك المزيد من الوعود. وقد تنحى كبار الضباط الذين ساعدوا ضياء بعيدًا واحدًا تلو الآخر؛ لقد خدعهم ضياء، بحسب قولهم.

وفي وسط تنديد الرأي العالمي لإطاحته بحكومة ديمقراطية، حتى ولو كانت غير كفء وفاسدة، صارع ضياء لإيجاد شرعية لحكومته غير الشرعية. ووجد الحل في أن يَفْرِض على باكستان ما يُظنّ أنه شريعة إسلامية أصولية.

وبهذه القوانين حصل على تأييد علماء الدين، وهكذا في البداية قدم نفسه للعالم بمظهر المؤيَد من الزعماء الدينيين لغالبية الأمة. وتم تطبيق الجلد العلني وغير ذلك من العقوبات الوحشية للقرون الوسطى. لقد أرضوا الأصوليين وأسكتوا بالرعب بقية الشعب. لقد أصبح ضياء ديكتاتورًا. وقد فسد بالكامل.

لصرف انتباه الناس عن مظالمهم الحقيقية، هناك خدعة معروفة جيدًا من قبل الحكام المستبدين وهي انتقاء أقلية دينية أو عرقية وإذكاء جذوة التعصب حتى تشتعل.

وهكذا كان الأمر مع ضياء. تفاقم الاضطهاد ضد الجماعة الأحمدية؛ متاجرهم نُهبت وأضرمت فيها النيران، وغوغاء الناس قاموا بأعمال شغب أمام مساجدهم، واقتُحِم بعضها وحُطِّم. التمييز الذي مارسته حكومة بوتو ضد الأحمديين في الخدمات الحكومية كلها تم تصعيده. ضُرِب أحمديون يحافظون على معتقداتهم الدينية، بريئون من أي جريمة ضد الأخلاق العامة أو الخاصة، من قبل الغوغاء والبلطجية. أحمديون آخرون قُتِلوا. رجال الشرطة، في بعض الحالات، ظهروا ليقوموا بالقليل لمنع هذه الجرائم أو التحقيق فيها.

ليس هناك موازٍ لمثل هذا الاضطهاد الديني في التاريخ الحديث، وتعين على العالم دفع ثمن باهظ مقابل بقائه صامتا.

حث الخليفة أتباعه على ضبط النفس؛ لا تردوا على هذه الاستفزازات، دافعوا عن أنفسكم، لكن لا تهاجموا مضطهديكم لا باليد ولا باللسان. ذكّرهم أن المسيح الموعود كان قد تنبأ بأنهم سيتعرضون للاضطهاد وسوء المعاملة. لكنه قد أنبأ أيضًا أن الجماعة الأحمدية ستنتصر في النهاية.

ومع حثه أتباعه على الصبر لم يجد بُدًّا من التعبير؛ فلقد أدان الاضطهاد الذي يمارسه ضياء. استنكر خطبةً بعد أخرى الظلم الذي يمارسه ضياء ليس فقط على الجماعة الأحمدية إنما على كل شعب باكستان. لقد كان يلحق الأذى بالبلد كله، يثير الخصومات، ويخلق العداوات، ويفرّق الأسر، ويدمر التجارة، يحرم البلد من مواطنين صالحين ويدنس كلمة السلام التي هي اسم الإسلام.

قال الخليفة إن الله سوف يعاقبه إن استمر في سُبله الشريرة. إنَّ غضب الله سيكون أمرًا مروعًا.

لقد أثارت قصيدة نظمها ضجةً في حاشية ضياء وقد طُبعت مرة بعد مرة لتوَزّع في الجماعة. قد حفظها الأطفال الأحمديون غيبًا. وقال أحد الأحمديين: "هناك لحظات في التاريخ تلهم كلمة أو قصيدة أو أغنية شعبًا يبدون مغلوبين تحيط بهم الفوضى واليأس، ومع ذلك وفجأة تحشد هذه الكلمة أو القصيدة أمة. فيبرق أمل.

"إن كلمة وينستون تشرتشل، عندما بدت بريطانية مهزومة، القائلة: "الدم، العَرق والدموع" ووعد أيضًا بالنصر النهائي؛ فيا لها من كلمة! لقد غرست قلبًا جديدًا في بريطانيا."

"إن القصيدة التي ألفها الخليفة كانت مماثلة. قد غرست قلبًا جديدًا فينا. كانت متنفسًا لألمنا وعذابنا. لقد أقرت بحالتنا البائسة، لكنها أعطتنا الأمل. قد وعدتنا بالنصر النهائي، وسقوط طغيان ضياء."

من الصعب ترجمة الشعر. هذا يتطلب شاعرًا ليقوم بذلك، ومع هذا فإن النكهة تُفقد، ويصبح شعرًا جديدًا بدل كونه ترجمة.

في قصيدته حث الخليفة جماعته على الصبر. إن عواصف الاضطهاد الهوجاء التي كانت مستعرة سوف تصطدم بأدعيتهم التي يؤدونها ثم ستختفي العواصف، كما لو أنها لم تكن أبدًا. الظلام والخوف من الاضطهاد سيزولان وستنير الطمأنينة فجر اليوم الجديد.

"استمروا بالدعاء بانكسار"، هكذا حث الخليفة. "الدعاء قد دمر نمرود الطاغية، وأدعية موسى قد أذلت الفراعنة العظماء. إن سيف الدعاء كان أمضى من أي سلاح مادي. حتى ولو بدا أن الهلاك موشكٌ على الدخول من الباب، لا تفقدوا الأمل. اجتهدوا أكثر بالدعاء. الله سيلعن الطاغية ويقهره."

كان ضياء عسكريًا تسهل قراءته. وقد أصبح أقرب ما يكون من نفسه عندما بلغه أنه قد شُبِّه بنمرود.

أكابر الجماعة طلبوا من الخليفة أن يكون أقل صراحة في حديثه. ضياء كان معروفًا بثورة غضبه الذي لا يهدأ وقسوته الباردة ضد من يعارضه. قالوا له أن يخفف من حدة لهجته من أجل الجماعة، فهم بحاجة إليه، ولن يكونوا شيئًا بدون الخليفة.

الخليفة رفض طلبهم، وأعلن أن من واجبه أن يواجه ضياء، فالله سيعينهم، ولن يتخلى الله عنهم أبدًا.

في مارس آذار 1984، وصل اتصال هاتفي إلى المقر الرئيس للجماعة الأحمدية في ربوة .كان من سفارة الولايات المتحدة. إن عضوًا من البعثة الأميركية سيمر قريبًا من ربوة بعد مدة وجيزة وسيسعد بفرصة اللقاء مع الخليفة.

بدا للخليفة أنه لم يكن هناك أي سبب وجيه للقاء، لكنه أعطى موافقته، وجاء الشخص الأميركي وتبعه بعض موظفي السفارة الأميركية في إسلام أباد بعد مدة قصيرة، وعندما علم الخليفة عن مكان وجودهم، بدا له أنهم لم يكونوا مارين بالجوار، إنما قد أتوا خصيصًا لمقابلته. وخلال سير الحديث ظهر للخليفة أنه كان لديهم بعض المعلومات التي يمكن أن تؤثر على مستقبل الجماعة.

لقد تحدثوا لمدة ساعة ونصف. "إن ما جعلني متوجسًا كان اهتمامه الملحِّ عما ستكون ردة فعلي إن قامت الحكومة بهذا أو ذاك. لذا قلت، ما الذي تعنيه بهذا أو ذاك؟ فأجاب، حسنًا، تعلم أن الجميع يطالب برأسك. والحكومة يمكن أن ترضخ للضغط وتتخذ إجراءات معينة. في مثل هذه الحالة ماذا ستكون ردة فعل الجماعة الأحمدية؟"

"أجبت بأننا جماعة مسالمة. سوف نتصرف بحسب أفضل الأخلاق طبقًا لتجاربنا السابقة. على أية حال، كان واضحًا جدًا أنه قد علم شيئًا وكان يحاول أن يختبر ارتكاساتي قبل أن يرسل تقريرًا إلى واشنطن. لذلك قررت أن أذهب إلى إسلام أباد وأن أحاول اكتشاف ما كان يجري."

كان للخليفة الكثير من الأصدقاء في الوسط الدبلوماسي، وترجع صداقته لبعضهم إلى زمن الخليفة الثالث، وبعضهم الآخر منذ انتخابه خليفة.

قرر أن يمكث أسبوعين. تحدث إلى كثير من الناس. "أجريت اتصالات مع السفارة البريطانية والفرنسية والكندية والصينية وكثير غيرها من السفارات".

كان الجميع مسرورين برؤيته. قابل البعض في مكاتبهم. وقابل بعضهم الآخر سريا لأنهم لم يريدوا أن تتأذى علاقاتهم مع حكومة ضياء. كان ما جمعه يشير إلى أن هناك شيئًا ما سيحدث بالتأكيد. إلا أنه لا يبدو أن أحدًا منهم كان يعلم ما هو على وجه الدقة.

كان يجري نقل معارضي الجماعة بالحافلات والشاحنات إلى إسلام أباد من المنطقة الشمالية الغربية. بدأت حشود تتجمع خارج المترل الذي أقام فيه الخليفة.

"ثم تلقيت رسالة من الجنرال ضياء من خلال ضابط في مكتب الاستخبارات. مفادها أن علماء الدين يثيرون الكثير من الصخب وينبغي علي ألا أقلق."

"كانت هذه رسالة غريبة جدًا – كانت هي الرسالة الوحيدة التي تلقيتها من ضياء– علمًا أنه قد أرسل لي مبعوثًا في وقت لاحق. بدا أن الرسالة تقول بأنه يمكنني أن أبقى في إسلام آباد وأنه ليس ثمة أي خطر."

"في الوقت نفسه الذي تلقيت فيه الرسالة من ضياء وصلتني رسالة أخرى من ضابط في مكتب الاستخبارات. لقد قدم لي نصيحته الشخصية بأن أغادر إسلام أباد على الفور."

"الآن كانت الرسالتان متناقضتين، لكن كان واضحًا أنه قد عرف بما تم التخطيط له وأنه كان رجلًا شهمًا ولا يريد أن يكون متورطًا في المكيدة".

كما أن الخليفة تلقى اتصالًا شخصيًا آخر من صديق في استخبارات الشرطة. وكانت خلاصة الرسالة هي:

غادر إسلام آباد حالًا.

وفضلًا عن ذلك كان هناك شخص آخر بدا أنه يعرف أكثر قليلًا من أي شخص آخر وكان مسئولًا في السفارة الفرنسية. قابله الخليفة في بيته. الفرنسية ما تزال لغة الدبلوماسية والفرنسيون هم الأسياد في فن قول شيء ما بطريقة دبلوماسية حتى عندما يتحدثون بالإنجليزية، إذ إن الخليفة لا يتحدث الفرنسية.

بدت المناقشة وكأنها عديمة الصلة تقريبًا. "كم ستمكث هنا؟"، سأل القنصل الفرنسي.

" أسبوعين"، أجاب الخليفة.

عقب القنصل الفرنسي قائلا: "أعتقد أن الطقس ليس على ذلك القدر من اللطف في هذا الوقت من السنة، لا يخامرني أي شك في أنك سترغب بالمغادرة عاجلًا ما أمكن".

دامت الزيارة خمس عشرة دقيقة فقط ومن ثم عاد الخليفة إلى المترل الذي كان يقيم فيه. وفي غضون الساعة قفل راجعًا إلى ربوة.

## الفصل الحادي والعشرون

# المرسوم المشئوم

في يوم الخميس، ٢٦-٤-١٩٨٤، أوردت جريدة باكستان نبأ صدور المرسوم عشرين الذي صدر وفقًا للأحكام العرفية من قبل رئيس باكستان، الجنرال ضياء الحق. لقد تم وضعه، كما يقول المرسوم، لتعديل القانون الذي يمنع الفرقة القاديانية والفرقة اللاهورية والأحمديين من القيام بنشاطات ضد الإسلام.

بدأ المرسوم بالآتي: "في حين أنه من المناسب أن يتم تعديل القانون الذي يحظر الفرقة القاديانية واللاهورية والأحمديين من الضلوع في ممارسات معادية للإسلام، ولما كان الرئيس مقتنعا بأن الظروف الموجودة تحتم اتخاذ إجراء فوري: لذلك فإنه الآن، تنفيذًا للإعلان الصادر ٥-٧- ١٩٧٧، وبالنيابة عن كل القوى المساعدة في هذا الموضوع، يسر الرئيس أن يعمل ويصدر المرسوم التالي".

كان اسم المرسوم "مرسوم النشاطات المعادية للإسلام للفرقة القاديانية والفرقة اللاهورية والأحمديين (الحظر والعقوبة)، ١٩٨٤". يصبح المرسوم ساري المفعول حالًا وستكون له الفوقية على أية أوامر أو قرارات من المحاكم.

تمت إضافة الفقرات الجديدة التالية على قانون العقوبات في باكستان تحت البند ٢٩٨ بـــ:

"إساءة استخدام الأسماء والأوصاف والألقاب، إلخ، الخاصة بشخصيات أو أماكن مقدسة معينة.

١- أي شخص من المجموعة القاديانية أو المجموعة اللاهورية (الذين يسمون أنفسهم "أحمديين" أو أي اسم آخر ) يقوم، سواءً بكلمات ملفوظة أم مكتوبة أو بالتمثيلات المرئية،

أ -يشير إلى أو يخاطب فيما عدا خلفاء أو صحابة الرسول الكريم محمد، بـــ "أمير المؤمنين"، أو "خليفة المؤمنين" أو "خليفة المسلمين"، أو "صحابي" أو "رضي الله عنه"؛

ب -يشير إلى أو يخاطب أي شخص فيما عدا زوجات الرسول الكريم محمد، بـــ "أم المؤمنين"؛

ج -يشير إلى أو يخاطب أي شخص فيما عدا أفراد أسرة النبي الكريم محمد بـــ "أهل البيت"؛ أو

د -يشير إلى أو يسمي أو يدعو مكان عبادته "مسجدًا"؛

"سيعاقب بالسجن من أي وصف لمدة قد تصل إلى ثلاث سنوات، وسيكون أيضًا عرضة للغرامة.

٢- أي شخص من فرقة القاديانية أو اللاهورية (من يسمون أنفسهم بالأحمديين أو بأي اسم آخر) يشير شفاهًا أو كتابة، أو من خلال تمثيل مرئي، إلى نمط أو شكل نداء الصلوات المتبع في ملته بأنه أذان، أو يكتب "الأذان" كما يستخدمه المسلمون، سوف يعاقب بالسجن من أي وصف لمدة قد تصل إلى ثلاث سنوات، وسيكون أيضًا عرضة للغرامة."

القسم النهائي من المرسوم يقول: "أي شخص من المجموعة القاديانية أو المجموعة اللاهورية (من يسمون أنفسهم "أحمديين" أو أي اسم آخر) يقوم بشكل مباشر أو غير مباشر، بتقديم نفسه على أنه مسلم، أو يشير إلى دينه أنه الإسلام، أو يقوم بالتبليغ أو نشر ديانته، سواء من خلال الكلام الشفهي أو المكتوب، أو عبر تمثيلات مرئية، أو يقوم، بأي أسلوب كان، باستفزاز

المشاعر الدينية للمسلمين، سوف يعاقب بالحبس من أي وصف لمدة قد تصل إلى ثلاث سنوات وسيكون أيضًا عرضة للغرامة."

رد الفعل العالمي تجاه المرسوم اتسم بالصدمة وعدم التصديق. في باكستان كان هناك حزن في أوساط رجال القانون والمعلمين والدبلوماسيين ورجال الأعمال، حزنٌ لرؤية بلدهم يغرق كاملا في مستنقع من التعصب الديني، حزنٌ من أن اسم بلدهم أصبح مقترنًا بالأنظمة الشائنة التي تقمع مواطنيها على أساس اللون أو الدين.

كان هناك أيضًا اعتبارات عسكرية واقتصادية. فباكستان كانت تعدُّ من قبل الولايات المتحدة والبلدان الغربية الأخرى حصنًا في وجه الشيوعية. كيف تستطيع حكوماتهم أن تفرض عقوبات على توصيل المعونات باسم الحرية، في الوقت الذي كانت الأقليات في باكستان تتعرض للاضطهاد؟

إن اللامنطقية المحضة للقانون أصابت المحامين والقضاة في باكستان بالاكتئاب. لقد حاولوا، بشكل أساسي، التمسك بمبادئ العدالة والحرية.

سألوا، كيف يمكن لدولة أن تعزو لنفسها القدرة على تعريف ما هو الإسلام وما ليس بالإسلام؟

كيف يمكن لمجموعة ما من علماء المسلمين، حتى ولو كانوا ضمن الأغلبية، أن يعدّوا أنفسهم فقط، ولا أحد سواهم، قادرين على تفسير كلام الله المنزل في القرآن؟

كيف يمكن لدولة أن تبرر سلبها أي مجموعة من الناس الحق في أن تعلن اسمها ومعتقداتها، مع عدم ارتكاب أي اعتداء جرمي أو نشاط معاد للمجتمع؟

والأمر الأكثر أهمية من كل ذلك، كيف يمكن لأي قاض أو عضو في هيئة المحلفين أن يقرر ما إن كان شخص ما يتظاهر بالإيمان بأي دين إن كان كل ما فعله هو ممارسة صلاة وشعائر تلك الديانة؟

إن أئمة السنّة والشافعية والأحناف والوهابيين والأحمديين كلهم يرفعون الأذان أو ينادون للصلاة. كيف يمكن أن يكون الإمام الأحمدي هو فقط من يدّعي كذبًا أنه مسلم؟

هنالك بالتأكيد اختلاف جوهري بين الحركة الأحمدية وكل الفرق الإسلامية الأخرى. لكن توجد ثلاث وسبعون فرقة في الإسلام وقد قام علماء هذه الفرق في أزمنة مختلفة بإصدار فتاوى بتكفير فرق أخرى.

كيف يمكن للدولة أن تقرر من هو كاذب في ادعائه الإسلام ممن هو صادق؟

إنها تفترض سلفًا نوعًا من السيطرة على الفكر مع شرطة فكرية قادرة على أن تنظر داخل عقول الناس وتقرر بشأن أولئك الذين يؤدون الصلاة من منهم هو مسلم حقيقي ومن يدّعي الإسلام فقط!

في الحقيقة هذا يجعل القضاة الذين يقررون في مثل هذه القضايا كأنهم يرتكبون الشرك، بجعل أنفسهم أندادًا لله.

حصل صحفي أميركي على الموافقة لمقابلة ضياء من أجل ما كان يفترض أن يكون مقابلة إطراء، فأدانه فيها بانتهاك دستور باكستان وميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان. فهز ضياء كتفيه بعدم اكتراث قائلًا "فماذا؟".

في ربوة استدعى الخليفة كبار مستشاريه للاجتماع. قال الخليفة مستذكرًا ذلك الاجتماع: "لم أكن قط خائفًا بأية طريقة من الجنرال ضياء. لقد انتقدته بصراحة تامة في خطبي. لقد أخبرته "أصلِح طرقك وموقفك. أوقف الاضطهاد وإلا فإنك ستواجه سخط الله."

"لكن مع هذا المرسوم كان الوضع مختلفًا. لم تكن سلامتي هي التي على المحك، إنما قدرتي على الكلام. بهذا القانون كان يمكن لضياء أن يسكتني كرئيس فعال للجماعة. إذ يمكنني أن أبقى في باكستان وأتكلم ومن ثم أودع

السجن. وعندما أخرج يمكن أن أتكلم ثانية فأزجّ في السجن لثلاث سنوات أخرى."

"في الأحمدية لا يمكنك أن تختار رئيسًا آخر بينما لا يزال الأول حيًا، حتى ولو كان مسجونًا ولا تواصل معه بالمرة. وبالتالي فإن هذا سيعني جماعة بلا رأس."

"الخليفة يرشده الله في قراراته لذلك لا يمكنه أن يفوض لجنة باتخاذ قراراته. بعض القرارات يجب أن تؤخذ من قبل الخليفة وهذه القرارات حاسمة. فإن لم يكن بإمكانه أن يتخذ أية قرارات فإن ذلك يمكن أن يكون وضعًا خطيرًا جدًا."

كانت نصيحة مستشاريه بالإجماع أنه يجب أن يغادر باكستان فورًا.

## الفصل الثاني والعشرون

# غلطة ضياء

قبل الخليفة نصيحة أمرائه والمستشارين الآخرين بوجوب مغادرته باكستان، لكنه اشترط عدم وجود أي مذكرة لاعتقاله في وقت مغادرته وألا يكون هناك أي استدعاء رسمي له للمثول أمام أية هيئة بتهمة ارتكاب أي جريمة مزعومة، وقال إنه لو صدرت أي مذكرة من هذا القبيل فإنه لن يغادر البلد. فالثمن الذي سيتعين على الجماعة أن تدفعه لضمان سلامته سيكون باهظًا جدًا.

"إن مغادرتي في مثل تلك الظروف سيفسح المجال للناس أن يعيبوا على الخلافة، ربما ليس بشكل مباشر، لكن سيفعلون ذلك يقينًا بنشر الإشاعات؛ سيقال بأني اضطررت للفرار لأني كنت مذنبا ومجرمًا. كان هذا هو هاجسي، و لم أكن لأسمح لذلك أن يحدث."

قبل أمراء الجماعة قراره على مضض. كُلِّف ضابط جيش كبير متقاعد بترتيب مغادرته، فقرر أنه على الخليفة أن يغادر باكستان على متن الخطوط الهولندية KLM التي يسافر عليها عادة. أرسل شخص إلى كراتشي ليحجز المقاعد بدلًا من الحجز عبر الهاتف لأنهم كانوا يعلمون أن خطوط هواتفهم كانت مراقبة وأن المكالمات كانت تُسجّل.

كان في ذلك الأسبوع رحلتان للخطوط الهولندية من كراتشي إلى أوروبا، تغادر إحداهما في الصباح الباكر من يوم الاثنين ٣٠ نيسان/ أبريل، والأخرى تغادر يوم الأربعاء الثاني من أيار/ مايو. اقترح الخليفة أن يختار رحلة الأربعاء لأنها ستعطيه وقتًا أطول للاستعداد للرحيل، ولكن عندما عاد

الرسول أخبر بأن مدير الخطوط الهولندية يريده أن يذهب برحلة صباح الاثنين.

كان هناك الكثير من المقاعد الشاغرة على طائرة الأربعاء ولا يوجد أي مقعد شاغر على طائرة الاثنين. ولكن مدير الخطوط الهولندية قال إنه سيوفر ستة مقاعد على الأقل في رحلة الاثنين. لم يبرر طلبه هذا ولكن نصيحته قُبلت. وفي وقت لاحق شرح أن طائرة الأربعاء كانت ستهبط في إحدى دول الخليج في حين كانت رحلة الاثنين مباشرة إلى أمستردام.

لو قامت حكومة باكستان بإصدار مذكرة باسم الخليفة أنه مجرم مطلوب لكان من الممكن أن يُعتقل ويُحتجز في الدولة الخليجية.

في تلك الأثناء كانت المقرات الرئيسة للجماعة في ربوة موضوعة تحت مراقبة خمسة من أجهزة الجنرال ضياء الأمنية؛ لقد راقبوا كل الطرق داخل ربوة وخارجها.

لم تصعُب معرفتهم، فقد كان هنالك مجموعة من عناصر الجيش متنكرين بزي المتسولين، وربما كانوا مجموعة المتسولين الوحيدة في العالم التي ارتدى جميع أفرادها الأحذية العسكرية السميكة!

أصر الخليفة على ألا يكون هناك أي كذب أو خداع في رحيله؛ فلن يتنكر ولن يستخدم جواز سفر مزوّر. وإذا توصلت أجهزة استخبارات ضياء لاستنتاجات خاطئة فإن ذلك شأنهم.

وفي الصباح الباكر، بُعيدَ صلاة الفجر، شوهدت سيارة الخليفة تغادر ربوة وفي مقعدها الخلفي رجل يلبس رداء أبيضَ خفيفًا أو معطف "اچكن" معتمرًا عمامة بيضاء مجنحة، أي العمامة البنجابية، وفي وسطها قبعة ذهبية اللون. لقد كان ذلك لباس الخليفة الاعتيادي. سارت مع سيارة الخليفة مرافقته المعتادة المؤلفة من سيارة بالأمام وسيارتين بالخلف، وركب حراسه الشخصيين الذين كانوا معروفين جيدا عند المخابرات على مرآهم. ظن

الأحمديون في الشوارع أن الخليفة متوجهٌ إلى إسلام أباد التي تبعد نحو 200 ميل، وكان ذلك ما ظنه أربعة من الفروع الخمسة للمخابرات التي كانت تراقب ربوة.

أرسلوا تقريرًا أن الخليفة كان في طريقه إلى إسلام أباد، وكالعادة كانت نوافذ موكبه مظللة. وفي وقت لاحق أفادت السيارات التي تتبعت الموكب أن الخليفة لم يكن ذاهبًا مباشرة إلى إسلام أباد عبر (بندي). وبدا وكأنه ذاهب إلى (جِهلم) التي يملك فيها ابن عمه ميرزا منير أحمد مصنعًا لألواح الخشب.

كانت جهلم تبعد نحو ٧٠ ميلًا شرقي إسلام أباد، وقد ظُنَّ أنه سيقضي الليلة عند ابن عمه، كما كان يفعل أحيانًا في الماضي، ومن ثم سيتابع رحلته إلى إسلام أباد في اليوم التالي. لو أنه تابع مباشرة إلى بندي أو إسلام أباد فإن الحكومة كانت سترسل مسئولًا للقائه.

لكن لم يكن الخليفة مَن كان يجلس في المقعد الخلفي لسيارة المرسيدس، إنما أخوه الثالث الأكبر، ميرزا منوَّر أحمد.

قبل ثلاث ساعات، أي في الثانية صباحًا، عندما كان الظلام دامسًا، غادرت سيارتان ربوة آخذتين طريقًا صغيرًا يؤدي إلى بلدة (لاليان ) الصغيرة ومن ثم إلى (جانغ) وأخيرًا إلى الطريق السريع الرئيس إلى كراتشي، التي كانت تبعد ٧٥٠ ميلًا. استقل السيارة الأولى أفراد آخرون من حرس الخليفة بينما كان الخليفة في السيارة الثانية.

أصر ضابط الجيش المتقاعد على أنه ينبغي أن يخبر فقط بقرار الخليفة النهائي بالرحيل أولئك الذين هم بحاجة مطلقة للمعرفة ويجب أن يكون عدد من يعرف تفاصيل مغادرته محدودا أكثر.

ولذلك فحتى أولئك الذين استُشيروا في أمر مغادرته ومعظم أفراد أسرته لم يعلموا بقرارا رحيله. وأكد الضابط المتقاعد أن المسألة لم تكن مسألة ثقة

وإنما إجراءات أمنية طبيعية. إنْ لم يعرف الناس فلن يزِلَّ لسانهم بشيء. ولكن الخليفة قال لاحقا بأن الله قد أخبر سلفًا اثنين من الناس؛ فبعد وقت قصير من تقرير كيفية وزمن المغادرة الذي سيكون خلال يومين نُقلت رسالة من أحمدي مُسن يدعى عثمان تشو. لقد رأى السيد تشو منامًا لم يفهمه، لكنه اعتقد أنه يتضمن رسالة ما تخص الخليفة. فقد كتب أنه رأى في منامه أن سيارة الخليفة كانت على وشك المغادرة إلى إسلام أباد، فاقترب منها ليعبِّر عن احترامه، وعندما نظر من النافذة الجانبية رأى أن السيارة كانت فارغة.

"لقد أصبت بصدمةٍ وصرخت: الخليفة يرحل وسيارته ترحل، لكنه ليس في السيارة، ثم أخبرني صوتٌ أن الخليفة قد غادر من طريق آخر وأنه قد غادر البلاد. ولذلك رافقت السيارة وبدلًا من الذهاب مباشرة إلى إسلام أباد ذهبنا إلى جهلم حيث مكثت السيارة ليلة واحدة".

كان ذلك هو الحلم كما ذكره عثمان تشو في رسالته. لقد تضمّن الخطة السرية التي أُقرّت قبل ذلك ببضع ساعات!

قال الخليفة فيما بعد: "علمت حينها أن الخطة ستنجح. لقد صدّق الله عليها. ولذلك لم ينتابني أي خوف مطلقًا من عدم نجاحها".

الشخص الثاني الذي تلقى رسالة بشأن مغادرته، كانت ابنته الثانية فايزة، مع أنه لم يفهمها في حينها وكذلك هي. قال الخليفة بأنها كانت تبلغ ٢٣ عامًا حينها. لم يعلم أحد في العائلة عن سفره الوشيك لكن في اليوم السابق لمغادرته أخبرته فايزة بحَيرة بحلمها الذي رأته الليلة السابقة. لقد رأت سيارتين في طريق منعزل ومع أنها لم تكن سيارات الخليفة المعتادة إلا أنها أدركت أن الخليفة كان فيها وأنه كان مغادرًا في رحلة. أبطأت السيارتان لدى اقترابهما من مكان كان يبدو فيه أن الطريق قيد الإصلاح، إلا أنه لم تكن تجري عليه أية أعمال ولا وجود لعمّال أصلًا ووُجدت أكوام من الحصى فقط أجبرت

السيارتين على الإبطاء. وعندما أبطأت السيارتان، رأت فجأة بعض المتسولين يقتربون. لم يعجبها مظهرهم وشعرت بخوف شديد. ثم فجأة رأت يدًا تمتد من السيارة التي في المقدمة وتنثر أوراقًا نقدية من فئة روبية واحدة. فركض معظم المتسولين لالتقاطها فتابعت السيارتان سيرهما مجددًا متجاوزتين أكوام الحصى، ثم اتجهتا إلى الطريق الرئيس إلى كراتشي.

قال الخليفة إن ما حصل حقيقة هو أن مياه الفيضان كانت قد جرفت معظم الطرق بين لاليان وجهانغ وكانت الطرق تُصلح ولكن ببطء شديد. وقد استغلت المخابرات العسكرية الحاجز الطبيعي للطريق ليقيموا في تلك النقطة مجموعة مراقبة متنكرة كشحاذين.

السيارتان اللتان كان يشغلهما الخليفة ومجموعة أمنه أبطأتا فاندفع نحوهما من يدعون أنهم شحاذون، بعضهم ارتدى كالدراويش ثوبًا فقط، لكن بدا جميعهم أصحاء جدًا وكلهم قد ارتدوا أحذية عسكرية!

كان المتسولون يتحركون تجاه السيارة الثانية وبالتأكيد تقريبًا كانوا سيكتشفون وجود الخليفة، الذي كان يجلس في المقعد بجانب السائق، عندما قام أحد عناصر أمنه في السيارة الأولى بفتح النافذة وقذف حزمة من الأوراق النقدية من فئة روبية واحدة. ركض الشحاذون لالتقاطها وتقدمت سيارة الخليفة. التفَّت حول أكوام الحصى ثم تسارعت ومضت في طريقها مجددًا.

بعض المتسولين لم يكترثوا بالتنافس للحصول على الهبة السخية التي ألقيت على الطريق، إنما حدقوا بإمعان في ركاب السيارات.

لاحقًا في ذلك اليوم أفادت وحدة استخبارات الجيش أنه يُعتقد أن الخليفة قد كان في السيارة التي شوهدت متجهة نحو جهانغ وبالتالي فإنها قد تكون في طريقها إلى كراتشي. ولكن تم تجاهل هذا التقرير لأن فروع الاستخبارات الأربعة الأخرى أخبرت كحقيقة أن الخليفة وأعضاء أمنه كانوا في الطريق إلى إسلام أباد وقد توقفوا لقضاء الليلة في بيت عمه في جهلم.

كان طائرة الخطوط الهولندية ستغادر إلى أمستردام في الثانية صباحًا. وقد تمت رحلة الـ ٧٥٠ ميلًا للخليفة بدون صعوبة، لكن ليس من غير قلق على عناصر أمنه.

في الطريق توقفوا في استراحة للسائقين حيث أمكنهم شراء الشاي وبعض الطعام. أوقف سائقه السيارة على طرف الاستراحة تمامًا وقال إنه سيحضر الشاي والطعام للخليفة لأنه كان من السهل جدًا التعرف عليه.

لم يكن لدى الخليفة أي قلق من هذا القبيل. كان يعرف الرجل الذي يدير استراحة القهوة بشكل جيد جدًا. وكثيرًا ما أوقف سيارته هناك قبل أن يُنتخب خليفة. لذا فقد ترجل من السيارة وراح يتبادل الذكريات مع مالك القهوة بينما يتناول الشاي. ومن ثم تابعوا طريقهم مجددًا.

في المطار أُرشد إلى غرفة خاصة وقبل ساعة من وقت الإقلاع المقرر للطائرة مر عبر مراقبة الجوازات. ثم انتظر النداء من أجل الصعود إلى الطائرة.

لم يأتِ النداء.

وبدلًا من ذلك كان هناك فقط إعلان أنه سيكون هناك تأخير في وقت المغادرة. جلس الخليفة في غرفته الخاصة ينتظر. كانت الدقائق تمر بطيئة.

مدير الخطوط الهولندية الذي أكد له أن الطائرة ستقلع في الوقت المحدد، وصل الآن ليقول أن التأخير كان مسئولية سلطات المطار. لم يعطوا الإذن للطائرة بالإقلاع.

جلس الخليفة ينتظر. حاولت زوجته ورجال أمنه أن يخفوا قلقهم. ابنتاه الصغيرتان، اللتان كانتا صغيرتين جدًا لفهم ما يجري، أخلدتا إلى النوم.

ومرت الدقائق بهم بطيئة.

بعد ساعة من الوقت الذي كان مقررًا للإقلاع تم الإعلان عن رحلتهم. الخليفة، وزوجه وابنتاه، وتشودري حميد نصر الله خان، أمير لاهور، وضابط

الجيش المتقاعد جميعهم أخذوا أماكنهم استعدادًا للرحلة المباشرة التي ستستغرق ثمان ساعات إلى أمستردام.

لم يكن هناك أدنى شك في أن التأخير كان بسبب وجود الخليفة، ولكن لم يُعلم إلا بعد مرور شهور كم كان اعتقال الخليفة وشيكًا.

كانت أمام ضباط الجوازات برقية أُصدرت مباشرة من قبل الجنرال ضياء. جرى تعميمها على جميع الموانئ البحرية والجوية والنقاط الحدودية. نصت الرسالة على أنه يجب عدم السماح بمغادرة "ميرزا ناصر أحمد الذي يسمي نفسه الخليفة للحركة الأحمدية" باكستان.

لم يكن من العجب كثيرًا حدوث التأخير. الجنرال ضياء الحق كان قد تعامل كثيرا مع الخليفة الثالث، ميرزا ناصر أحمد، وهو الذي كُتب بالخطأ على أمر الحظر، وليس اسم الخليفة الرابع!

**لقد مَنع الخليفةَ الثالث، الذي كان قد توفي منذ سنتين، من مغادرة البلد!**

جواز الخليفة الرابع نص بوضوح تام أن اسمه هو "ميرزا طاهر أحمد" وأنه هو رئيس الجماعة الأحمدية.

خلال الساعة التي انتظروها حاول قسم مراقبة الجوازات الاتصال بشخص ما في إسلام أباد لحل مشكلة الالتباس، لكن في الساعة الثانية صباحًا لم يمكن الاتصال بأي أحد بمقدوره حل المشكلة. اقتُرحَ أنه لا بد أن يكون أمرًا منتهي الصلاحية. على أي حال كانت هناك معلومات رسمية تفيد بأن الخليفة كان في طريقه إلى إسلام أباد.

أخيرًا تم إعطاء الإذن للطائرة بالإقلاع.

في الساعة الثالثة صباحًا رن الهاتف في شقة إمام مسجد لندن، عطاء المجيب راشد.

التقط السيد راشد السماعة.

"هيئ نفسك"؛ قال الصوت على الهاتف.

قال السيد راشد: "أنا جاهز. لكن من أجل ماذا؟ ".

لقد عرف الصوت على الهاتف بأنه صوت مسعود أحمد، مدير البعثات الخارجية في ربوة.

أخبره السيد أحمد أن الخليفة قد غادر باكستان منذ أربع ساعات. أرادوا أن يتأكدوا من أن الطائرة كانت تقترب من أوربا قبل الاتصال الهاتفي بلندن.

السيد راشد يقول مستذكرًا أنه قد غلبته العواطف. سألته زوجته ماذا دهاه، ولكن قبل أن يجيبها خرّ ساجدا ليشكر الله على نجاة الخليفة. ثم أخذ بترتيب غرفة الاستقبال. تم الاتصال بمسئولي الجماعة الكبار في لندن وتم عقد اجتماع طارئ الساعة الرابعة والنصف صباحًا في المسجد.

في تلك الأثناء بدأت زوجته بتنظيف البيت تأهبًا لوصول الخليفة. كل ملابسهم وممتلكاتهم وضعت داخل ملاءات السرير التي تم حزمها على شكل صرر. والشيء نفسه حدث في مكتبه.

جرى الاتصال بأعضاء من الجماعة في هولندا وإخبارهم عن الوصول الوشيك للخليفة. ثم وصلت الأخبار بأنه قد هبط وأنه سيأخذ الطائرة الثانية المتجهة إلى لندن.

وصل مسجد لندن تمامًا قبل الثانية عشرة والنصف (١٢:٣٠) حيث كان نحو ٣٠٠ أحمدي، جرى إخبارهم شفاهًا، قد تجمعوا لاستقباله. كانت ثيابه مجعدة، وعيناه محمرتان وتظهر على وجهه أمارات الإرهاق. لكنه ذهب مباشرة إلى المسجد ليؤم صلاة الظهر. كان صوته مبحوحًا، وقد شرح لاحقًا أنه في ربوة كان عليه أن يتكلم بصوت عال جدًا في المسجد لأن استخدام مكبرات الصوت كان محظورًا.

في تلك الأثناء في ربوة كان صهره السيد كاهلون متحيرًا حول برقية تم إرسالها حال هبوط طائرة الخليفة في أمستردام، نصها: "البضاعة الثمينة التي أُرسلت إلى أمستردام قد وصلت بأمان. وستصل لندن قريبًا".

لم يستطع صهره فهم الرسالة. بعد أن سأل في المكتب اتصل بزوجته وقال لها: "لا أدري عما يتحدث أخوك. لقد أرسل لي برقية تقول إن البضاعة الثمينة قد وصلت. لكن لا أحد يعلم شيئًا عنها. هل أرسلت له شيئًا؟".

أجابت زوجته: "لا"، صمتت قليلًا ثم قالت إنه كان هناك إشاعات بأن الخليفة قد غادر باكستان. واقترحت أنه يجب عليه أن يأخذ البرقية إلى الأمير.

كانت تلك هي الأخبار التي كان الأشخاص القلائل المطلعين على السر ينتظرونها. وسرعان ما انتشر الخبر في ربوة ومن ثم إلى كل أحمدي في باكستان.

إن أنباء مغادرة الخليفة لباكستان قد جعلت ضياء يستشيط غضبًا. أُوقف كبار المسئولين في قسم الهجرة في كراتشي. وبُدئت تحقيقات في كل الاتجاهات. قال ضياء مستشيطًا لا بد أن هناك تواطئًا. لا بد أن يدفع المسئولون عن ذلك ثمنًا باهظًا.

كان ضابط الشرطة الكبير في مقاطعة جهانغ يجلس في مكتبه مع صديقٍ صباحَ نجاة الخليفة عندما جاء اتصال مباشر من إسلام أباد وقيل له أن يتحدث مع رئيس باكستان. كان صوت ضياء مسموعًا بوضوح تام للضيف.

سأل ضياء: أين ميرزا طاهر أحمد؟ يجب إيجاده حالًا.

قال الزائر لاحقًا كان ضابط الشرطة يرتجف بواضح عندما أجاب، "سيدي، ليس لدي أي فكرة".

انفجر ضياء: "ماذا تقصد بِلَيْس لديك أي فكرة؟ أنت المسئول. هو ضمن مقاطعتك. لماذا غادر إلى مكان ما دون علمك؟ أنا أحملك المسئولية. لا بد من خلقه فورًا".

أجاب ضابط الشرطة الكبير بأهدأ ما يمكن أنه سيبدأ تحريًا فوريًا لاكتشاف مكان الخليفة.

كان جواب ضياء خطابًا مفعمًا بالتهديد والإهانة استمر لعدة دقائق.

في لندن اتصل رئيس أمن السفارة الباكستانية بسفير سابق وسأله ما إن كان يعرف مكان رئيس الجماعة.

رد السفير السابق على سؤاله بسؤال آخر: "لماذا تسألني هذا السؤال؟".

فقال رئيس أمن السفارة أنه قد تلقى تقريرًا من باكستان بأن الخليفة قد غادر باكستان سرًّا إلى سويسرا إلا أن الاتصالات في سويسرا أفادت أنه لا أثر له هناك.

ثم أجاب السفير السابق بأن الخليفة قد غادر باكستان كمسافر عادي على طائرة عادية وهو الآن في لندن.

تصدرت أنباء نجاته الصفحات الأولى في كل أنحاء العالم. واستمع المسلمون في باكستان والهند إلى تفاصيل خروجه وخططه المستقبلية بكلماته شخصيًا حيث بثت هيئة الإذاعة البريطانية العالمية BBC بكل من اللغتين الإنجليزية والأردية مقابلة معه دامت اثنتي عشرة دقيقة.

لقد أراد ضياء أن يُسكِت الجماعة الأحمدية. وبدلًا من ذلك قد أهداها فرصتها الأثمن. كانت لندن تشكل تقاطع الطرق في العالم. من لندن لدى الخليفة الفرصة لقيادة الجماعة الأحمدية في مهمتها لتحويل العالم إلى الإسلام.

قال الخليفة لاحقًا: "إن طرق الله رائعة".

يُعتقد أن الخليفة قد نجا من الاعتقال بفارق ١٢ ساعة تقريبًا. فحاكم البنجاب قام باتصال هاتفي قبل أن يصبح خبر نجاته معروفًا وترك رسالة تقول بأن على الخليفة أن يحضر مباشرة إلى مكتبه في لاهور. لو فعل ذلك لتمَّ اعتقاله.

## الفصل الثالث والعشرون

# فرصة جديدة

إن وصول الخليفة إلى لندن كان من شأنه أن يلقي عبئًا غير عادي على مسجد لندن. سابقًا كان هو المقر الرئيس لجماعة بريطانيا، ومع ازدياد عدد الأحمديين كان هناك بحث مستمر عن مساحة مكتبية أكبر. وفجأة أصبح المسجد ومرافقه مكتب الخليفة.

على نحو ما كانت لندن تفضُل ربوة؛ إن لندن بالإضافة إلى كونها تقاطع الطرق للعالم فيما يتعلق بالرحلات الجوية، كانت أيضًا مركزًا عالميًا للاتصالات. كان بمقدور الخليفة أن يتصل مباشرة بأي مكان في العالم تقريبًا من غير المرور بمقسم. الإرسال بوساطة الفاكس قد وفر نقلًا سهلًا وفوريًا تقريبًا للوثائق.

إن مكتب إمام مسجد لندن عمليٌّ أكثر منه جميلا. مساحته عشرة أقدام بعشرة أقدام. هذا يتسع لطاولة مكتب كبيرة، ثلاثة صفوف من الكراسي أمامها وخزائن كتب منوعة. لا يوجد أي إطلالة والضوء يأتي من نوافذ طويلة وضيقة. تلك النوافذ تمرر ضوءًا كافيًا، ولكن في رأي بعض الزوار، فإنها تعكس الرؤية القاصرة لمهندسي العمارة لفترة ما بعد الحرب.

الخليفة الذي حُرم من هواء وأشعة شمس ربوة، طلب أن يكون هناك قدر المستطاع بعض الأزهار والنباتات في مكتبه. وفي الوقت المناسب كان هناك أيضًا عدد من النفائس الشخصية؛ صور فوتوغرافية من جولات ما وراء البحار، والأكثر أهمية من كل ذلك، قصاصة ورقية تحمل خط المسيح الموعود أرسلها له أحد الأحمديين.

في صندوق أسفل مكتبه، بعيدًا عن مرأى الزوار، هناك صندوق يحوي قطع حلوى. كانت من أجل أطفال الأحمديين الذين يأتون من أجل المقابلة الشخصية.

"يُقال لهم بتأكيد شديد أن يكونوا بأحسن سلوك لدرجة أنه تأخذهم الرهبة إلى حدٍّ ما عندما يدخلون. ومع ذلك هم أحد أعظم البهجات لمكتبي. أحب التحدث إلى الأطفال، أحب براءتهم، التحدث إليهم يريحني كثيرا".

الآن وقد استقر الخليفة بسلام، كانت الأولوية الأولى هي تأمين مكان ما للعمل من أجل الناس الذين كانوا ينضمون إلى طاقمه. أُحضرت مكاتب مؤقتة، كتلك التي تُرى في مواضع البناء و لم تكن هناك حاجة للحصول على موافقة تخطيط لأنها كانت متحركة. في داخل قاعة الاجتماعات تم بناء مكاتب صغيرة حول الجوانب بما يشبه المعرض نوعًا ما في حين أمنت خيمة قماشية كبيرة مكانًا بحيث يمكن لأي واحد أن يتناول غداءً ساخنًا.

كان الموظفين كلهم متطوعين وعملوا في أوقات فراغهم. فالمدرسون كانوا يحضرون بعد انتهاء دوام المدرسة. والذين يعملون بنظام المناوبات كانوا يحضرون إما باكرًا أو في وقت متأخر وفق ساعات عملهم. الآن قد ثبتت أهمية تأكيد الجماعة على موضوع التعليم لكل من الأولاد والبنات. كان هنالك عدد أكبر من النساء جاهزات بشكل فوري أكثر من الرجال لمساعدة الخليفة.

في لندن أخذت أعضاء تنظيم النساء – لجنة إماء الله – على عاتقهن مهمة تأمين أعمال السكرتاريا للخليفة. معظمهن كانت لديهن مؤهلات السكرتاريا والعمل على الحاسب أو غيرها من المؤهلات المكتبية. وحيث إنه كان بإمكانهن التفرغ ساعة أو ساعتين فقط خلال النهار في الوقت الذي يكون فيه أولادهن في المدرسة فإنهن كن يأتين إلى المسجد، يأخذن الرسائل والتقارير وغيرها من البيانات ويعملن عليها في المنزل مساء. كثيرات منهن

عملن بشكل متواصل حتى الواحدة صباحًا، ليعدن في اليوم التالي ليأخذن مجموعة جديدة من المراسلات.

نظام الحاسوب الذي يغطي الجماعة الأحمدية في كل العالم جرى إنشاؤه وتأمين موظفيه بشكل كامل من قبل النساء. وهذا النظام مكّن الجماعة من تنظيم نفسها بشكل أكثر كفاءة. حيث تم تصنيف الأسماء والعناوين، وتحديد ديانة المرء السابقة، وثقافته وخلفيته العلمية، ونوع الأدبيات التي يمكن أن تحظى باهتمامه.

في ربوة كان هنالك أماكن سكن من كل الأنواع متوفرة للزوار يمكنها أن تستوعب حتى ٢٥٠ ألف شخص يمكن أن يحضروا الجلسة السنوية في ديسمبر. في لندن وقعت على أعضاء تنظيم النساء مهمة تأمين السكن والطعام في منازلهن لمعظم زوار الخليفة.

الآن أيضًا أخذ نظام الخليفة الخاص أبعاده. ففي ربوة كانت تصله حتى ١٠٠٠ رسالة في اليوم، الآن صارت تصل إلى لندن، وكما في السابق قامت أمانة سره بتصنيفها وترقيمها. كثير منها كانت بشكل طبيعي طلبات من الخليفة للدعاء من أجل بعض الأمور الخاصة. ومع أنه كان هناك، إلى حد ما، جواب ثابت، كان الخليفة يوقّع كل رسالة شخصيًا. وإذا كان هناك أي ظروف خاصة كان يلفت انتباه المرسِل لها.

وكان في كل يوم يطّلع شخصيًا أيضًا على الملفات.

"خلال جولاتي أقابل العديد من الناس الذين يكتبون لي في وقت لاحق. وعادة أستطيع أن أربطَ وجهًا بالاسم الذي على الرسالة عندما يذكرون اللقاء في رسائلهم. توجد في الغالب إشارات صغيرة لحدث ما في تلك الرسائل، وبالطبع لا يستطيع موظفيّ فهم هذه الإشارات ولذلك فإنني دائمًا أقوم بنظرة سريعة على كل شيء. لقد دربت عيني ألا تخطئ هذه النقاط".

رسائل أخرى كانت تُرسل إلى رؤساء الأقسام المختلفة، وهكذا يمكنهم إرفاق توصية أو ملخص للرسالة قبل تسليمها للخليفة لاتخاذ قرار بشأنها.

وردت رسائل من الأحمديين في كل أنحاء العالم أيضًا تطلب منه أن يكتب لهم شخصيًا ولو جملة واحدة. أرادوا أن يحتفظوا بقطعة من خط يده كشيء ثمين. تلك أيضًا أجاب عليها.

الأمر الأكثر صعوبة – والأكثر استهلاكًا للوقت – كانت طلبات المساعدة الشخصية.

"بعض هذه الرسائل كان مشحونًا جدًا بالعواطف لدرجة أنني لا أستطيع أن أملي جوابًا لها. أشعر بأنها غلبتني. ينبغي علي أن أجلس بنفسي في غرفة حيث لا يستطيع أحد أن يراني وأكتب الرد باليد. إنه طلب شخصي جدًا طلبوه مني ولذا يجب علي أن أرد عليه شخصيًا".

لقد حاول ولأول مرة أن يستعمل آلة تسجيل لتسريع عمله، إلا أنه سرعان ما تخلى عن الفكرة.

"إن الميكروفون هو شيء ميت لدرجة أنني شعرت بأنه من المستحيل التواصل معه. لم أشعر أنني أعطي جوابًا لشخص حقيقي. أنا الآن أستعملها أحيانًا فقط عندما أكون مسافرًا في السيارة ولا يمكنني الكتابة. ثم أستخدمها لإعطاء إرشادات حول كيفية التعامل مع مسألة معينة. و لم أُمْلِ قط الرسالة الفعلية".

باعتقاده أصبحت قراءته أسرع؛ هي الآن "سريعة جدًا جدًا" في الأحوال العادية. بدلًا من قراءة جمل أو فقرات كانت عيناه تلتقطان الصفحة كصورة بدلًا من كلمات. وعندما كانت عيناه تلتقطان شيئًا أساسيًا كان يبطئ القراءة.

قال الخليفة: "يجب أن تكون كذلك إن كنت تغطي الكثير من المواد".

لقد طور أيضًا القدرة على فعل ثلاثة أشياء في الوقت نفسه. "الذي يحدث هو أنني آخذ كل البريد للتوقيع إلى غرفتي وهناك أوظف وقتي ليس فقط في مجالين إنما في ثلاثة مجالات. الكثير من الأحمديين يرسلون لي أشرطة كاسيت بالإضافة إلى الرسائل. وفيها قد سجلوا أفكارهم أو ربما قصيدة. لذا إن كان شخص قد تكبد هذه المشقة فمن الطبيعي أن أرغب بسماعها. وهكذا بينما أنا أقرأ وأوقع الرسائل – الأمر الذي يستغرق نحو ثلاث ساعات– فإنني أيضًا أشغل الأشرطة. وإن كان هناك برنامج مهم على التلفاز أرغب بمشاهدته فإنني أشغله أيضًا."

"عندما يشد انتباهي أمر ما في التلفاز وأحتاج أن أستمع إليه بتركيز عندها أوقف الشريط. لكنني لا أوقف توقيع الرسائل أبدًا. أفعل ذلك باستمرار. أنا ألقي نظرة عليها ويبدو أنني آخذ كامل الصفحة دفعة واحدة. ثم أوقعها. وبهذه الطريقة أوفر الوقت وأستغله أحسن استغلال".

أحمديون من كل أنحاء العالم كانوا يرسلون له كتبًا.

"هذه الكتب ليست فقط كتبًا عن الدين، إنما هي كتب قد وجدوها ممتعة ويعتقدون أنها ستكون ممتعة لي. أحيانًا كانت كتبًا حول قضايا عالمية أو سياسة أو حول أوضاع محلية. وكما في ربوة فقد اخترت عددًا من القراء ذوي الخبرة في مجالات متنوعة والذين أثق برأيهم وحكمهم. إنهم يقرأون الكتب ويعلّمون ما يرونه أكثر أهمية. وبتلك الطريقة أمر على الكثير من الكتب كل أسبوع وأجمّع كمية هائلة من المعلومات حول بلدان متنوعة.

"حيثما يكون لديَّ معرفة شخصية بوضع ما فإنني أحب أن أختبر معرفة المؤلف. فإن كان تقييمه لوضع أو شخص ما يتوافق مع معرفتي الشخصية لما حدث فإنني عندها أشعر أنه يمكنني عادة أن أثق بمحاكمته وانطباعاته حول أحداث أخرى".

## الفصل الرابع والعشرون

# مشاجرة بين سياسيَّين بريطانيين

الآن وقد أصبح مكتب الخليفة يعمل بكفاءة حوّل الخليفة انتباهه إلى أوروبا وأفريقيا.

لقد تعمد أن يبقي نفسه بعيدًا عن الأضواء منذ وصوله إلى بريطانيا. والآن حان الوقت ليبدأ جولاته التبشيرية مجددًا. قال أنه سيذهب أولًا إلى هولندا في شباط/ فبراير، ١٩٨٥. وفي ذلك الوقت تكون قد مضت عشرة أشهر منذ وصوله إلى بريطانيا في ١-٥-١٩٨٤.

أمراء الجماعة ومستشاروه نصحوه بتوخي الحذر إذ كان ما يزال في بريطانيا بتأشيرة زيارة. فإن غادر بريطانيا في الوقت الحاضر فربما لن يعود إليها ثانية. لم يكن هناك أي جواب من مكتب الداخلية بشأن التأشيرة التي تقدَّم بطلبها.

كان الخليفة قد تقدم بطلب للسماح له بالبقاء في المملكة المتحدة كـ "زعيم ديني" في آب/ أغسطس سنة ١٩٨٤. أي بعد ثلاثة أشهر على وصوله من باكستان. طلبه كان مدعومًا من قبل ديفيد ميللر، عضو المجلس النيابي (البرلمان) عن دائرة بتني، وهي الدائرة التي يقع فيها مسجد لندن. ميللر كان رجلًا ذا نفوذ في حزب المحافظين والذي أصبح بعد فترة قصيرة عضوًا في مجلس الوزراء.

الخليفة، كما قال السيد ميللر: "كان رجلًا على قدر كبير من النزاهة والنبل... إنه رجل فاضل".

لكن، وحتى الآن، كان هنالك مجرد تأكيد استلام طلب الخليفة. ليس إلا. لكن وراء الكواليس، كان هناك نشاط معتبر.

القرار بتقديم طلب للحصول على إذن بالإقامة في بريطانيا لمدة ١٢ شهرًا كزعيم ديني كان قرارًا اتُّخِذَ بعناية. ولو طلب السماح له بالبقاء كلاجئ فإن هذا كان من شأنه أن يضع الحكومة البريطانية في وضع حرج. كان من الممكن بالتأكيد إثبات أنه قد تعرض للاضطهاد بسبب معتقداته الدينية، لكن الجنرال ضياء وحكومته سيثيرون ضجة عندئذ. قد يكون أحد نتائجها هو تفاقم اضطهاد الأحمديين في باكستان. ولذلك فإن الخليفة كان قد قرر منذ وقت طويل ألا يطلب أبدًا اللجوء.

وبالتقدم بطلب الإذن بالبقاء في بريطانيا وفق المادة ٣١ من قوانين الهجرة البريطانية فقد تجنب كل الجدل. في باكستان كان المتطرفون يزعمون أنه كان مسئولًا عن قتل رجل يدعى أسلم قريشي وكانوا يلتمسون علنًا من ضياء أن يطلب ترحيل الخليفة إلى باكستان بسبب هذه التهمة.

وزارة الداخلية البريطانية، التي تُعنى بأمور الهجرة، سألت وزارة الخارجية والكومونويلث عن رأيهم، وذهبت برقيات وعادت بين لندن وسفارة بريطانيا في إسلام أباد، في باكستان. أجاب سفير بريطانيا أنه لا يرى أي سبب لعدم السماح للخليفة بالبقاء في بريطانيا. ولكنه أشار إلى أنه لو بدأ الخليفة بالكلام عن اضطهاد الأحمديين في باكستان فإنه قد يكون هناك ضغط من ضياء لإسكاته أو إعادته إلى باكستان.

بحلول كانون الثاني/ يناير عام ١٩٨٥، لم يكن هناك جواب من وزارة الداخلية بعد. أعلن الخليفة أنه، بتأشيرة أو بلا تأشيرة، سيذهب إلى هولندا الشهر القادم.

لكن لحسن الحظ، بعد بضعة أيام وصلت التأشيرة!

عندما وصل إلى أمستردام سُئل الخليفة من قبل الصحفيين عن الوضع في باكستان، فوصفه بأنه "حرج".

كانت ردة فعل ضياء فورية. تم الاتصال بالسفارة البريطانية في إسلام أباد. أُخبر السفير أن العلاقات بين باكستان وبريطانيا يمكن أن تتضرر بسبب سلوك الخليفة. إذا كان لدى الخليفة إذن غير محدود بالسفر خارجًا من بريطانيا متى شاء فإنه يمكن أن ينتقد حكومة ضياء في أي بلد يكون فيه. وهذا سيكون وضعًا غير سارّ لباكستان، ذلك أن الخليفة كان من أكثر الرجال إقناعًا.

كان ذلك هو رد الفعل الذي تنبأ به السفير.

نُقلت شكاوى ضياء إلى وزير الخارجية، سير جيفري هاو، الذي قام بفعلٍ، لم يكن مباشرًا، فلم يكن ذلك ما عُرف عنه. ومع ذلك، وإن تصرف بناء على اعتبارات ناضجة، فإن تصرفاته لم تُضفِ بريقًا على اسمه.

في نيسان/ أبريل، ١٩٨٥، كتب السير جيفري إلى وزير الداخلية، ليون بريتان، أن قرار منح الخليفة إذن البقاء في بريطانيا لمدة ١٢ شهرًا كـ "ممثل ديانة" يسبب له قلقًا. وأشار إلى أن تقديم الطلب لمثل هذه التأشيرة كان ينبغي أن يتم قبل الوصول إلى بريطانيا وليس بعده، كما هو الحال مع الخليفة.

اعتقاده الشخصي، كما صرح... كان أن المادة ٣١ مناسبة على سبيل المثال لرئيس أسقفية من الولايات المتحدة يأتي من أجل تبادل مؤقت مع عميد أحد الأبرشيات ضمن دائرته الانتخابية. لكنها ليست متاحة لرئيس فرقة إسلامية من شبه القارة الهندية.

أضاف أنه كان قلقًا من أن إذنًا خاصًا قد مُنح للخليفة، خاصة إن أُخذ بعين الاعتبار الحرج الذي قد تسببه إقامته المستمرة في بريطانيا، فمن المحتمل جدًا أن يصبح "المحمّس لمجموعة من المنشقين المحتملين"، على حد قوله، يمكن أن يصبحوا مصدرًا لحرج متزايد لعلاقات بريطانيا بباكستان، التي هي دولة صديقة.

طلب من وزير الداخلية بعبارات كثيرة جدًا أن يحذّر الخليفة من أن تصريح إقامته كان لمدة ١٢ شهرًا فقط، كما طلب أيضًا من وزير الداخلية أن يأخذ أي طلب لتجديد الإقامة من قبل الخليفة بحذر شديد.

وزارة الداخلية شعرت بالضيق من تدخل وزير الخارجية في مسألة كانت من شأن وزارة الداخلية بشكل كامل. كان الوقت "متأخرًا قليلًا" لبدء الشكاية، كما قال مستشارو وزير الداخلية، فالقرار بمنح تأشيرة لمدة ١٢ شهرًا لم يُتخذ إلا بعد التشاور مع وزارة الخارجية والسفارة البريطانية في إسلام أباد. وقد حدث ذلك بعد تقديم الطلب في آب/ أغسطس ١٩٨٤ مباشرة وأعقب ذلك فترة من السكون دامت نحو ١٠ أشهر من أجل تقييم ما قد يفعله ضياء أو الخليفة، لكن بعدها اتخِذ القرار.

كان من الواضح أن تدخل السير جيفري هو نتيجة للتصريحات التي أدلى بها ضياء للسفير البريطاني بعد سماعه تصريحات الخليفة في هولندا. قال مستشارو وزارة الداخلية: بالتأكيد أن الخليفة كونه رئيسًا للحركة الأحمدية، لم يكن "ممثل ديانة" عاديًا فقد كان هو الشخص الذي يعين الناس ليُرسلوا إلى كافة أنحاء العالم كرؤساء للبعثات الإسلامية الأحمدية. إلا أنه لم يكن هناك أي سبب يمنعه من تعيين نفسه من أجل مسجد لندن. ولو لم يُعطَ تصريح الإقامة الحالي فإن الخليفة يملك حق الاستئناف. بإمكانه أن يطلب حق اللجوء. ينبغي تجنب ذلك، وبالأخذ بعين الاعتبار الوضع السياسي الحالي في باكستان، فإن اللجوء السياسي سيُمنح على الأرجح. إن منح اللجوء سيكون بمنزلة انتقاد لحكومة ضياء وربما يكون له أثران سيئان: سيجلب مزيدًا من الاضطهاد على الأحمديين في باكستان ويضر بعلاقات بريطانيا مع باكستان.

أوضح مستشارو وزير الداخلية أنه حتى ولو انتقد الخليفة معاملة ضياء للأحمديين فإن حكومة باكستان بالكاد ستندهش. وبالإضافة إلى ذلك، ليس

هناك من دليل على الإطلاق أن الحركة الأحمدية تتآمر للإطاحة بحكومة باكستان أو تنظم أو تخطط أو تدعم العنف بأي شكل من الأشكال.

أخبر السيد بريتان، آخذًا بالاعتبار آراء مستشاريه، بأدب لكن بحزم، السير جيفري أن بريطانيا لن تتخلى عن سياستها المشرفة في منح اللجوء للذين يضطهدون بسبب معتقداتهم السياسية أو الدينية حتى ولو لم تُستخدم كلمة "لجوء" مطلقًا.

قال للسيد جيفري: "كنت متفاجئًا نوعًا ما لمعرفة قلقك حول وجود طاهر أحمد في هذا البلد" مع الأخذ بعين الاعتبار مشاورات وزارة الداخلية مع وزارة الخارجية في آب/ أغسطس وأيلول/ سبتمبر، ١٩٨٤ إذ لم تُثِر وزارة الخارجية أي اعتراضٍ حينها.

تابع قائلًا: إنه مما لا شكَّ فيه أن هنالك "تمييزا دينيا صريحا" في باكستان. وبالتالي فلن يكون من المفاجئ لحكومة باكستان أن يكون رئيس الحركة الأحمدية منتقِدًا لأفعالها.

وقال أيضًا: "لا يمكننا أن نمنع السيد طاهر أحمد من انتقاد حكومة باكستان طالما بقي ضمن القوانين". لا يوجد على الإطلاق ما يشير إلى أنه ناشط سياسي يدعو للإطاحة بحكومة باكستان.

لم يقم السيد بريتان صراحة بعدم تقدير الاقتراح البالي للسير جيفري بأن البرلمان، من خلال المادة ٣١، كان يشرِّع حصرًا لرجال دين الأسقفية من الولايات المتحدة الذين يأتون في زيارة تبادلية ممتعة إلى المنطقة الانتخابية المخضرة للسير جيفري.

قال السيد بريتان بشيء من الحدة: "ممثلو الأديان، والمبشرون وأعضاء الجماعات الدينية هي مصطلحات كان القصد منها أن تشمل كل رجال الفعاليات الدينية من كل الأديان. لم يكن من غير الشائع، أن تقوم وزارة الداخلية بالتنازل عن شرط تقديم الطلب قبل الوصول إلى بريطانيا إن كان

من الواضح أنّ إذن الدخول سيعطى في حال تم تقديم الطلب من خارج البلاد. ستكون بيروقراطية غير مبررة إن أصررنا على سفره خارج البلد فقط لمجرد أن يقدم الطلب".

ثم بعد ذلك خلع قفازيه وتلاشت اللباقة الوزارية تقريبًا، فقال أن المادة ٣١ قد صممت لمنع دخول ممثلي الأديان الوهميين – والطريقة التي صاغ بها جمله كانت توحي، أن عددهم ربما شمل أحيانًا من سمّوا أنفسهم موفدين دينيين للأسقفية من الولايات المتحدة.

وتابع قائلًا: "المادة ٣١ لم توضع لتحدد عدد رؤساء الإرساليات الدينية الحقيقيين، والذين أتوقع أن يأتي كثير منهم من شبه القارة الهندية، والبعض من هؤلاء سينتمون للجماعة الأحمدية.

"ولما لم يكن السيد إمامًا أو مبشرًا عاديًا، إذ هو بوضوح "رئيس إرسالية دينية"، وبالأخذ بعين الاعتبار الطبيعة العالمية للجماعة الأحمدية.. سيكون من الصعب القول بأنه ليس له عمل ذا طبيعة دينية ليؤديه في هذا البلد".

لم يكن السيد بريتان أقل لذعًا في إجابته على اقتراح السير جيفري بأن الخليفة يجب أن يُخبَر أنه إن لم يبق صامتًا فإنه لن يُسمح له بالبقاء في بريطانيا: "نحن لم نعطه أي سبب ليفترض أنه ربما يتمكن في النهاية من الحصول على السماح له بالاستقرار هنا، رغم أن من حقه، طبعًا، أن يطلب تمديد إقامته عندما ينتهي أجلها في آذار/ مارس القادم. فإن بقي هنا لمدة أربع سنوات ممثلا دينيا، أي حتى عام ١٩٨٩، سيكون بإمكانه عندها وفقًا لقوانين الهجرة أن يطلب الإقامة الدائمة".

ثم أضاف بلباقة باردة، "ومثل هذا الطلب سيتم تلبيته بصورة طبيعية".

الأصوليون الإسلاميون في كل من بريطانيا وباكستان استمروا في الضغط من أجل ترحيل الخليفة إلى باكستان. في بريطانيا قامت منظمة غريبة تُدعى جمعية الآباء المسلمين بطلب ترحيله، شاكية من أنه كان "متورطًا في نشر

الانسجام العرقي". كانت هذه تهمة سيرحب الخليفة بالإقرار بأنه مذنب فيها.

في الوقت المناسب تقدَّم الخليفة بطلب للحصول على فيزا تخوّله الحق في الإقامة الدائمة في المملكة المتحدة، وقد مُنحها رغمًا عن السير جفري.

أصبح بإمكان الخليفة الآن أن يسافر إلى أي بلد يشاء ثم يعود إلى بريطانيا بدون صعوبة، وبمقدوره أن ينتقد الجنرال ضياء واضطهاده للجماعة الأحمدية بالقوة التي يريدها طالما بقي ضمن حدود القانون. لم يكن بمقدوره أن يحرض على العصيان المسلح ضد الجنرال ضياء، لكنه استطاع أن يشير إلى أن الله سوف يعاقبه على اعتداءاته.

كان ينبغي أن يفعل ذلك.

## الفصل الخامس والعشرون

# رسالة الله

استعمل الخليفة خلال إحدى خطبه عبارةً تم رصدها من قبل أحد أفراد طاقمه الذي قام بطباعتها وتوزيعها. صارت العبارة الآن مثبتة على لوحات الإعلانات للبعثات التبشيرية والمساجد في كل أنحاء العالم.

قال الخليفة: "كل مساء، قبل الذهاب للنوم، اجعلها قضية واجبة أن تقوم بشيء من محاسبة النفس. حاول أن تقيّم الجهد الذي قد قمت به شخصيًا ذلك اليوم لتبليغ رسالة الله".

كانت نصيحة قصد منها أن يتم تنفيذها شخصيًا وبصمت، وقد حاول هو نفسه أن يتبعها دائمًا.

لكن أحيانًا، قام أفراد الجماعة بحسابات علنية حول ما قد تم إنجازه منذ أن أصبح خليفة. في إحدى المناسبات كان من سلط الأضواء على إنجازات الحركة وزير في حكومة سيراليون. فأشار في مؤتمر في بريطانيا إلى أن بلده كانت صغيرة جدًا بأربعة ملايين مواطن تقريبًا. إلا أنهم ينحدرون من ١٧ مجموعة عرقية. ومع كونهم بلدًا صغيرًا جدًا فقد كان لديهم مشاكل كثيرة، وكثير من تلك المشاكل كان يأتي من المؤسسات التي تسيرها منظمات دينية.

ثم أضاف، أن هذا لا يشمل تلك التي تسيرها الجماعة الأحمدية. كان هناك دائمًا تنافس كبير من أجل الدخول في المدارس التي تديرها الحركة وذلك بسبب سمعتها، ولم يكن شرطًا أساسيًا للقبول أن تكون أحمديًا، وكنتيجة لذلك كان هناك تلاميذ من كل الأديان.

المساعدة التي كانت تتلقاها سيراليون من الحركة كانت من دون أي قيد أو شرط. وقام بتعدادها:

"يوجد ٩٠ مدرسة ابتدائية، و٢٠ مدرسة ثانوية، ومدرستان لتعليم اللغة العربية، وثلاثة مستشفيات وصحيفة واحدة. هناك أيضًا نحو ٤٥٠ مسجدا في ١٦٩ ضاحية تديرها الجماعة الأحمدية، و١٤ بعثة ومركز تدريب تبشيري. كان هناك ١٢ مبشرًا قدموا من خارج البلاد و١٢ مبشرًا يحملون الجنسية السيراليونية."

الأمر الذي لم يضِفه، علمًا أن شخصًا آخر قام بذكره لاحقًا، كان أن ١٤ من المدارس الابتدائية وواحدة من المدارس الثانوية قد أُحدثت منذ انتخاب الخليفة الرابع.

كان العون الذي تقدمه الحركة الأحمدية ينمو بشكل مثير للدهشة بالقدر نفسه في دول أخرى في غرب وشرق أفريقيا. في غانا تم تأسيس ثماني مدارس ابتدائية و٥٤ روضة أطفال منذ عام ١٩٨٢. في ليبيريا تم افتتاح ست مدارس ابتدائية وفي زائير افتتحت أربع مدارس ابتدائية ومدرسة ثانوية.

قال وزير الحكومة، أن واحدًا من بين كل أربعة تلاميذ في غامبيا كلها يتلقى تعليمه الآن في مدرسة تم إنشاؤها من قبل الحركة الأحمدية.

وبالمحصلة فإن الحركة تمول الآن في إفريقيا ككل ٢٨ مستشفى، و٣٧ مدرسة ثانوية، و٤٤ مدرسة إعدادية و ٢٠٤ مدرسة ابتدائية.

وصل المبشر الأحمدي الأول الوحيد إلى غانا عام ١٩٢١، وبعد مضي أقل من ستين سنة أظهر إحصاء عام ١٩٨٠ أن نسبة أقل بقليل من ثمانية بالمئة من الثلاثة عشر مليون غاني قد وصفوا أنفسهم بأنهم مسلمون أحمديون.

المدعي العام لغانا قد وصف العون المقدم من قبل الحركة الأحمدية بالكلمات التالية:

"الحركة الأحمدية آخذة على عاتقها المهمة الأكثر إثمارًا وترقيًا. وقد بلغ رصيدها ١٠٢ مدرسة ابتدائية، وخمس مدارس ثانوية، وكلية تدريب واحدة

وخمسة مستشفيات. لقد حصل أبناؤنا على منح دراسية لتمكينهم من الدراسة في مؤسسات التعليم العالي، ومؤخرًا فقط، قد بدأت بعثتكم برنامجًا زراعيًا مثيرًا للإعجاب".

توقف قليلًا ليعطي تأكيدًا أكبر لكلماته، ثم تابع قائلًا: "ولكن إسهامكم الأعظم في بلدنا هو نوع الإنسان الذي قد أنتجته الجماعة لنا. هؤلاء الناس يشار إليهم بتراهتهم، وتواضعهم، والروح العالية للتفاني والتضحية بالنفس."

"هناك الكثير من أعضاء الحركة ممن يشغلون مناصب عالية جدًا في الحكومة، في الخدمات المدنية، وفي المؤسسات التعليمية، وفي الأعمال وفي الكثير من مناحي الحياة المختلفة. إنهم من بين أكثر أفراد الأمة احترامًا."

خطاب المدعي العام لغانا لخص بثلاث فقرات فقط كل غاية الحركة التبشيرية — استخدام المؤسسات التعليمية والطبية كوسيلة لإدخال الناس في أفريقيا إلى الحركة الأحمدية.

وبالنتيجة فقد كان هناك زيادة موازية في النشاط التبشيري. إن كلية التدريب التبشيرية في ربوة في باكستان قد أُغلقت أمام الطلاب من البلدان الأخرى، إلا أن ذلك قد أعطى زخمًا لإنشاء مدارس تدريب تبشيرية محلية في سيراليون، وساحل العاج وأوغندا وتترانيا.

القصة كانت نفسها في البلدان الأخرى. في ألمانيا تم افتتاح خمسة مراكز تبشيرية جديدة منذ عام ١٩٨٢. وفي الولايات المتحدة افتتح ١١ مركزًا تبشيريًا جديدًا، ليبلغ العدد الإجمالي ١٨ مركزًا. في كل أنحاء العالم يوجد الآن مساجد، في بلاد لم يكن يوجد فيها مسجد قط، أو حيث تم إغلاقها مع هزيمة المسلمين في الغرب، من غواتيمالا إلى بولندا، ومن إسبانيا إلى أيرلندا، ومن اسكوتلندا إلى السويد.

في بولينيزيا كان هنالك تبشير متجول. في توفالو حيث لم يكن هناك مسجد قط، أصبح هناك الآن ٥٠٠ مسجد. توجد بعثة تبشيرية في أستراليا.

أحد المسئولين في الجماعة الأحمدية قال: "عما قريب سيتلاقى المبشرون المنطلقون من أندونيسيا بالمبشرين القادمين من الساحل الغربي لأميركا؛ سوف نحيط بالعالم".

طلب الخليفة أيضًا من الأحمديين في الدول الأغنى في العالم أن يأخذوا على عاتقهم مسئولية تمويل العمل التبشيري في الدول الأكثر فقرًا في العالم أو في الأماكن التي لم يصلها الإسلام بعد. وطلب أيضًا أن يقوم أعضاء من الجماعة بتمويل ترجمة القرآن إلى اللغات التي يجدون فيها اهتمامًا خاصًا.

ولذلك قام الدكتور عبد السلام الحائز على جائزة نوبل، والذي أنشأ مركز أبحاث عالمي من أجل علماء العالم الثالث في إيطاليا، بتمويل ترجمة القرآن إلى اللغة الإيطالية. السيد تشودري شاه نواز، رجل الأعمال الناجح الذي يملك مطاعم في كثير من البلدان، موّل الترجمة إلى اللغة الروسية. والسيد مرزا مظفر أحمد، الذي كان يعمل سابقًا في البنك الدولي، وأسرته قاموا بتمويل الترجمة إلى اللغة الكردية. البعثات في الدول الأكثر ازدهارًا ساعدت جيرانها، فغانا، مع أنها هي نفسها من بلدان العالم الثالث، قامت بتمويل النشاط التبشيري في دول أفريقية مجاورة، في حين قامت كندا بتمويل العمل التبشيري في ستٍّ من دول أميركا اللاتينية.

عمل المتطوعون الكنديون في هذه البعثات بدون أجر خلال عطلاتهم الطويلة.

عَرَض رجل كندي، هو محمد إلياس، الذي كوَّن ثروة من العمل في مجال النفط، أن يموّل كامل المشروع الكندي بنفسه، لكن الخليفة طلب منه أن يختار ست دول أخرى. وأحد هذه الدول التي اختارها كانت غواتيمالا. وعندما اكتمل البناء وأخذ المبشّر مكانه دُعي الخليفة لحضور حفل الافتتاح.

لسوء الحظ حتى تلك اللحظة لم يكن هناك من قِبل الأحمدية والقليل جدًا من الناس قد علم ببناء المسجد والجماعة الأحمدية.

لكن عندما وصل الخليفة، فجأة بدأت غواتيمالا تهتم بهؤلاء الواصلين الجدد. نائب الرئيس وعدة وزراء من الحكومة حضروا الاحتفال كما فعلت الصحف والتلفاز. الرئيس قام بدعوة الخليفة للقاء خاص في القصر الرئاسي، وبعد الاجتماع أخبر الخليفة أنه سيعين رئيس طاقم الأمن الخاص به ليتولى مهمة المحافظة على سلامته خلال فترة بقائه في غواتيمالا.

في البداية كان موقف رئيس الحرس رسميًا وصحيحًا، رغم أنه اتسم بشيء من البرودة. لكن تدريجيًا تغير الموقف، وقبل يومين من موعد رحيل الخليفة من غواتيمالا طلب رئيس الحرس من الخليفة لقاءً خاصًا معه.

قال الخليفة: "أخبَرني، أنه يطلب الإذن أن ينضم إلينا في صلواتنا، وافقتُ طبعًا. ثم أخبرني كم كان متأثرًا بعمق بالصلاة وبالطريقة التي كان يتلى بها القرآن.

"قال: ذهبت إلى زوجتي وقلت لها إن كنت تريدين أن تعرفي ما هي التجربة الروحية فعليك أن تأتي وتراقبي هؤلاء المسلمين وهم يصلون".

وبالنتيجة قام رئيس جهاز الأمن وفرقته بتشكيل مجموعة حوار. وقبل أن يغادر الخليفة أخبره رئيس جهاز الأمن قائلًا: "فيما يتعلق بي فإني مسلم". وفي الوقت نفسه قرر صحفي غواتيمالي معروف جيدًا، كان قدم إلى المطار بدافع الفضول لأنه لم يلتقِ مسلمًا قط من قبل، أنه هو أيضًا يريد أن يصبح مسلمًا وينضم للجماعة الأحمدية.

وفي الليلة التي سبقت مغادرته طلب وزير كبير في الحكومة أن يلتقي به. كل زملائه كانوا يتحدثون عن لقائهم بالخليفة وأراد هو أيضًا أن يلتقي به. وقت الفراغ الوحيد الذي بقي في جدول الخليفة كان فقط ساعة قبل منتصف الليل. فقال وزير الحكومة إنه سيلتقي به حينئذ.

قال الخليفة: "كان لقاؤنا ممتعًا جدًا. أخبرته أنني سأبقيه في قلبي، ليس كوزير حكومة، لكن كرجل. وافترقنا أصدقاء للأبد".

فضلًا عن تأسيس نواة الحركة التبشيرية في غواتيمالا حصل الخليفة على إذن خاص بإنشاء مستشفى. في السابق كان قد تم حظر المستشفيات الممولة من قبل تنظيمات دينية لأنها دائمًا كانت تتدخل في السياسة. بعد لقائه بالخليفة قال له وزير الصحة: "لقد كان قراري أنا شخصيًا بحظر هذا النوع من المستشفيات، إلا أنني أعطيك إذنًا خاصًا. ويمكن لجماعتك أن يتصلوا بي مباشرة".

إن تواضع الخليفة وفراسته بشخصيات الناس قد أثار إعجاب الكثيرين. أتباعه يخاطبونه بـــ "حضور" والتي تعني تقريبًا "حضرتكم". وعندما كان يسأله الآخرون عما ينبغي أن يدعوه به كان يجيب: "تمامًا كما تدعو أي شخص آخر".

عندما كان ينوي زيارة بلد ما كان أفراد الجماعة عادة يتكفلون بجعل الصحف والتلفاز والراديو تعلم بزيارته. لكن عندما قرر زيارة ساحل العاج طلب الخليفة ألا يكون هناك أية دعاية. فرئيس ساحل العاج كان مسيحيًا بارزًا وخشي الخليفة أن تسبب له زيارته الحرج.

فكان من خلال الصحف والإذاعة أن علم الرئيس أن الخليفة في بلده. وعلى الفور طلب من الخليفة أن يزوره. ووضع أيضًا عددًا من سيارات الليموزين وقسم أمن تحت تصرفه.

في ألمانيا يتذكر أمير الجماعة هناك ترتيب وجبة له في غرفة حيث يمكنه أن يأكل وحده وبدون مقاطعة بعد ما يقرب من ١٢ ساعة من التبشير والإجابة على الأسئلة. لكن الخليفة طلب منه في الحال أن يأتي ليأكل معه، احتشد أطفال الأمير الصغار في الداخل أيضًا يراقبون كل لقمة يتناولها الخليفة.

"ظللت أعتذر له وأقول للأطفال ألا يضربوا بمرفقه، لكن الخليفة أخبرني ألا أقلق. قال إنه يحب الأطفال وأن وجودهم حوله يساعده على الاسترخاء بشكل كامل".

قام الأمير بترتيب لقاء مع الخليفة لشخصين ألمانيين كانا مهتمين بأخذ عهد البيعة، "ظننت أن الأول كان أكثر إخلاصًا من الآخر، لكن بعد بضع دقائق من النقاش كان الشخص الثاني هو من أعطاه الخليفة انتباهه، وكان الشخص الثاني هو من اعتنق الإسلام بعد فترة قصيرة".

إن مساعدة الجماعة للبلدان الأفريقية جعلها تربحهم ليس فقط شكرًا لكن أيضًا عونًا ضد الاضطهاد الذي كانت تشنه حكومة باكستان. وزير حكومي كبير في غامبيا، والتي في عاصمتها أنشأت منظمة الاتحاد الأفريقي المقر الرئيسي للجنتها لحقوق الإنسان، صرح قائلًا:

"نحن نؤمن بحرية الفرد، خاصة عندما يتعلق الأمر بالدين. نحن نقف بصلابة خلف الجماعة في ممارستها لحقوقها المشروعة، كأفراد ينتمون إلى الدين الإسلامي، بالقيام بالواجبات الدينية في أي مكان في العالم."

"إنه لمن السخرية أن زعماء المسلمين مستعدون للتحدث إلى المسيحيين، وإلى البوذيين، ويمكن أن يتحدثوا حتى مع اليهود، لكنهم لا يتحدثون إلى الأحمديين. إنه لمن المحزن أن توجد ضمن الإسلام فرقة مضطهدة جدًا. يمكنني فقط القول أن الانضباط الذاتي بين الأحمديين هو أمر ينبغي على الناس من كل الأديان محاكاته. ليس فقط كبار السن في الحركة، ولكن شباب الحركة خصوصا، الذين هم قادة المستقبل، يبدون روحًا من المسئولية والتفاني والعزيمة التي لا يسع المرء إلا أن يعجب بها. إنهم يقدمون خدمة متفانية بالكامل في سبيل الله".

وعن الخليفة نفسه علق قائلًا: "إن الانعكاس الحقيقي لأي دين هو الانعكاس على القيادة. فعلى الرغم من الاضطهاد، وعلى الرغم من القتل وإحراق المنازل، كان يعلّم الغفران، ويعلّم الصبر – وهذه هي أعمدة الإسلام. إنه يمثل العقل، والروح، والذكاء، وفوق كل شيء، هو يمثل تطلعات كل شخص في العالم."

القرآن الكريم، كما أكد الخليفة مرارًا وتكرارًا، كان حجر الأساس للإسلام. فهو يحتوي كلام الله. والحياة بدون القرآن لا تساوي شيئًا، وهو يشتمل على القوانين التي ينبغي على الجنس البشري أن يحيا وفقها، وهو يتضمن أنباءً عن المستقبل.

إن أحد أعظم مباهج الخليفة، كما يقول، هو الإشراف على قراءة الصفحات الأخيرة من القرآن عندما يُنهي ولد أو بنت قراءة القرآن كاملًا للمرة الأولى. عندما ينتهي الطفل فإن الخليفة يضع يده على يد الطفل وهو يضعها على القرآن ويترجم بشكل مبسط جدًا الدعاء الذي يُقال بعد إتمام القراءة:

"اللهم ارحمني بالقرآن واجعله لي إمامًا ونورًا وهدىً ورحمة. اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله لي حجة يا رب العالمين. اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر... يا رب العالمين، أجب دعائي"

## الفصل السادس والعشرون

# تأثير الدعاء

ليس لدى الخليفة أدنى شك في جدوى الدعاء. إن أدعيته قد استُجيبت باستمرار عندما كان صبيًا، واستُجيبت عندما أصبح رجلًا، واستُجيبت بكمال أتم عندما صار خليفة. وبحسب قوله هناك أسباب خاصة لذلك، ولم يكن ذلك فضلًا من الله عليه كشخص أو لأنه كان أكثر تقوىً من الآخرين:

"لقد قمت بتحليل ذلك بهدوء شديد ومطولا وأعتقد أن الله يفعل ذلك من أجل مؤسسة الخلافة، هو يفعل ذلك حتى يبقى إيمان الناس قويًا ولا يتزعزع، وليكون مثالًا للجنس البشري، وبهذه الطريقة تسير خططه للأمام على النحو الذي قدّره."

"ثم إني أعتقد أن قبول الدعاء مرتبط ارتباطا وثيقا بمدى اهتمامك وقلقك على الآخرين. إن كنت مهتمًا فقط بنفسك وعائلتك فإنك عندها تفقد شيئًا ما من قوة الدعاء لأن ذلك يمكن أن يكون فعلًا أنانيًا جدًا. لكن عندما تتوجه إلى الله وتتوسل إليه بحرقة شديدة من أجل رحمته الخاصة، فهذه قضية أخرى".

"لذا فإن كان اهتمامك بالآخرين محدودًا فإن قوة دعائك تكون كذلك. لكن إن كان لديك اهتمام أوسع بكثير من أجل الإنسانية، إن كنت فعلًا تشارك الآخرين معاناتهم، فعندها يولّد ذلك سمة مميزة، خاصة جدًا في أدعيتك. والله يستمع لهذه الأدعية أكثر بكثير من الآخرين."

"إن شعرتُ بالاضطراب لمعاناة الناس في أفريقيا أو ربما لاضطهاد الناس من جماعتنا، إن وجدت في نفسي حرقة بسبب معاناة الآخرين، فعندها، في

وقت ما، سيستمع الله لي. أعلم ذلك. إن الإحساس بالآخرين والتوجه إلى الله ليساعدهم هي خاصية ينبغي تعزيزها، في كل الرجال والنساء".

قال الخليفة أنه قد عُلِّم أن يدعو عندما كان صبيًا وكان الدعاء دائمًا جزءًا من حياته. إن إحدى أجمل الآيات وأقواها في القرآن الكريم تقول: "ادعوني أستجب لكم".

لقد طلب من عائلته وأفراد الجماعة أن يدعوا له وكانت دعواتهم ناجحة، لقد استمد قوة عظيمة منها.

مستذكرًا طفولته في قاديان، قال أنه وجيله كانوا محظوظين بشكل خاص بأن المسيح الموعود قد ترك وراءه عددًا كبيرًا من الأصحاب الذين تدربوا على عبادة الله.

"لقد كان تأثيرهم هائلًا، لأننا وجدناهم شرفاء جدًا، ومتفانين جدًا، بسطاء ومخلصين جدًا، علماء جدًا لكن متواضعين جدًا، كانوا يصغون إلى الأطفال ويستمعون إلى آرائهم كأنداد لهم، ويعملون معهم في نظام "العمل التطوعي" دون أي شعور بأن ذلك كان يحط من قدرهم."

"كان لتأثيرهم جانب روحاني قوي جدًا. وإليهم كان يذهب أفراد من الجماعة ليطلبوا منهم الدعاء لهم، لأن هؤلاء الناس كانوا أمثلة حية للتواصل مع الله. قد تلقوا وحيًا *كثيرا* من الله ولكنهم كانوا يمشون في شوارع قاديان كأناس عاديين ويكسبون عيشهم بأعمال متواضعة."

"كانوا في متناول الجميع والجميع كان يصل إليهم وإن طلبت من أحدهم الدعاء فلربما يخبرك في اليوم التالي: "لقد دعوت لك بتضرع كبير، وكان الله لطيفًا جدًا بأن أخبرني ما الذي سيحدث"، وقد حصل دائمًا ما قد أنبأوا أنه سيحدث."

"ولذا فقد عشنا في جو من التجارب الحية. لقد رأينا حقيقة صدق الأحمدية وكنا شهودًا في كل يوم على تواصلهم مع الله. إنها تلك الحقيقة

الحية التي طلبت من أفراد الجماعة أن يرعوها ويحرسوها بإخلاص كبير حتى نتمكن من نقلها إلى الجيل القادم. لأن القرآن يقول، وكذلك الكتاب المقدس أيضًا، أنه عندما خلق الله الإنسان، وصوّره وسوّاه، لم تكن مجرد الحياة كافية. إنما بعد ذلك نفخ فيه من وحيه".

قال الخليفة إن فوائد الدعاء يكاد يصعب عدُّها، لكن وبشكل أساسي فإن الدعاء يساعد على تأسيس التواصل مع الله. الدعاء يعزز الخير ويستأصل الشر. وأورد كلام المسيح الموعود الذي انتقد فيه أولئك الذين يحسبون أنه لا حاجة للقيام بأي خطوة تجاه ما يظنونه قدرا محتوما مقررا سلفا لا سبيل إلى تغييره. أن تدعو لشيء ما، يماثل العلاج في حالة المرض، وقد تساءل المسيح الموعود: هل يؤمن أحد أن الله يودع في أدوية معينة قوة هائلة، ثم يتجاهل أدعية عباده في الوقت نفسه؟ هذا سيكون مؤشرًا على التناقض، إذ إن هذا يعني أنّ مشيئة الله يمكن أن تعمل من خلال الدواء لكنها غير قادرة على العمل من خلال الدعاء!

ومرة ثانية نقل كلام المسيح الموعود حول قبول الدعاء. مع أن الله يسمع كل الأدعية فإن على المرء أن يجاهد من أجل قبولها. الانكسار ليس كافيًا؛ التقوى والطهارة والصدق واليقين الكامل والحب التام والحضور التام كلها مطلوبة. على الإنسان أن يجتهد لتحقيق هذه المزايا في دعائه، هكذا قال. وبالطبع ينبغي ألا يكون الدعاء بما يعارض تدابير الله التي سنّها لخير الشخص المعني، سواء في هذه الحياة الدنيا أو الحياة الآخرة.

قال الخليفة إن الكثير من الناس يكتبون إليه الآن طالبين منه أن يدعو لهم، الكثير منهم لم يكونوا أعضاءً في الجماعة الأحمدية وينتمون إلى خلفيات متنوعة، بعضهم كان مسيحيًا، وبعضهم هندوس، والبعض الآخر من السيخ.

قال الخليفة: "يكتبون ويطلبون الدعاء من أجل أنفسهم لأنهم يقولون أن لديهم ثقة بأدعيتي. ولاحقًا يكتب الكثير منهم قائلين لي بأن أدعيتي قد

استجيبت، لكن في كثير من الأحيان لا أحتاج لأن يكتبوا إلي – أعلم فورًا في بعض الحالات أن أدعيتي قد قُبلت".

كيف يحدث ذلك؟

"ما يحدث يختلف من حالة لأخرى، عندما تشعر أن دعاءك يُسمع، ومن ثم إذا وجدت أنه قد تحقق بتفصيل يمكن معه استبعاد عامل الصدفة والحظ، فعندها تطمئن بشكل إيجابي أن أحاسيسك ليست من قبيل التمني – إنها شيء حقيقي."

"وبشكل مماثل ألاحظ أحيانًا خلال أدعيتي، مع أنني لم أُخبر بوحي أن هذا الدعاء قد سُمع، إذ تتبادر إلى ذهني آية من القرآن الكريم وهي تتناول المسألة التي دعوت بشأنها. وبالتالي أقتنع أن هذه هي رسالة وأعلم أن الدعاء قد استجيب."

"كثير من الناس يكتبون لي عن مثل هذه الرسائل التي يظنون أنهم قد تلقوها لكن شيئًا لم يحدث فيما بعد. لكن في حالتي تحدث الأشياء بشكل متسلسل، بطريقة يستحيل معها اعتبارها مجرد صدفة، حتى من قبل شخص غير مؤمن. سأعطيك مثالًا صغيرًا واحدًا؛ في أميركا، عندما كنت هناك مع زوجتي وأطفالي، كنت قلقًا بعض الشيء حول إيجاد طريقي في مدن معينة ولذلك بدأت أدعو بشكل خاص جدًا فتبادر إلى ذهني آية من القرآن والتي طمأنتني أنه لا داعي لأن أخاف بشأن رحلتي وأنني لن أجوع فيها.

حسنًا، وصلنا شيكاغو بعد ساعة ونصف من منتصف الليل. أعتقد أن شيكاغو وضواحيها تمتد على مسافة شاسعة من الطرف إلى الطرف، خطر في ذهني الرقم "٩٦ ميلًا"، لكن قد لا يكون صحيحًا. على أي حال، إنها مسافة هائلة من النهاية إلى الأخرى، ولسبب ما، لم يكن لدي خريطة، أخبرت زوجتي والأطفال أن يسترخوا ويخلدوا للنوم. ومن ثم أخذت بعض الانعطافات لليمين وبعضها لليسار وقدت السيارة لمسافة كبيرة. توقفنا عند

محطة وقود وهناك اتصلت برقم مسجدنا، فاكتشفنا أنه كانت تفصلنا عنه بضع شوارع فقط."

"في النرويج حدث شيء مماثل جدا لذلك – أوقفْنا أحدَ المارة وسألناه بالإنجليزية إن كان يعرف أين يقطن مضيفنا. فقال: نعم، إنه يقطن في المنزل المجاور تمامًا لمنزلي."

"في هولندا سألنا بعض الأولاد عما إن كانوا يعرفون مكان المسجد، فأجابوا: مسجد الأحمدية؟ لماذا؟ بالتأكيد، اتبعونا.

مثل هذه الأمور كانت تحدث مرارًا وبطريقة خاصة تجعل من المستحيل أن أعزوها لمجرد الصدفة."

تابع الخليفة قائلًا أنه يتلقى اتصالات هاتفية من كل أنحاء العالم من كل أنواع الناس يطلبون منه الدعاء لهم أو لأحد أفراد أسرهم، عادة لشخص ما مريض. وبعد أن يدعو لهم كان دائمًا يرسل لهم رسالة قصيرة يعلمهم أنه قد فعل ذلك.

قال الخليفة: "أحيانًا تحدث غلطة أثناء كتابة الرسالة من ملاحظاتي، إذ أنوي أن أقول: لقد دعوت وأرجو أن يحقق الله ذلك. لكن بالخطأ تأتي على النحو التالي: لقد دعوت والله سيحقق ذلك.

في كل هذه الحالات قد قام الله بتحقيقها فعلًا. ولذا فقد كانت خطأً موجها، لقد تدخل الله، قد سمع الله دعائي وأجابه حالًا. وبالخلاصة فنحن نعرف عن حالات شُفي فيها الأطفال، واستعادت الزوجات عافيتهن مجددًا، وتلك حالات كان الأطباء قد فقدوا الأمل فيها، وكان هؤلاء الناس على وشك الموت.

لكن ليست فقط لحظات اليأس هي التي ألجأ فيها للدعاء وكذلك أفراد الجماعة الأحمدية، بل نلجأ إلى الله مرات عديدة في اليوم، نحن نستجدي عونه وإرشاده مرات كثيرة في اليوم، ليس فقط في صلواتنا الخمس اليومية،

إنما أيضًا في أدعية خاصة جادة ومخلصة، نحن نلتمس مساعدته لنا في حياتنا اليومية ليهدينا في الطريق الصحيح، نحن نستجدي عونه في كل الأمور، من الأمنيات من أجل مستقبل الجنس البشري إلى الدعاء من أجل إنزال المطر عندما يكون هنالك جفاف.

إن الأدعية لله يوميًا هي جزء من حياتنا تمامًا كالأوكسجين لأجسادنا. لا يمكننا العيش بدون أي منهما – والنتائج يمكن للجميع أن يروها."

"في غانا أتذكر أن رئيسًا قد قبل بصدق الأحمدية على يدي، كان مسيحيًا، كان يرغب بشدة بابن، لكن لسوء الحظ كانت زوجته قد أسقطت مرتين، طلب مني الدعاء ليس فقط أن يُرزقا بابن بل لتعيش زوجته أيضًا، كان الجميع، على ما يبدو، يتوقعون أن زوجته ستموت هذه المرة.

دعوت بتضرع شديد لهذا الرئيس وزوجته وكتبت إليه أنني كنت متأكدًا أن الله سيستجيب دعواتهم ودعائي. لاحقًا بعد مضي بعض الوقت استلمت رسالة تقول أن الأدعية قد استجيبت، لقد رزقهم الله ابنًا بصحة جيدة".

قال الخليفة إن الله دائمًا يصنع أعاجيبه من خلال ظواهر طبيعية، إنه لا يحتاج أن يستخدم الخوارق لتحقيق مشيئته، هو من صنَع الطبيعة ولذا فهو يعمل من خلال الطبيعة.

عندما ناقش الطرق التي يتم بها قبول الأدعية أشار الخليفة أن المسيح الموعود قد قال أن هناك طريقان رئيسان – أحدهما هو اختبارٌ، وبه تقبل حتى دعوات العصاة، والثاني، تكريمٌ ويكون عندما يكون الداعي واحدًا ممن يختارهم الله ويتلقون الأفضال الإلهية.

قال الخليفة: "أحيانًا تُستجاب الأدعية لتُظهر أن المتلقي يحظى بمساعدة الله ومن أجل إفحام الكافرين وإغاظتهم. وهكذا ففي الهند حدث أن مبايِعة جديدة لدغتها أفعى وأُخذت إلى المستشفى حيث قُدّر هناك أنها ستعيش ساعتين فقط. قال أقاربها أنها كانت عقابًا لها لإيمانها بالأحمدية. إلا أن

الأحمديين في جماعتها شرعوا بالدعاء لها و لم تمت في ساعتين، قال الأطباء إنه مع ذلك ليس هناك أمل، ستموت بالتأكيد تقريبًا في ذلك اليوم، كانوا يعلمون من الخبرة أن أي شخص في حالتها يموت. لكنها لم تمت بعد ٢٤ ساعة، وبعد ثلاثة أيام خرجت من حالة السبات، وبعد مضي تسعة أيام عادت إلى المترل. وقال الأطباء إنها كانت حالة الشفاء الأولى التي صادفوها على الإطلاق من مثل عضة الأفعى تلك."

قال الخليفة: "أعتقد أن الله قد صنع تلك المعجزة بسبب أدعية الجماعة ولإفحام أولئك الذين يكرهوننا لدرجة أن قالوا أن لدغة الأفعى كانت عقابًا من الله، وبهذه الطريقة أظهر أنهم كانوا يعملون ضد مشيئته".

ومرة أخرى في الهند كان هناك من سخر من الجماعة الأحمدية في كاريان عندما فشلت في العثور على الماء حتى بعد الحفر إلى عمق ٢٠٠ قدم. اختارت الجماعة تلك البقعة للحفر بعد فترة طويلة من الدعاء وأخذ رأي مهندسي المياه. حتى ذلك الحين كانت مشورة مهندسي المياه قد ثبت فشلها الذريع للحكومة – لقد اختاروا أربعة أماكن للحفر وكانت كلها إما جافة أو جمعت مياهًا مالحة. وبدا كأن حفر الجماعة الأحمدية سيكون مصيره الفشل أيضًا، كان ذلك عقابًا إلهيًا، بحسب قول خصومهم. لكن على عمق ٢٢٠ قدم تم إفحامهم إذ عثر الأحمديون على مصدر وافر من الماء العذب، قال أفراد الجماعة أن الله قد أتى لنجدهم بسبب أدعيتهم.

إذا كان التواضع واحدًا من متطلبات الدعاء حتى يُستجاب، فإن قلائل فقط، حتى من بين خصومه، سينكرون أن الخليفة كان رجلًا متواضعًا. إنه يعيش ببساطة، يأكل القليل، حياته مكرسة لله ورسالة الحركة الأحمدية. وإن كانت القدرة على الشعور بالآخرين هي أيضًا شرط لقبول الأدعية فإن قلائل أيضًا سينكرون أن الخليفة لا يشعر شخصيًا بمحنة المرضى، والجياع

والمضطهدين في العالم. كان الخليفة يصلي بالأخص ويدعو لأولئك الذين في حالة اليأس والذين يطلبون أدعيته الشخصية.

يقول إنها لمجرد أن تصبح الأمور أفضل، إن مشاكل بعض الناس مستعصية.

أحيانًا، عندما يصف الفاقة والبؤس في حياة الناس في أجزاء من أفريقيا فإن العواطف تغلبه، الكلمات تتحشرج في حلقه فيصمت هنيهة حتى يستعيد رباطة جأشه، في الوقت الذي يكون مستمعوه قد أجهشوا بالبكاء، فكلماته قد رسمت صورة مأساوية للغاية لدرجة لا يستطيعون معها السيطرة على مشاعرهم.

ربما يكون الناس الذين يصفهم بعيدين من المكان الذي هو فيه، ربما في بلدان بالكاد سمع بها الذين يستمعون إليه ولم يزوروها قط، لكن بإمكانه أن يجلب إليهم الحاجة إلى أدعيتهم، أدعيتهم في كلا المجالين الروحي والمادي من خلال إرسال أطباء، ومعلمين ومهندسين وأموال للتغلب على هذا البؤس في مهده.

عندما يصف الاضطهاد الذي تتعرض له الجماعة الأحمدية في وطنهم باكستان، غالبًا ما تغلبه العاطفة. لقد وصفه أحمديون واقفًا في المسجد والدموع في عينيه، رغم محاولاته إخفائها.

أولئك الذين يُضطهدون في أي مكان من العالم هم دائمًا في باله، كما قال أحد أفراد الجماعة.

ليس لدى الخليفة أدنى شك في فاعلية الدعاء لمساعدة الفقراء والمساكين والمرضى والتعساء في كل أنحاء العالم.

## الفصل السابع والعشرون

# نداء إلى اللّه

المرسوم الشائن رقم عشرين الذي أعلنه الجنرال ضياء حرم الأحمديين من حق ممارسة دينهم، وأعطى سلطة شرعية غير منطقية للكراهية الدينية والتعصب، وأجج الخلافات الدينية حتى اندلعت أعمال عنف قام بها الغوغاء.

اقتحمت الحشود مساجد الأحمديين وانتهكت حرمتها، كسروا وأزالوا الكتابات من على حجارة القبور التي اعتبروها إهانة؛ مثل "رضي الله عنه" و"عليه السلام".

غطوا بالدهان كلمة "مسجد" حيث أمكنهم رؤيتها على بناء للأحمديين. قاموا بالنبش على بعض الجثث وإخراجها من بعض المقابر على أساس أن وجود أحمدي يزعج سكينة المسلمين المدفونين هناك!

الاضطهاد الرسمي كان واسع الانتشار لكن بحالات متفرقة، ذلك أن الكثير من رجال الشرطة والمحامين كانوا يشعرون بالخجل من هذا الاضطهاد لمواطنيهم. في السنوات الأربع التالية أُدين أكثر من ٣٠٠٠ أحمدي بجرائم مختلفة وفقًا لهذا القانون، حُكم على ستة أشخاص بالسجن لمدة ٢٥ سنة وحُكم على أربعة بالإعدام.

هيئة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة أعلنت أن المرسوم عشرين "ينتهك حق الحرية والأمن للأشخاص، وحق تجنب الاعتقال التعسفي أو التوقيف، وحق حرية الفكر والتعبير والضمير والدين، وحق الأقليات الدينية في اعتناق وممارسة دياناتها الخاصة".

وذكرت كلمات المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان بأن "الإنكار الصريح لحقوق الإنسان المنبثق من التمييز على أساس الدين يثير غضب الضمير الإنساني ويعرض للخطر أساسيات الحرية والعدل والسلام في العالم".

لذلك فقد ناشدت هيئة الأمم المتحدة حكومة باكستان بإلغاء المرسوم عشرين و"إعادة حقوق الإنسان والحريات الأساسية لكل الناس تحت سيادتها".

وعبرت منظمات دولية أخرى مثل العفو الدولية ولجنة الحقوقيين الدولية عن "قلقها البالغ" بشأن عدم عدالة التشريع الذي انتهك الحريات الأساسية للاعتقاد والدين، ودعت لإلغائه الفوري.

لقد زُجّ ببعض الناس في السجن بسبب إلقاء التحية الإسلامية "السلام عليكم"، وسُجن آخرون بسبب ارتدائهم شارة مكتوب عليها كلمة الشهادة (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، بينما أُحيل أولاد من المدارس بعمر ١٢ سنة إلى المحاكم بسبب كتابتهم على أوراق طلبات أن ديانتهم هي الإسلام.

كان هناك قدر هائل من التمييز في الجيش وسلاح الجو وقطاع الخدمة العامة، وُظِّف عدد قليل فقط من الأحمديين، ومن كان موظفًا من قبل لم يكن أمامه فرصة للترقية إلا بالقدر اليسير.

المثال الأكثر فظاعةً كان في حالة الدكتور عبد السلام الذي حصل لاحقًا على جائزة نوبل في الفيزياء عام ١٩٧٩ وكان ابن رئيس الكتبة في أحد أقسام التعليم. إن ذكاءه الخارق قد ميزه منذ أيامه الأولى في المدرسة. ساعدته المعونة المالية من الجماعة على نفقات تعليمه الثانوي ومن ثم في دراسته الجامعية.

حصل عندما كان في الرابعة عشرة من عمره على أعلى درجات لم يسبق أن حُصّلت في امتحان القبول لجامعة البنجاب، وفي الجامعة حقق

مجددًا سجلات قياسية فكان الأول في كل مادة، ونقصه ٧ درجات فقط عن العلامة الكاملة.

ذهب ليتابع في جامعة كامبريدج، في إنجلترا، فأنهى منهج الرياضيات ذي الثلاث سنوات في سنتين واستغل السنة الزائدة لدراسة الفيزياء، وحقق الإنجاز شبه المستحيل بالحصول على مرتبة الشرف من الدرجة الأولى في كل من الرياضيات والفيزياء.

حتى ذلك الحين كان عبد السلام يعدُّ نفسه متخصصا في الرياضيات، لكن قرر الآن أن يأخذ الدكتوراه في الفيزياء، وخلال خمسة شهور أكمل العمل الذي لم يحقق له الدكتوراه فقط وإنما أيضًا ميدالية ذهبية من أجل "الإسهام المميز " في الفيزياء – مع أنه، وفقًا لقوانين الجامعة، لم يكن يحق له أن يقدم أطروحته إلا بعد مضي ثلاث سنوات أخرى.

في عام ١٩٥١ عاد إلى باكستان حيث عُيّن محاضرًا في الكلية الحكومية بلاهور. كانت وظيفته أن يعلم طلاب الجامعة، وإحدى مسؤولياته كانت أن يشرف على الرياضة!

بقي هنالك ثلاث سنوات غادر بعدها ليصبح محاضرًا في جامعة كامبريدج. وبعد فترة قصيرة عُين أستاذا جامعيا للفيزياء النظرية في جامعة لندن، وهناك قام بالبحث الذي جعله يفوز بجائزة نوبل للفيزياء. مراتب الشرف انهالت عليه من كل أنحاء العالم، **ولم يكن أي منها بسبب خدماته لعالَم الرياضة!**

عندما عاد إلى باكستان في زيارة خاصة استُقبل الدكتور عبد السلام من قبل الجنرال ضياء كمواطن مميز رفع راية باكستان في كل أنحاء العالم. عرض على الدكتور عبد السلام أن يستخدم سيارات الليموزين الرسمية ومرافقة من الشرطة لحمايته من أي هجوم من قبل المسلمين المتطرفين، وقدم له جواز

سفر وُصف فيه بأنه مسلم وبذلك خرق ضياء قوانين الجوازات التي وضعها بنفسه.

قبل الدكتور عبد السلام جواز السفر لكنه رفض العرض باستخدام سيارات الليموزين وحماية الشرطة، لم يكن في خطر على حد قوله.

إن جوازات السفر لمعظم الدول لا تتضمن أية معلومات عن ديانة حاملها، لكن ضياء أحدث تشريعات جديدة للإمعان أكثر في مضايقة الجماعة الأحمدية وبالتالي يسهل ارتداد أولئك الذين يجدون الاضطهاد غير محتمل، وهي تعطي الفرصة لوضع قائمة أكيدة بالأحمديين البارزين.

تضمنت التشريعات الجديدة تصريحًا إضافيًا يتعين ملؤه على كل من يقدم طلبًا للحصول على جواز سفر ويدعي بأنه مسلم.

وينص:

"أنا.....بن..... عمري.....سنة، مسلم بالغ، أسكن في.....أصرح على مسئوليتي بما يلي:

١- أنني مسلم وأؤمن بالآخرية المطلقة والكاملة لنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) آخر الأنبياء.

٢- أنا لا أعترف بأي شخص يدعي أنه نبي بأي معنى للكلمة أو بأي وصف مهما كان بعد محمد (صلى الله عليه وسلم)، ولا أعتبر مثلَ هذا المدعي للنبوة أو المدعي بأنه مصلح ديني مسلما.

٣- أنا أعتبر ميرزا غلام أحمد القادياني متنبئًا كاذبًا وأعتبر أتباعه سواء الذين ينتمون إلى المجموعة اللاهورية أو القاديانية، غير مسلمين.

التاريخ.....

التوقيع أو بصمة الإبهام....

هذا يعني أن أي أحمدي يريد أن يسافر خارج البلد أمامه خياران إما أن ينكر عقيدته أو يتخلى عن طلبه للحصول على جواز سفر.

كان هناك اضطهاد مستمر، تم منع استخدام مكبرات الصوت في المساجد الأحمدية ولذلك كان يتعيّن على الأئمة أن يضعوا بين صفوف المصلين مَن ينقل الخطبة جملةً جملة ومن ناقل إلى آخر حتى يصل الناس في مؤخرة المسجد .

استغل الجنرال ضياء كل فرصة لإيذاء الجماعة، فعندما اندلعت أعمال شغب في كراتشي قام بالتلميح المفضوح إلى أن الأحمديين كانوا مسئولين مع الإشارة إلى أن الحكومة كانت "تتحرى عن مدى تورط القاديانيين".

من الطبيعي أن الجهلة اتبعوا قدوة ضياء واضطهدوا جيرانهم الأحمديين – في بعض القرى أُلحق الأذى بماشيتهم – إلا أن ضياء لم يستطع أبدًا أن يثير كل الشعب ضد الجماعة، كانت هناك مقاطعة لمتاجر الأحمديين، لكنها فشلت عادة لأن الأحمديين عُرفوا بسمعتهم في التعامل النزيه. في المهن يميل الناس للنظر إلى كفاءة الشخص وليس إلى معتقداته الدينية.

وهذا انطبق على الجنرال ضياء نفسه، فعندما حدثت لديه مشكلة في عينه أصر على أن يعاينه الدكتور ناظم أحمد، وهو عميد في الخدمات الطبية العسكرية وأحمدي بارز!

وعندما احتاج لإجراء عملية للبروستات أصر على أن يكون الجراح هو اللواء محمود الحسن، وهو أيضًا أحمدي مشهور.

يُزعم أن ضياء قال: "أنت الجراح الوحيد الذي يمكنني أن أثق به في مثل هذا الوضع".

بعض صغار الأحمديين قالوا مازحين أن زلة صغيرة لمشرط اللواء حسن لربما كانت حلت الكثير من مشاكلهم.

أما في العلن، استمر ضياء في شجب الحركة الأحمدية.

أرسل إلى مؤتمر دولي في لندن الرسالة التالية: "في السنوات القليلة الأخيرة، بشكل خاص، اتخذت حكومة باكستان إجراءات إدارية وتشريعية

لمنع (الأحمديين) من التنكر في هيئة المسلمين، ومن ممارسة مختلف (الشعائر الإسلامية)، وسوف نواظب على جهودنا لضمان اقتلاع سرطان (الأحمدية)".

أذكى ضياء نيران التعصب بشتى الطرق. الأحمديون رفضوا الانتقام، مُنعوا من استخدام كلمة "مسجد" فاستخدموا بدلًا عنها كلمة "بيت"، وعندما أحرقت مساجدهم التقوا في منازلهم للصلاة.

حث الخليفة أفراد الجماعة على الصبر، وقال لهم إن ضياء يضرم نارًا ستلتهمه هو في النهاية.

الرأي العام العالمي أصبح بكامله تقريبًا ضده. في باكستان كان قد فقد مصداقيته منذ وقت طويل. أرادوه أن يرحل، لكنهم لم يعرفوا كيف يتخلصون منه، ذلك أن تدهور العلاقات بين الولايات المتحدة وروسيا كان يبقيه في السلطة حتى ذلك الوقت. روسيا غزت أفغانستان وكان يتم توصيل المساعدات الغربية عبر باكستان إلى مقاتلي المجاهدين الذين يحاربون الروس.

التمس الخليفة الهداية من الله ليرشده إلى الطريقة الأمثل لمساعدة جماعته؛ بأن يبقى صامتًا أو أن يتكلم.

"علمت أنني يجب أن أُحذِّر ضياء من غضب الله الذي سيحل إن استمر في اضطهاد جماعتنا، تكلمت ضد كل المظالم التي كان يوقعها بالناس الأبرياء، أخبرته في خطبي أن الله ودود، رءوف ورحيم وبأنه إن أوقف هذا الاضطهاد فإن الله قد يغفر له كل ما قد فعله".

لكن اضطهادات ضياء استمرت، وتحذيرات الخليفة ازدادت قوة شيئًا فشيئًا. ليلة بعد ليلة، شهرًا بعد شهر، دعا الخليفة الله طالبًا منه أن يساعد جماعته المحاصرة. كان يقرأ القرآن يومًا إثر يوم باحثًا عن الهداية.

وأخيرا أوحي إليه ما يجب عليه فعله؛ الحشود التي كانت تنتظر ظهوره من شقة الإمام فوق مكاتب وقاعة مسجد لندن ثم سيره الخمسين خطوة

ليصل مدخل المسجد، بدا وكأنهم تقريبًا يعلمون أن أمرًا ما بالغ الأهمية كان سيحدث.

التاريخ كان يوم الجمعة، الثالث من حزيران (يونيو)، عام ١٩٨٨.

مسجد لندن هو بناء صغير نسبيًا فقط ٤٣ × ٢٦ قدم، يمكنه استيعاب ٢٠٠ مصلٍّ، يقع على أرض مساحتها فدان واحد في شارع غريسن هول في ضاحية ساوث فيلدز، وهي منطقة لم تحدد بعد موقفها إن كانت غنية أم فقيرة، من الطبقة الوسطى أم العاملة، فهي كل ذلك.

هناك عبر الشارع مقابل المسجد منازل خاصة يملكها أناس من الطبقة الوسطى مزودة بحدائق مصممة بعناية. وعلى جهة المسجد نفسها توجد أبنية طابقية. وعلى بعد بضعة شوارع فقط تقع الطرق المحفوفة بالأشجار لمنطقة "بتني" ومنازل أناس أغنياء جدًا، وعلى مسافة ليست بعيدة، في الاتجاه المعاكس، هناك منازل متواضعة جدًا.

عندما تم إنشاء المسجد عام ١٩٢٤ كان هناك متسع للأحمديين الذين عاشوا بعد ذلك في لندن. وتمامًا بعد حرب ١٩٣٩– ١٩٤٥ ما كان يوجد أحيانًا إلا خمسة أو عشرة مصلين في صلاة الجمعة.

اليوم المسجد كان مكتظًا. الناس متراصون كتفًا إلى كتف باستثناء الممر الخالي الذي كان يحيط به حرس الخليفة، وبناء المكاتب المؤقت وقاعة الاجتماعات كانت أيضًا ممتلئة، بعض الناس كانوا أيضًا منحشرين في الباحة الأمامية للمسجد.

في الواحدة والنصف ظهرًا مشى الخليفة بخطواته السريعة الطويلة بسرعة إلى داخل المسجد، تلا أولًا سورة الفاتحة، وهي السورة التي يفتتح بها القرآن، ثم تلا الآية رقم ٦٢ من سورة آل عمران، وهي: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.

شرح الخلفية هذه الآية؛ أن الرسول الكريم محمدًا قد التقى وفدًا من نجران، وهي بلدة في السعودية اليوم، ودخل معهم في مناظرة حول ألوهية المسيح وحول الله، استمر النقاش طويلًا وكرر الوفد المسيحي حججه مرارًا وتكرارًا.

وفي نهاية المطاف وقف محمد وأعلن بأن المجادلات المنطقية قد فشلت وبالتالي فإنه من غير المجدي أن تستمر؛ فإنّ الله الآن سوف يُظهر من خلال المباهلة من الذي يقول الكذب، والعقوبة المقررة من الله يمكن أن تكون الموت.

لقد شدد على أن المباهلة – تحدي الدعاء أو مبارزة الدعاء – لم تكن من أجل الذين يتبنون عقائد مخالفة أو حتى خاطئة. إن حقوق المسيحيين تم احترامها كما هو الحال أيضًا مع اليهود وأتباع الديانات الأخرى، المباهلة كانت لأجل أولئك الذين كانوا يعلمون أنهم يقولون الأكاذيب ومع ذلك استمروا في تأكيدها.

تتألف المباهلة دائمًا من فريقين، أحدهما يدعي أنه أتى من الله والآخر هو الذي يرفض هذا الادعاء، كل فريق يجب أن يكون مستعدًا للتضحية بكل شيء.

بين الخليفة أن ضياء قد استمر في التهجم على نبوة المسيح الموعود واضطهاد أتباعه.

وتابع قائلًا، لقد حاولت أن أحذر مضطهدينا من خطأ سلوكهم. ذكّرهم بالآية التي تتحدث عن موسى في القرآن والتي تنص على أن الله سيعاقب المدعي الكاذب، لكن إن لم يكن كاذبًا فقد كان صادقًا وأنتم مع علمكم بذلك قمتم باضطهاده فإن الله سيعاقبكم.

الجنرال ضياء هو المسئول عن الاضطهاد المتعمد الذي يحدث في باكستان، توجد رسوم مشينة في الصحف للمسيح الموعود وأكاذيب فظيعة عن الجماعة.

ذكر بعض هذه الادعاءات – أن الأحمديين كانوا يقاتلون في الجيش الإسرائيلي، وأن الأحمديين كانوا يتآمرون لتقويض باكستان، وأنهم كانوا جميعهم جواسيس للهند، وأن الحركة الأحمدية قد أُسست من قبل البريطانيين لتفرق المسلمين وبأنها الآن تتلقى التمويل من المنظمات المسيحية العالمية، وأن المسيح الموعود كان لصًا ومدمن أفيون، وأن المسيح الموعود قد ادعى أنه ابن الله بل وأنه في الحقيقة هو الله نفسه، وبأن يسوع المسيح كان سكيرًا. القائمة كانت بلا نهاية. وجواب الخليفة على كل هذه الادعاءات كان: "لعنة الله على الكاذبين".

"إن كانت لديكم الجرأة لقبول هذا التحدي فحذار من الخطوات التي سيتخذها الله لتقرير مصيركم، لكني أريد لهؤلاء الناس الذين يفعلون هذه الأمور أن يصلحوا أعمالهم وألا يقبلوا هذا التحدي، إلا أننا قد قدمنا هذا التحدي وأعلناه لكل العالم، أنا أنصحهم أن يخشوا الله وألا يقبلوه، كونوا بحكمة نصارى نجران الذين لم يقبلوا تحدي الرسول الكريم، لكن إن قبلتموه فليكن معلومًا لديكم من دون شك – أن مشيئة الله ستتجلى".

ومع أنه قد قال أنه سوف يعلن المباهلة فورًا فإنه قرر أن يؤجلها أسبوعًا آخر.

في الجمعة التالية، العاشر من حزيران/ يونيو، كان الحشد في المسجد أكبر حتى من الجمعة السابقة. قال إن الاضطهاد لم يتوقف، كل يوم كان هناك أخبار عن اعتداءات وهجمات جديدة. وفي غمرة بؤسهم التفت الأحمديون إلى كلمات المسيح الموعود عندما كان هو أيضًا يتعرض للاضطهاد، فبكى قائلًا، "تقطعت الأسباب كلها؛ والطريق الوحيد هو الله تعالى".

أورد الخليفة المزيد من الأكاذيب التي كانت تُفترى على الأحمديين من قبل ضياء ومؤيديه – أنهم سرقوا الأسرار الذرية لباكستان وباعوها لإسرائيل، وأن عملاء روس كانوا يدربون أحمديين كمخربين في ربوة، وأن ٧٠ حقيبة من الأسلحة الخفيفة كانت قد خُزنت هناك، وأنهم قد خططوا لاغتيال ٥٠٠ زعيم ديني، وبأنهم كانوا مسئولين عن انفجار مستودع الجيش في راوالبندي.

وفي النهاية قال: "لذلك فقد قررت أنا بصفتي إماما لهذه الجماعة، بعد فشل طرق التذكير والتنبيه وبعد صبر طويل وتفكير عميق ودعاء كثير، أن أتحدى مكذبينا ومكفرينا المتعمدين في الإساءة إلينا، أيًا كانت صفتهم وطبقتهم، وأوجه إليهم دعوة جادة للمباهلة بحسب تعليم القرآن الكريم، رافعا هذه القضية إلى محكمة السماء، داعيا المولى عز وجل أن يميز بين الظالمين والمظلومين بإنزال قهره وسخطه على المعتدين."

ثم أعاد تلاوة الآية ٦٢ من سورة (آل عمران).

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.

ثم أعاد الخليفة دعاء المباهلة سائلًا الله أن يترل الكثير من البركات والسلام على من هم على الحق بما لا يترك العالم في أي شك في من كان يقول الحق.

وتابع الدعاء قائلا: "كما نتضرع إليك ربنا ونبتهل أن تترل على الفريق الكاذب المفتري منا غضبك وقهرك في حدود سنة واحدة، وتكتب لهم الخزي والذلة والهوان وتأخذهم بعذاب أليم وتسحقهم بعقاب شديد وتترل عليهم المصائب تلو المصائب، وتسلط عليهم الآفات تلو الآفات، إلى أن يظهر للعالم جليا بأنه لا دخل لعداوة الإنسان وبغضه في نزول هذه الكوارث وإنما يد قدرة الله وغيرته وصغته هي التي وراء كل هذه العجائب. نعم عاقب

فريق الكاذبين عقابا لا يدع مجالا لإمكانية أي خداع أو مكر من أي من الفريقين المشتركين في المباهلة، حتى يظهر بجلاء ووضوح أن هذا العذاب هو من غضبك وسخطك أنت، الذي جاء ليميز بين الصادق والكاذب، ويفرق بين الحق والباطل، ذلك لكيلا يبقى الأمر مشتبها به على كل قلب أودعه الله نعمة التقوى، وعلى كل عين تبحث على الحق بخلوص النية، وليظهر لأهل البصيرة عيانا من الصادق الذي هو مع الحق والحق معه، ولتستبين سبيل المجرمين."

تم إعلان المباهلة.

## الفصل الثامن والعشرون

# قرار الله

سُجِّلت خطبة الخليفة على شريط وخلال الأربع وعشرين ساعة التالية أُرسلت نسخ منها إلى كل جماعة أحمدية في العالم، وتُرجمت إلى اللغات المحلية ثم أُعيد تسجيلها وتوزيعها ثانية.

حتى في الوقت الذي كان يجري فيه إعلان المباهلة طلب الخليفة من ضياء مجددًا أن يتوب ويوقف اضطهاداته للحركة الأحمدية:

"إن كنت تخشى الله، لكنك تشعر أنك لا تستطيع أن تعترف بأخطائك بسبب مكانتك الدنيوية، فما عليك إلا أن تكفَّ يديك عن قمع واضطهاد الأحمديين وأن تبقى صامتًا، فعندها سنفترض أنك قد امتنعت عن قبول التحدي وسندعو الله أن يحفظك من غضبه".

لكن الاضطهادات استمرت، وطلب الخليفة مجددًا مزيدًا من الوقت: "لا أريد أن يصبح رئيس بلد نحن مرتبطين به هدفًا لتجلي غضب الله. إن حدث ذلك، عقِبْه مظاهر أخرى للغضب الإلهي".

اقتُرِح أن المباهلة لا يمكن أن تصبح فاعلة، لأن ضياء لم يقبل التحدي علنًا وبأن المباهلة لا يمكن إجراؤها من خلال تلك الوسائل الحديثة كأشرطة التسجيل والنشرات المطبوعة، إلا أن الخليفة تجاهل هذه الآراء.

"ليس من الضروري لمثل هذا الشخص أن يقبل التحدي علنًا، استمراره في القمع والاضطهاد كافٍ ليدل على أنه قد قبل التحدي، ومن ثم فإن الوقت فقط سيخبر كم كان متغطرسًا في تحديه لله".

قال الخليفة إن الله يعلم ما الذي يعنيه صمت أحد الفريقين.

لم تكن المباهلة موجهة فقط ضد ضياء وحده إنما أيضًا ضد أولئك الذين كانوا يساعدونه بشكل فاعل في اضطهاده للجماعة. عندما وُزِّعت نشرات تحتوي على المباهلة في بلدة "شاهكوتة" الصغيرة في مقاطعة "شيخوبورا" في باكستان قام صائغ اسمه عاشق حسين، الذي اعتاد دائمًا تنظيم تظاهرات الغوغاء الذين كانوا يرجمون الأحمديين بالحجارة، بتنظيم مظاهرة ضخمة.

هذه المرة لن تكون فقط حجارة، على حد قوله، ستكون قرارًا لمباهلة الأحمديين؛ مع محلاتهم منهوبة ومحترقة، ومواشيهم ميتة وكل أحمدي في المقاطعة إما ميت أو راحل؛ سيكون من السهل رؤية مع أي طرف يقف الله.

بعد أن نظم عاشق حسين الصائغ المظاهرة ذهب إلى محله ليأخذ بعض السكاكين. شغّل مروحته الآلية التي يستعملها كل يوم فسقط ميتًا: *لقد صعقته الكهرباء!*

وضع ذلك نهاية لأعمال شغب محتملة، مظاهرة الرعاع التي شُكِّلت لاضطهاد الأحمديين، انقلبت إلى مراسم جنازة للمضطهد الرئيس.

في بريطانيا قبل التحدي معارض معروف جيدًا للحركة الأحمدية. فكان أن مات في حادث سيارة بعد ذلك بفترة ليست طويلة، وعندما اجتمع المعزون في مترله تحطمت أرضية المترل إلى داخل القبو، وتأذى الكثير منهم.

أحد علماء المسلمين قال إنه سيقبل تحدي المباهلة لكنه خلال خطاب مطول له لم يستخدم كلمة المباهلة أبدًا، وبدلًا من ذلك أشار إلى مناظرة وهي تعني مجادلة، وليست تحديًا ونداء إلى الله ليلعن الشخص الذي يفتري الكذب.

اقترح علماء مسلمون آخرون مسابقات غريبة كالقفز إلى الأنهار، أو إلى النيران، أو من أبنية مرتفعة، وجميعهم اشترطوا أن الخليفة الرابع يجب أن يحضر شخصيًا في الوقت الذي حددوه وإلا فإنهم سيعلنون النصر. آخرون

أعلنوا تحديات إلا أنهم لم يسألوا الله أن يلعن الكاذب، إنما فقط أن يلعن الأحمديين.

لكن مع ذلك ظل ضياء صامتًا.

في خطبته يوم الجمعة ١٢ آب/ أغسطس، صرح الخليفة أن ضياء لم يُظهر أية علامة على التوبة سواء بالكلام أو بالفعل. الله سيتصرف الآن، وقال محذرًا:

" لن تكون قادرًا على الإفلات من عقابه".

لم يعد هناك طريق للرجعة الآن.

بعد خمسة أيام، في صبيحة السابع عشر من آب/ أغسطس، ترك السيد ب .أ .رفيق، وهو إمام سابق لمسجد لندن، رسالة مكتوبة للخليفة، وفيها ذكر منامًا رآه الليلة الماضية، قال إنه رأى الجنرال ضياء وأخبره أن الخليفة لا يتمنى له أي أذى، فمد ضياء يده، متحسسًا رفيق، وأدار وجهه بعيدًا بقسوة. رفع ضياء إصبعه أمام رفيق ثم عبس، وهز إصبعه قائلًا: "سألقنه درسًا".

كتب الخليفة لرفيق أن هذا يعني أن ضياء لن يصلح أعماله، وأن عداءه سيزداد، وأضاف: "أدعو الله أن يحبط مكائد أعداء الأحمدية".

وبعد بضع ساعات، انفجرت في السماء طائرة النقل (هرقل سي ١٣٠) التي كانت تقل الجنرال ضياء الحق، دكتاتور باكستان ومضطهد الجماعة الأحمدية.

كانت الساعة الثالثة وستا وأربعين دقيقة عندما غادرت الطائرة الرئاسية القاعدة الجوية العسكرية خارج "باهاوال بور" في الجنوب الشرقي لباكستان، كان قد طار من هناك سرًا ذلك الصباح بناء على طلب اللواء محمود دوراني، سكرتيره العسكري السابق والذي صار الآن قائد فيلق المدرعات.

قال دوراني إن قيادة الجيش بالكامل تقريبًا ستكون هناك في اختبار لدبابة أميركية جديدة، وإن لم يحضر ضياء فيمكن أن يُعدّ ذلك استخفافًا.

كان الاختبار فشلًا ذريعًا ذلك أن الدبابة أخطأت هدفها، لكن ضياء كان ما يزال في مزاج مرح وهو يتناول طعام الغداء في مطعم الضباط، وبعد الغداء مشى خارجًا إلى مهبط الطائرات حيث كانت الطائرة الرئاسية، (باك واحد)، وعليها حراسة مشددة، ركع ضياء باتجاه مكة ثم عانق كبار الضباط الذين كانوا سيبقون هناك واعتلى متن الطائرة.

كانت هناك حجرة سفر خاصة مكيَّفة الهواء قد أدخلت إلى جسم الطائرة من طراز (سي- ١٣٠)، وفي قسم كبار الشخصيات جلس في المقدمة ضياء مع أختر عبد الرحمن، رئيس هيئة الأركان العامة، والرجل الثاني الأكثر نفوذًا في باكستان. وجلس خلفهم سفير الولايات المتحدة، أرنولد ل. رفائيل، ورئيس البعثة العسكرية الأميركية إلى باكستان، اللواء هربرت م. واسوم، وخلفهم جلس ثمانية من كبار الضباط الباكستانيين الآخرين.

قامت طائرة أمن من طراز سيسنا بتفحص المنطقة – وهو إجراء احترازي اعتيادي منذ محاولة إسقاط طائرته بصاروخ ذي انجذاب حراري منذ بضع سنين خلت – وأعطى برج التحكم الإذن لطائرة الباك واحد بالإقلاع.

بعد أن أصبحت الطائرة في الجو سأل برج التحكم الطيار عن وضعه فرد الطيار: "باك واحد، مستعد".

لكن لم يكن هناك أي اتصال بعدها من الطائرة الرئاسية، وبعد مضي دقائق على الإقلاع فُقدت الطائرة.

على بعد بضعة أميال شاهد قرويون كانوا يعملون في حقولهم طائرة تترنح في السماء وكأنها كانت تسير على سكة قطار ملاهي غير مرئية.

بعد دورتها الثالثة هوت باتجاه الأسفل مباشرة، لتدفن نفسها في التربة الرملية، انفجرت الطائرة مشتعلة بالنيران، جميع الركاب الواحد والثلاثين الذين كانوا على متنها ماتوا فورًا – أو من قبل.

كانت الساعة الثالثة وإحدى وخمسون دقيقة. كان ذلك فقط بعد خمس دقائق من الإقلاع.

قال الخليفة في اليوم التالي في خطبته للجمعة: لقد أصدر الله قراره.

كان قد حذّر ضياء من غضب الله، إلا أنه لم يكترث بذلك مطلقًا، ولذا دمره الله بالكامل، كما أن الله قد دمر أيضًا أولئك الضباط الكبار الذين أعانوه في إساءة استخدامه للسلطة.

تابع الخليفة؛ إنه من غير اللائق أن تغتبط بموت عدوك، لذلك فقد أرسل رسالة تعزية إلى عائلة ضياء.

وأردف قائلًا: "لا يمكننا أن ننكر أن الأحمديين في كل أنحاء العالم سعداء وفرحون، ليس لأن أحدًا ما قد مات، هم سعداء لأنهم قد شهدوا نصر الله."

"إنها آية سماوية عظيمة على العون الذي أمدنا الله به، وفي المستقبل فإن الأجيال اللاحقة سوف تتذكر باعتزاز كيف أتى الله لنصرة أسلافهم".

كان هناك الكثيرون من غير الأحمديين الذين وافقوا على تصريح الخليفة، وكان منهم بنازير بوتو، ابنة ذي الفقار علي بوتو رئيس الوزراء الذي أطاح به ضياء ثم شنقه.

قالت: "موت ضياء لا بد أنه كان فعلا إلهيا".

الصحفي، كريستيان لامب، كتب ناقلًا خبر جنازة ضياء لجريدة الفاينانشال تايمز اللندنية، "إن الحشود التي ازدحمت في إسلام أباد بعد ظهر يوم مشمس يمكن بسهولة أن يلتبس أمرها على المرء فيظن أنهم أناس يحتفلون بيوم عطلة... وبينما بدا الرجال يتمتعون بيوم نزهة في بلد محرومة من

الترفيه... كان النعش الحاوي على أسنان ضياء فقط (لم يُعثَر على أي شيء آخر منه) يترل إلى القبر، وأُطلقت ٢١ طلقة مدفعية".

أحد الأحمديين قال إن أسنانه التي ضحكت يومًا على المباهلة قد دفنت الآن على عمق ستة أقدام.

الفريق المحقق في حادثة التحطم، استبعد الأسباب المتنوعة المحتملة للتحطم سببًا بعد آخر من خلال التحليل التقني.

لم يكن هناك قنبلة على متن الطائرة فحطام الطائرة لم يكن متناثرًا فوق مساحة واسعة.

كما أنها لم تصب بصاروخ ذي انجذاب حراري ذلك أن الحرارة كانت ستترك أثرًا على ألواح الألومنيوم لجسم الطائرة.

كما لم يكن هناك حريق على متن الطائرة حيث أن الفحص الذي أجري على جثة اللواء واسوم، رئيس البعثة العسكرية للولايات المتحدة، أظهر أنه قد مات قبل اشتعال النار بفعل التحطم وليس بعده.

كما لم يكن هناك تعطل في المحرك حيث أظهر الفحص أن المحركات كانت تعمل بسرعتها الكاملة عندما ارتطمت الطائرة بالأرض.

كما لم يكن الوقود ملوثًا.

كما لم يحدث عطل في أجهزة التحكم. طائرة الباك واحد هرقل لها ثلاثة أجهزة تحكم وقد أثبت الفاحصون أنها كانت جميعها تعمل.

الاحتمال الوحيد المتبقي هو أن الطيار، وربما جميع الركاب، قد فقدوا وعيهم فجأة.

كيف حدث ذلك، لم يستطع فريق الفحص الإجابة.

لماذا حدث ذلك؟ العالم كله كان يعرف.

## الفصل التاسع والعشرون

# الرجل المقتول يعود

هناك من يقول أن محاكمة ذو الفقار علي بوتو بتهمة قتل قريب أحد خصومه السياسيين كانت مؤامرة. إنه من المؤكد تماما أنه في معظم البلاد الديمقراطية كان من غير المحتمل أن يساق للمحكمة؛ فالدليل كان واهيًا، لكن باكستان في ذلك الوقت لم تكن ديمقراطية بل كانت تحت حكم ديكتاتور.

وهكذا خضع بوتو للمحاكمة، وربما الحجة الأكثر إقناعًا ضد إدانته كانت حجة لا يمكن الإدلاء بها للعلن – لم يكن حقًا بحاجة لأن يلجأ لمثل هذه الطرق البدائية من أجل الاحتفاظ بالسلطة. لكن، إن كانت مؤامرة فإنها كانت بغاية الذكاء، فإدانته بالقتل قد جعلت الرأي العام العالمي لا حول له ولا قوة. كان بإمكانهم أن يحتجوا على الاضطهاد والقمع السياسي والقتل السياسي، لكن كان من الصعب جدًا الاحتجاج على ما قيل أنه محاكمة اعتيادية بجريمة قتل، ولو كانت ذات صبغة سياسية. وفي الوقت المناسب اختفى أولئك الأشخاص الذين كان من الممكن أن يكونوا قادرين على أن يسلطوا الضوء على إساءات بوتو المزعومة، ثم شنق بوتو، ومن الممكن تمامًا أن ضياء اعتقد أنه قد تخلص من المعارضة السياسية من دون أن يصنع شهيدًا سياسيًا.

فهل من الممكن أن مؤامرة مشابهة كانت قد حيكت ضد الخليفة وأنها لم تفشل إلا بسبب غلطة ضياء نفسه، وذلك عندما طار الخليفة خارج باكستان علناً تمامًا؟

بكل تأكيد لم يكن هناك أي شك البتة حول تصميم ضياء على سحق الجماعة الأحمدية، لقد عدَّ الخليفة الرابع معارضا شديد الخطر ينبغي إسكاته

بأسرع ما يمكن، ولذلك فقد عكف على حملة للتخطيط لاغتيال شخصيات كانت تتراوح بين الخبيثة إلى الساذجة، كانت مصممة لتقديم الخليفة كرجل خطير للغاية، خطير على سلامة باكستان، خطير على حياة وممتلكات مواطنيه، خطير على الإسلام. لم تكن هناك كذبة أصغر أو أكبر من أن تستخدم. الفكرة كانت، كما قال مسئولون أحمديون، أنه عندما سيتحرك للإجهاز على الخليفة، فإن معظم الناس – بفعل غسيل أدمغتهم- في باكستان سيعتقدون أن ما يفعله ضياء هو فقط ليحمي باكستان من مكائد الخليفة.

ضياء لم يعوزه الدعم في أوساط رجال الدين المتطرفين، ويمكن عدُّ الصحف التي كانت تنشر الفتن الدينية بشدة وبعض الصحف الغربية التي تروج الصور الإباحية لتزيد من مبيعاتها؛ مصنوعة من طينة واحدة.

الحملة بدأت بعد ١٤ يومًا فقط من تنصيب الخليفة عندما تساءلت الصحيفة الأردية اليومية "نوائي وقت": هل يتم تجهيز مصنع ذري تحت مقر الإقامة الرسمي للخليفة في ربوة؟

كان طرحًا سخيفًا للغاية لدرجة إثارة الضحك، لكن هناك مقولة معروفة جدًا تفيد أنه كلما كانت الكذبة أكبر كان الاحتمال أكبر بأن يصدقها بعض الناس.

وانضمت صحيفة أسبوعية تدعى "لولاك" إلى المعمعة، فصرحت بأنه منذ انتخاب ميرزا طاهر أحمد لم تصبح الأنشطة التبشيرية للحركة أقوى وإنما صارت عنيفة وأكثر عدوانية.

ولعلمهم بدعم ضياء لهم رفع رجال الدين المتطرفين أصواتهم موحَّدين كأنهم في جوقة. وطبعت الصحف استنكاراتها وانتقاداتها دون خشية الإدانة بالتشهير. لم يكن أمام أي أحمدي فرصة الحصول على العدالة في محكمة ضمن بلد يحكمه ضياء.

في ١٩٨٣/٢/١٧، اختفى عامل مصعد يدعى أسلم قريشي. كان قد أخبر عائلته أنه ذاهب إلى قرية مجاورة ليلقي خطبة وعظ ضد الأحمديين؛ لم يرجع! وبعد مضي يومين أخبرت عائلته الشرطة وقالوا أنهم يخشون أنه قد اختُطِف وقُتِل من قبل أحمديين، والسبب الوحيد الذي أمكنهم تقديمه لدعم هذا الاتهام هو كراهيته الشديدة للجماعة الأحمدية.

ومع أنه كان مجرد عامل مصعد إلا أن أسلم قريشي كان معروفًا بشكل واسع في باكستان، فمنذ بضع سنين خلت كان قد رافق إلى المصعد السيد مرزا مظفر أحمد، الذي كان وزير دولة، وحاول اغتياله. حكم عليه بالسجن مع الأشغال الشاقة لمدة ١٤ عامًا، إلا أنه تم إخلاء سبيله بعد أن قضى ثلاث سنوات فقط.

ومع أنه لم يكن من قبل يعتبر شيئًا سوى عامل مصعد فقد شُرِّف الآن في بعض أصحابه بلقب "مولانا قريشي" أي أنه عالم إسلامي. صنعت أخبار اختفائه أخبارًا، فخلال وقت قصير كان رجال الدين المتشددون والصحف، ومن غير أوهى دليل لدعم ادعاءاتهم، يعلنون طريقة قتله واسم قاتله — لقد مُزِّقت أشلاؤه في الأقبية تحت مترل الخليفة في ربوة والخليفة هو المسئول!

صحيفة "لولاك" صرحت: منذ انتخاب ميرزا طاهر أحمد بدأت الحركة الأحمدية حملة إرهابية — أُوسِعَ مدرسٌ غير أحمدي ضربًا من قبل أولاد أحمديين، ودُمِّر مسجد، كما أن أسلم قريشي لم يُختَطَف فقط لكن من المحتمل أنه قد قُتِل من قبل أحمديين.

اندلعت أعمال شغب، فنُهبت بيوت الأحمديين ومحلاتهم ومساجدهم، وهوجم الأحمديون وأُوذوا، وبعضهم قُتل. أصبحت مطالب واستنكارات المشايخ (الملالي) أكثر عنفًا من أي وقت مضى — يجب على الشرطة أن تُغير على ربوة لتكتشف ما إن كان أسلم قريشي ما زال حيًا، ويجب أن يُعتقَل الخليفة فورًا ويُجبَر تحت الضغط البدني على الاعتراف بجريمته.

أحد خصوم الجماعة الأحمدية المعروفين جيدًا صرح بأنه كان متأكدًا تمامًا من أن الخليفة مذنب لدرجة أنه كان على استعداد تام أن يلقي بنفسه من على ظهر بناية إن ثبتت براءة الخليفة. حتى الأطفال جُرّوا إلى حملة الكراهية، فعُمِل كتاب رسومات يظهر أسلم قريشي كسجين مصفد بالسلاسل ويظهر رجال قوات خاصة (كوماندوز) يقتحمون لتحريره.

فعل الجنرال ضياء كل ما في وسعه لإذكاء التعصب الديني وضمان بقاء خبر اختفاء أسلم قريشي في العناوين الرئيسة. مرة أرسل إلى أسرة أسلم قريشي شيك بقيمة ١٠ آلاف روبية مع رسالة تقول لهم أن حزنهم دائمًا في البال. وفي مناسبة أخرى أنشأ فريق شرطة خاص للتحري عن اختفائه.

كان تصرفًا غريبًا. في باكستان، كما في أي بلد آخر في العالم، عشرات الناس يختفون من منازلهم شهريًا دون أن يخبروا أحدًا عن المكان الذي سيذهبون إليه. لا يهرع الرؤساء عادة لمساعدة ذويهم كما لا يشكلون فرق شرطة خاصة للبحث.

لكن، أفعاله كانت تشير إلى أن المسرح قد أصبح جاهزًا الآن لسحق الجماعة الأحمدية. حتى مركز الاعتقال حيث سيتم احتجاز الأحمديين البارزين صار جاهزًا، وُصف رسميًا بأنه معسكر جيش.

وصف أحد الأحمديين البارزين المؤامرة كما كان يراها قائلًا:

"المرسوم رقم ٢٠ سيحرم المسلمين الأحمديين من حق بناء مساجد وأن يسموا أنفسهم مسلمين. ظنَّ الفريق ضياء أن الخليفة سوف يطلب من الأحمديين المقاومة، وحينها سيجعل المشايخ يستثيرون الغوغاء فتحدث أعمال شغب، ومن ثم يتحرك هو بالجنود لاستعادة النظام، وتُطوَّق ربوة و يُرسل القادة المحتملين إلى مركز الاعتقال. سوف يُعتقَل الخليفة، وفي الوقت المناسب يُعثَر على "دليل" تورطه بالقتل. سيُحاكم ويُكتشف أنه مذنب بجريمة القتل تمامًا كما جُرِّم بوتو. وبعد بضع سنين، عندما يكون انتباه العالم منصرفا إلى

مكان آخر، فجأة في صباح أحد الأيام سيصدر ضياء الأمر بإعدامه تمامًا كما أعطى الإذن بإعدام بوتو. وبعد ذلك فإن ضياء سيمنع عقد أي انتخابات لاختيار خليفة جديد.

من وجهة نظره سيكون ذلك نهاية الحركة الأحمدية.

ثلاثة أمور سارت بشكل خاطئ في المؤامرة؛ الأمر الأول هو أن الخليفة لم يفقد صوابه ليخبر الأحمديين أن يقاوموا هذا الاضطهاد. الأمر الثاني كان أن ضياء لم يوجه تهمة محاولة القتل سريعًا ضد الخليفة، مع أنه يُعتقد أن التهمة كانت ستوجه في صباح اليوم الذي غادر فيه باكستان. لو أنه فعل فإن الخليفة ما كان ليغادر – لقد أخبرنا أنه لن يغادر إن كان هناك أية تهمة جرمية موجهة ضده.

الأمر الثالث الذي سار على نحو خاطئ – وهذا، بالطبع، الأكثر أهمية – أن الله قد مد يده وآوى الخليفة، لقد جعل ضياء يرتكب خطأ في الأمر الذي يحظر على الخليفة مغادرة البلد وهكذا صعد الخليفة إلى الطائرة. كان الجميع يعرفون من هو الخليفة، لكن لم يحاول أحد إيقافه. لقد كان الله معه".

فيما يتعلق بأسلم قريشي فقد عاد للظهور فجأة في ظروف شديدة الغرابة في تموز/ يوليو ١٩٨٨، أي بعد خمس سنوات من اختفائه. قُدِّم في مؤتمر صحفي من قبل المفتش العام لشرطة البنجاب. أخبر قريشي الصحفيين المتجمهرين أنه قد قرر الاختفاء بسبب مشاكل شخصية، كان لديه صعوبات مالية وعائلية وقد انزعج بسبب الأدبيات التي قرأها حول الجماعة الأحمدية فقرر أن يغادر. قال أنه سافر إلى إيران والتحق بالجيش وقاتل في الحرب الإيرانية العراقية.

أضاف أنه كتب إلى أسرته يخبرهم عن مكانه. ابنه، الذي كان أيضًا في المؤتمر الصحفي، اعترف بأنهم قد تلقوا رسالة، لكنهم لم يكونوا مقتنعين تمامًا أنها منه.

إلا أنه كان هناك من يقول سرًا أن السيد قريشي قد عاد للظهور لأنه لم يعد هناك أي مبرر لبقائه مختبئًا لفترة أطول – فالخليفة قد أفلت من سلطة ضياء منذ زمن بعيد.

إن ظهوره ثانية كان إحراجًا معتبرًا للناس والصحف الذين واظبوا على القول بأنه قد قُتل. صحيفة "الأمة" همهمت بشكل جبان: "لقد كان مخطئًا بمخالفته قانون البلاد بعبوره حدود البلد بدون جواز سفر" – وهذه طبعًا أخف صفعة على قفا اليد يمكن أن توجه لرجل اعترف بأنه علم أن اختفاءه كان يسبب أعمال شغب.

المشايخ الذين أعلنوا بصوت عال أنهم كانوا متأكدين من أن قريشي قد قُتِل من قبل الخليفة وكانوا على استعداد للقفز من فوق أبنية عالية إن ثبت خطؤهم، لزموا الصمت وأبقوا أقدامهم ملتصقة بثبات على الأرض.

قررت الشرطة أن أفضل شيء يتعين فعله هو إبقاء السيد قريشي بعيدًا عن الأنظار لفترة قصيرة حتى يهدأ الهرج والمرج، لذا فقد اتهموه بإحداث اضطرابات مدنية وأرسلوه إلى السجن رهن التحقيق لمدة سبعة أيام. عندما ظهر السيد قريشي مجددًا في المحكمة غيَّر القصة – قال إنه قد اختُطِف من قبل أحمديين، وسُجن في ربوة. والأكثر من ذلك أنه كان لديهم الكثير من الأسلحة في الأقبية هناك بحسب زعمه.

مع أن بعض المشايخ المتشددين ادّعوا أن قريشي قد تعرض للتعذيب وأن الشرطة كانت متحالفة مع الأحمديين، إلا أن كل الآخرين كانوا يريدون أن ينسوا القصة بكاملها. لكن، لم يكن ذلك هو الظهور العلني المشين الأخير للسيد قريشي. فبعد مضي وقت قصير قد حاول ثانية أن يقتل شخصًا ما. فعاد إلى السجن.

## الفصل الثلاثون

# المعالجة بالمثل (الهوميوباثي)

في الغرفة خلف مكتب سكرتير الخليفة في مسجد لندن توجد خزانة طويلة، بعمق قدمين تقريبًا. كانت تحتوي عادة على قرطاسية ولوازم مكتبية أخرى. أما اليوم فتحتوي على المئات من قوارير صغيرة فيها سوائل تشكل طيفًا حقيقيًا من الألوان. من هنا كانت أدوية المعالجة بالمثل الموصوفة من قبل الخليفة التي تُحضَّر لأناس في كل أنحاء العالم.

يتلقى الخليفة مئة أو أكثر من الرسائل يوميًا من ناس يصفون أعراضهم ويطلبون منه أن يصف لهم دواء معالجة بالمثل. معظم الطلبات هي طبعًا من أحمديين، لكن هناك الكثير منها من أشخاص قد سمعوا عن نجاح علاجاته ويطلبون منه أن يصف لهم علاجًا.

يفعل الخليفة ذلك بدون ثمن لأنه مقتنع بفاعلية المعالجة المثلية وهو حريص على أن يجلب إليها انتباه أكبر عدد ممكن من الناس. سجلات المكتب ممتلئة برسائل من أشخاص يقولون أن وصفاته قد شفتهم وخففت أمراضهم.

لم يكن من قبل مؤمنًا بالمعالجة بالمثل مع أن عائلة ميرزا قد مارست الطب لعدة أجيال. والد جد الخليفة، ميرزا غلام مرتضى، كان يعالج القرويين عادة في قاديان عندما كانوا يمرضون. لم يكن هناك أطباء في المناطق المجاورة، وكرئيس للقرية، كان يُلجأ إليه أيًا كانت الأزمة.

لقد نقل معارفه الطبية لابنه أحمد، الذي أصبح المسيح الموعود وقد اشتهر بنجاح علاجاته. ابنه، الخليفة الثاني، أصبح مهتمًا جدًا بالطب ودرس العلاجات الغيرية (الأللوباثي)، والطب المحلي وطب الأعشاب، وعندما وصلت المعالجة بالمثل إلى الهند، أصبح أحد أول ممارسيها.

لكن الخليفة الرابع وإلى أن بلغ الرابعة عشرة من عمره كان يظن أن طب المعالجة المثلية هو "مجرد خزعبيلات، وعديم الجدوى تمامًا".

"علمت من خلال الدراسات العلمية التي درستها في المدرسة أن تراكيز السوائل المستخدمة في المعالجة المثلية كانت ضئيلة. كان يبدو لي أنه من المستحيل أن تستطيع إحداث أي تأثير. فعلى سبيل المثال، قوة ثلاثين تعني تمديدًا بنسبة واحد أمامه ٦٠ صفرًا.

مثل هذا التمديد هو فلكي. بدا لي أنه من المستحيل لأي دواء ممدد إلى مثل هذه الدرجة أن يكون له أي قيمة. لذلك تجاهلت هذه المعالجة.

والدي كان يصف كلا النوعين من الأدوية الغيرية والمثلية عندما كنا نمرض. ولذلك فعندما كنا نتعافى كنا لا نعرف أبدًا أي الأدوية قد أفاد حقًا.

كنت أعاني عادة من صداع شقيقة شديد جدًا، والذي لم يكن يُشفى بالأسبرين العادي. وأحيانًا كنت آخذ خمس أو ست حبات أسبرين ومع ذلك كانت لا تجدي. الشيء الوحيد الذي كان يجدي كان مسكنًا معينًا قويًا جدًا. كان والدي يطلبه عادة من كالكوتا.

ذات مرة كنت أعاني من نوبة شقيقة شديدة جدًا وكنت مستلقيا في السرير وأشعر بأني مريض جدًا. كانت أمي معي وأرسلت خادمة إلى والدي لتطلب قرصين من ذلك المسكن. عادت الخادمة وقالت لم يبق أي قرص، إلا أن والدي أعطاها مسحوقًا من أدوية المعالجة المثلية من أجلي. لم أعتقد أنه كان يساوي شيئًا يذكر، لكنني كنت أشعر بالمرض بشدة لذلك لم أعترض. وضعته أمي في ملعقة ثم ابتلعته.

بقيت أمي بجانبي كما تفعل الأمهات وكانت تسألني كيف كنت أشعر عندما أدركت فجأة أنني لم أعد أشعر بالصداع: كان موجودًا والآن لم يعد موجودًا.

عندما تعافيت بدأت أفكر به. النظرية يجب أن تتبع الملاحظة. لا يمكنك أن تثني ملاحظاتك حتى تناسب النظريات. نظريتي كانت تقول: إن ذلك مستحيل. وملاحظتي كانت تقول: لقد حدث.

إن ذلك مثل السؤال عن الله هل هو موجود أم غير موجود. أولئك الذين يعرفون أن الله موجود وهم على تواصل معه، كيف يمكن لأي محاججة أن تقنعهم أو تثنيهم عن الإيمان بالله؟

إذًا ينبغي أن تتبع الحقائق التي تعرفها. لا تثني حقائقك طبقًا للنظرية. كان هذا مبدئي وأنا مازلت أتبع هذا المبدأ. لذلك قلت: لا بد أن فيه أمرًا ما.

لاحقًا عانيت من نزلة برد شديدة. لم تستجب لأي علاج. لذا طلبت من والدي أن يعطيني شيئًا ما لنزلة البرد. سألني أسئلة متنوعة ثم أرسل لي مساحيق متنوعة. لقد تعافيت في غضون يوم واحد.

كان والدي مريضًا جدًا في ذلك الوقت و لم يستطع أن يعلمني، لكن طبعًا كان هنالك مناقشات كثيرة في الماضي. بدأت أدرس، سُمح لي بالوصول إلى مكتبته وبدأت أقرأ كل الكتب التي كانت لديه عن المعالجة المثلية، وأظن أني بدأت أبني مكتبتي على حساب مكتبته، لم أُرجِع أبدًا أي كتاب استعرته.

لم يكن هناك أي شخص آخر مهتمًا بهذه الكتب.

وبالتدريج بنيت معرفتي وأخيرًا قررت: "لا معالجة غيرية بعد الآن". في تلك الأوقات اعتدت أيضًا أن أعاني بشكل متكرر جدًا من هجمات الملاريا، وكانت شديدة جدًا والأدوية الغيرية التي كانت تستخدم لعلاجها كانت تسبب لي تأثيرات جانبية مؤلمة جدًا جدًا. كنت أمضي ثلاثة أيام أو أربعة من المعاناة الشديدة – تكون يداي متورمتين وأشعر وكأنه يوجد حكاك بداخلي، كانت تجعلني أريد أن أبكي على نفسي، لم أعرف ما الذي كان أسوأ – أن تعاني من الملاريا أم التأثيرات الجانبية للأدوية التي كنت أتناولها لعلاجها.

لذا قررت أن أجرب أدوية المعالجة المثلية. لقد فشلت مرارًا وعندما كنت أتيقن أن ما أفعله كان عديم الجدوى كنت ألجأ إلى الأدوية الغيرية، مع أنها كانت فظيعة. استمر ذلك نحو سنتين حتى تمكنت أخيرًا أن أصف لنفسي الأدوية المثلية التي نجحت. ومنذ ذلك الحين، كلما أصبت بهجمة الملاريا، كنت أصف هذا الدواء لنفسي، وكنت دائمًا أُشفى.

بعد ذلك بدأت أعالج أطفالي والناس الآخرين. كانت مسئولية كبيرة، درست بشكل مكثف جدًا جدًا، أحيانًا كنت أبقى مستيقظًا الليل كله أبحث عما ينبغي أن أصف لمريض كنت رأيته وسيعود في اليوم التالي.

هذه الدراسة المستمرة والممارسة قد أعطتني في النهاية المعارف التي أحتاجها، وبالنتيجة أستطيع الآن سريعًا جدًا أن أقرر أي دواء يحتاجه كل مريض، أحيانًا يمكنني رؤية المريض وعندما أنظر إلى وجهه أعرف فورًا أي دواء يجب أن أصف.

لكن هذه هي نتيجة أكثر من ٤٠ سنة من العمل والدراسة، لقد تكونت لدي خبرة واسعة حقًا.

بالطبع ليس الأمر سواء عندما يكتب لي المرضى ويصفون أعراضهم – وأنا أتلقى رسائل من كل أنحاء العالم – وقد كتب لي الكثير من الأطباء سرًا عن مرضى قد فقدوا الأمل بشفائهم، قصدوني لأنهم سمعوا أنني قد نجحت في الماضي.

حالات أولئك المرضى كانت قد اعتبرت نهائية ومع ذلك فما زالوا أحياء إلى اليوم. أعتقد أن على المرء أن يضع تحيزه جانبًا ويتبع الحقائق، وهناك الكثير من الحقائق حول طب المعالجة المثلية، لدينا الكثير جدًا من الحقائق في هذا المكتب، نحن نحتفظ بكل السجلات لما قد تم وصفه، ونحتفظ أيضًا بسجلات ما يقوله المرضى وما يقوله أطباؤهم".

أحد المتشككين حول جدوى المعالجة المثلية كان السيد ب. أ. رفيق، كان يعاني من السكري وبالتالي كان عليه دائمًا أن يحمل معه زادًا من الإنسولين، لم يكن من السهل دائمًا الحصول عليه في باكستان وعندما كان يوجد في مناطق معزولة حيث يكون الإمداد بالكهرباء غير منتظم – أو حتى غير موجود أحيانًا – كان يجد المحافظة على الإنسولين بحالة جيدة صعبًا، ولذلك قبل أن يغادر إلى باكستان ذات مرة حصل من الخليفة على وصفة.

قال الخليفة: "جربها، إن لم تنفع فلا تستخدمها".

صهر السيد رفيق، وهو طبيب في الولايات المتحدة، كان مشككًا بالكامل بالمعالجة المثلية، قال: "إنه من المستحيل أن يجدي نفعًا".

لكن وخلال تلك الزيارة المذكورة إلى باكستان كان من الصعب الحصول على الإنسولين وقرر السيد رفيق أن يجرب وصفة الخليفة.

قال السيد رفيق: "أنا لا أعلم شيئًا عن الطب، وصهري متشكك كما كان دائمًا، أستطيع فقط القول إنه قد نفع في حالتي".

وبالنتيجة ذكر ذلك لظفر الله خان الذي كان أيضًا مصابًا بالسكري، كان هو الآخر متشككًا أكثر: "أنا مصاب بالسكري منذ أربعين سنة لذا لا أعتقد أن أي دواء (هوميوباثي) سيساعدني".

لكن بعد شهرين كتب إلى السيد رفيق قائلًا إنه يعمل. استمر ظفر الله خان في استخدامه طول السنوات العشر الأخيرة من حياته حتى مات عن عمر بلغ ٩٣ عامًا.

لا يفرض الخليفة معتقداته حول المعالجة المثلية، الأمر مفتوح لكل أحمدي أن يصدق أو لا يصدق.

## الفصل الحادي والثلاثون

# أسئلة للخليفة

إن هجرة الخليفة إلى لندن قد كثفت من الجولات التبشيرية عبر العالم، فصار الآن يسافر لمدة ثلاثة أشهر كل عام. خلال ست سنوات جلبت جهوده التبشيرية الشخصية ٣٠٠ ألف شخص إلى الجماعة الأحمدية، الكثير من أتباعه قالوا إنها كانت إرادة الله أن يقيم في لندن مع بداية القرن الثاني للأحمدية.

الخليفة نفسه علق قائلًا: "أعلم أن المسيح الموعود قد تلقى وحيًا من الله، أخبره فيه: "سأبلغ دعوتك إلى أقصى أطراف الأرض".

"أنا خليفة المسيح الموعود وأعرف أن ما يعد الله به يتحقق دائمًا".

دعا الخليفة الأحمديين في كل أنحاء العالم إلى أن يكثفوا من عملهم التبشيري من أجل القرن الثاني للأحمدية، قال نحن نحتاج المزيد من كل شيء — المزيد من البعثات التبشيرية والمزيد من المبشرين، المزيد من المستشفيات والمزيد من الأطباء، المزيد من المدارس والمزيد من المدرسين، المزيد من خبراء الزراعة، وفوق سخائكم في الماضي، نحتاج المزيد من المال.

استجابت الجماعة، فتعهد الأحمديون الشباب بالعمل الاختصاصي في البلدان غير المتطورة في أفريقيا والشرق. في بعض البلدان الأفريقية التعليم الابتدائي مجاني، لكن لا يوجد ما يكفي من المدارس، لذلك بنت الجماعة مدارس وقامت الحكومة بدفع مرتبات المدرسين.

بنت الجماعة في بلدان أخرى مستشفيات وزودتها بالمعدات والحكومة قامت بدفع رواتب الأطباء. قامت الجماعة بتأمين خبراء في كل المجالات دون

مقابل، كان الخبراء يتقاضون معاشًا ضئيلًا من الجماعة بينما كانوا يعملون بعيدًا عن أعمالهم المعتادة.

قدمت الجماعة منحًا للصغار الموهوبين حتى يتمكنوا من متابعة تعليمهم الثانوي أو حتى أن يتابعوا في الكليات التقنية أو الجامعات.

شجع الخليفة كل شخص أن يبذل مجهودًا أكبر. استقبله رؤساء دول، وقوبل بترحيبات رسمية، وكُلّل بالزهور وقدمت له العباءات الرسمية، تحدث في اجتماعات لأساتذة الجامعات وللأطباء والطلاب في نيجيريا وغانا وليبيريا وسيراليون وبلدان أخرى في أفريقيا الغربية. كما جال في أفريقيا الشرقية.

ذهب إلى موريشوس وفيجي، وذهب إلى ألمانيا وفرنسا وإيطاليا وهولندا، وتجول في اسكندنافيا، كما ذهب إلى أميركا الجنوبية، وأُجريت معه مقابلات إذاعية، وظهر في البرامج الأخبارية التلفزيونية وقام بمقابلات مطولة مع الصحفيين؛ لقد كان متاحًا للجميع.

كتب رجل كاثوليكي مخلص، وهو عضو في مجلس بلدية، إدمونتون، في كندا، عن لقائه مع الخليفة: "لكوني مسئولًا منتخبًا أُجلست بجانبه فكانت لي فرصة التحدث إليه... أنت تواجه وجهًا جميلًا حقًا وعينان تشعان برسائل الحب، والحكمة، والفهم والتعاطف. خلال وقت قصير تشعر بقوة حضوره وتدرك أنك في حضرة رجل مقدس، تشعر أنك منجذب بقوة وواثق أن هذا رجل من الله حقًا وأنه لن يفعل شيئًا إلا أن يزيد حبك لله ومعرفتك في الدين بغض النظر عن معتقداتك الشخصية".

أضاف قائلًا: "أن تعرفه يعني أن تحبه وأن تود أن تعرفه أكثر. أن تتحدث إليه يعني أن تعرف أكثر عن الحياة والعيش. لم يسبق لي أن قابلت شخصًا قط كان له مثل هذا الأثر العظيم على نفسي ككائن بشري".

كان يذهب دائمًا ليرى الناس – الناس الذين كانوا يعملون في الحقول، والناس الذين كانوا يعملون في الشوارع وفي المصانع، وعندما كان يغادر كان دائمًا عدد الأحمديين أكبرُ مما كان عليه عندما وصل.

تلقت عدة دول في أفريقيا الغربية، عندما كان ضياء ما يزال حيًا، عروضًا مالية من باكستان لبناء مدارس ومستشفيات جديدة، لكنها جاءت مقرونة بطلب طرد كل المبشرين الأحمديين خارج البلاد. جميع العروض قوبلت بالرفض.

رئيس إحدى الدول أخبر الخليفة: "أخبرتهم أنني سأقبل مالهم بكل سرور، لكننا لن نبدأ باضهاد الناس بسبب دينهم، لدينا سلفًا ما يكفي من المشاكل من دون ذلك، وأخبرتهم أن الأحمديين لم يضعوا أي شروط عندما جاءوا – هم فقط عرضوا أن يقوموا ببناء المدارس والمستشفيات ويساعدوا بتأمين المدرسين والأطباء".

في نيجيريا قام بمناقشة مشاكلها بعمق، وعندما غادر أمسك الرئيس أحد مرافقي الخليفة الذي كان نيجيري المولد وسأله: "كيف يعرف الكثير جدًا عن مشاكلنا؟ لم يمض له هنا سوى خمسة أيام فقط".

الأحمدي النيجيري أجابه أن مبشريه يبقوه على اطلاع بما يحدث وهو يحرص دائمًا أن يُطلع بموجز كامل قبل بدء جولته بوقت طويل.

كان هناك القليل جدًا من الترفيه في جولات الخليفة – في البداية كان يسافر بالدرجة السياحية على كل الخطوط الجوية!

موظفو المال اقترحوا عليه أن يسافر بالدرجة الأولى، ليس فقط لأنها تناسب مكانته، ولكن كان من المهم أيضًا أن يحظى بأكبر قسط ممكن من الراحة قبل بدء هذه الجولات.

رفض الخليفة، لقد رفض حتى أن يسافر بالدرجة الثانية؛ فالأموال التي تدفع لأجورها قد أتت من الأحمديين، الذين كان الكثير منهم فقراء، لذا فالأموال كانت أمانة، فينبغي ألا تنفق على غير الضروريات.

ولكن حيث فشل موظفو المال، نجح موظفو الأمن لديه، لم يكن بإمكانهم حمايته كما يجب في قسم الدرجة السياحية المكتظ من الطائرة.

أعطى الرد ذاته عندما اقتُرح عليه أن الشقة في مسجد لندن كانت صغيرة جدًا عليه وأسرته وأن على مسئولي المسجد أن يبحثوا عن مسكن أكبر بكثير.

ظلت مُتعه بسيطة، حاول أن يبدأ أو ينهي كل جولاته من هولندا، من المسجد قرب نونسبيت كان بإمكانه هو وابنتيه الصغيرتين أن يركبوا الدراجات الهوائية بأمان عبر الطرق الريفية الهادئة. "أنا أحب المنطقة كثيرًا – إنها مليئة بالزهور، هناك أزهار بكل مكان، وكل المنازل جميلة، لا يوجد أي بيت قبيح".

لكن ليست كل متعه هادئة. فمرة، عندما كان يجري التخطيط لزيارة إلى شمالي إنجلترا اقترح الرائد محمود أحمد، رئيس حرسه، أن يتوقفوا عند بحيرة ويندرمير لركوب القوارب الهوائية لمدة ساعة أو نحو ذلك، وافق الخليفة بحماس وهكذا قام الرائد محمود أحمد بحزم القوارب الهوائية في صندوق سيارتهم.

في اليوم الذي وصلوا فيه إلى بحيرة ويندرمير كانت تمطر كما يمكن أن تمطر في بريطانيا فقط. مع أن الوقت كان صيفًا فقد كانت السماء رمادية مكفهرة، كان المطر يهطل بقوة والريح تصفر، كان الجو باردًا وكئيبًا وحتى المصطافون البريطانيون قد هجروا البحيرة.

عندما نُفخت القوارب طلب الخليفة من الرائد محمود أن يعود إلى السيارة ويخبر زوجته أن القوارب جاهزة، وأن بإمكانها أن تأتي الآن. الرائد، وثيابه تقطر ماءً، نقل لها رسالة الخليفة.

نظرت إليه مرتعبة وقالت: "هل أنت مجنون؟، لا يمكن لأحد أن يخرج في هذا الجو".

لكن الخليفة والرائد محمود فعلا.

تبتسم زوجة الخليفة الآن عندما تروي القصة.

استمر الخليفة بلعب السكواش حتى بلغ الثامنة والخمسين. "وبعد ذلك أقنعني بعض أفراد الجماعة بالتوقف، شعروا بقلق شديد حول المخاطر التي أواجهها – أن أُصاب بمضرب الخصم، أو أن يصطدم رأسي بالجدار، البعض كانوا أيضًا قلقين على قلبي، الأخصائي الذي استشرته قال أن ذلك لا بأس به أبدًا، لكن ينبغي علي التوقف عندما أشعر بضيق نفس. أتمنى لو أنني لم أتوقف بشكل نهائي".

قرر أن يسلي نفسه برياضة رماية الأطباق الطائرة والرماية بالقوس والنشاب.

كان الخليفة يُسأل كل أنواع الأسئلة في شتى المواضيع خلال جولاته، يُسأل عن القيم الأخلاقية، حول معتقداته في المعالجة المثلية (هوميوباثي) وعن انتشار الإيدز. في جامعة أوكسفورد سُئل من قبل الطلاب حول نقاط دقيقة لمعاني في القرآن الكريم.

أحد أكثر الأسئلة تواردًا هو السؤال عن الحجاب واستخدام النقاب لتغطية وجه المرأة، وإن كان يتوقع من النساء الأوربيات والأفريقيات أن يغطين رؤوسهن ووجوههن بالطريقة نفسها.

"إنها مسألة صغيرة، المبدأ الأساسي الوحيد الذي ذكر في القرآن الكريم هو أن النساء يجب أن يرتدين وفق تقوى الله. ما يعنيه ذلك هو أن النساء يجب أن يرتدين ثيابًا محتشمة – يجب ألا يلبسن بطريقة تثير عقول الرجال وتصرفهم عن الأفكار الجيدة إلى الأفكار الشريرة. هذا النوع من اللباس لن يكون لباسًا متوافقًا مع خشية الله. أيًا كانت طبيعة أو شكل اللباس إن كان

ضمن حدود تقوى الله فلا بأس بذلك اللباس. وفيما عدا ذلك فالسؤال عن كيفية ارتداء المرأة للباس فهو غير جوهري".

سُئل أيضًا، لماذا لم يأت أي اكتشاف طبي خلال المئة سنة الماضية ليفيد الجنس البشري من بلد مسلم في حين كان الإسلام في وقت من الأوقات في الطليعة بالاكتشافات الطبية وكانت أوربا في العصور المظلمة.

أجاب الخليفة: لسوء الحظ هذا صحيح. العلماء قد أداروا ظهورهم للمعاني الحقيقية للقرآن فولدت مفاهيم مشوهة.

أكد الخليفة أن القرآن لا يمكن أن يتعارض مع أي خلق لله، لا يوجد أي تناقض بين كلام الله وفعل الله.

أي شيء جيد هو مقبول وفقًا للقرآن، الإسلام ليس ضد العلم وهذا كان في الماضي، لكن بسبب الآراء المشوهة، بدا وكأن القول بأن الإسلام ضد العلم صحيحًا.

ألف الخليفة كتابًا حول التشدد المتزايد لبعض المسلمين بعنوان القتل باسم الدين والذي أصبح أحد أكثر الكتب مبيعًا.

هل تنمو الجماعة الأحمدية سريعًا جدًا؟

أجاب الخليفة: "في رأيي، لا يمكننا أبدًا أن نسير بالسرعة الكافية، لدي دائمًا الإحساس بأن علينا أن نعوض خسارة سنوات كثيرة جدًا في الماضي إذ، في بعض المناطق، أصبح الناس يقبلون الأمر لكنهم لم يرقوا أبدًا إلى حجم مسئولياتهم.

إن خوفي الوحيد بشأن التقدم السريع هو الخطر المصاحب بعدم القدرة على تربية هؤلاء الناس الذين انضموا إلينا بعمق وصلابة، لذا ينبغي علي التفكير بمسألة التوازن. أنا أدعو الله: "سريعًا، سريعًا لكن ليس سريعًا جدًا، ليس سريعًا جدًا إلى الدرجة التي نفشل معها في التزاماتنا بتربية الناس"".

وحول حقيقة أنه هو وحده، كخليفة، عليه مسئولية اتخاذ قرارات تؤثر في ملايين الناس، علق قائلًا: "إنها مسئولية جسيمة، لكن لدينا ميزة عن بقية القادة في العالم، نحن دائمًا نبقى متنبهين إلى الكيفية التي يريد الله منا أن نتخذ بها القرار.

المرجع لا يكون أبدًا إلى الناس المحيطين أو الجماعة – إنما إلى الله. لذلك فحتى لو ظننتُ أن الجماعة لن تحب القرار فأنا سأتخذه بالرجوع لله."

"أنا أحاول وضع نفسي تحت إرادة الله ورغبته؛ كيف يحب الله أن أتخذ القرار؟"

"في المجالات التي يكون فيها الكثير جدًا من المجهول، والحقائق قليلة جدًا لتوجهني بشكل مناسب، أجد الأمر بغاية الصعوبة، علي أن أدعو بشكل مستمر قبل اتخاذ قرار، أنا أدعو وأطلب الهداية من الله. الهداية تأتي أحيانًا على شكل رؤيا – تترك رسالة واضحة جدًا، وأحيانًا أكتسب ثقة أكبر أثناء الدعاء وأبدأ أرى الأمور بشكل أوضح ومن ثم أعرف أن القرار الذي سأتخذه صحيح.

كلما زادت جسامة القرار الذي يتعين علي اتخاذه زاد خوفي أن أرتكب خطأً، في سَير الحياة الاعتيادي هذا لا يحدث لأن القرارات التي أتخذها مبنية على مبادئ صلبة وخبرة طويلة، هنا أستطيع أن أقرر سريعًا جدًا وبدون أي خوف من ارتكاب خطأ.

لكن إن اكتشفت أن خطأ ما قد ارتكب لا أتردد أبدًا في إلغاء القرار وعكس العملية، لكن هذا، على ما أعتقد، نادرًا ما يحدث لأن القرار قد اتخذ بالرجوع إلى الله".

"إن اتخذت قرارًا خاطئًا كخليفة ففي النهاية يجعله الله هو القرار الصائب".

## الفصل الثاني والثلاثون

# مستقبل الإسلام

في الساعة الثامنة وأربع وثلاثين دقيقة مساء يوم الخميس ١٩٨٩/٣/٢٣، في صالة احتفالات في فندق فخم في بارك لين، في لندن، وقف الخليفة ليلقي رسالة القرن، وأمامه رجال ونساء من كل أنحاء العالم.

كان هناك وزراء حكوميون وأعضاء برلمان من دول عديدة، كان هناك كُتّاب وأساتذة جامعيون، أطباء ومحامون، رجال لاهوت ورجال أعمال. ارتدى البعض سترات السهرة، وارتدى آخرون اللباس التقليدي لبلادهم، أثواب بيضاء من السودان، وجلابيب كثيرة الألوان من بلدان في شرق وغرب أفريقيا، ورجل أسكتلندي في زيه التقليدي.

كان تجمعًا مميزًا.

منذ مئة سنة خلت، قام أحمد المسيح الموعود، بأخذ عهد البيعة من أول أتباعه في غرفة كانت تستخدم لإعداد الخبز في بيت متواضع جدًا في بلدة لدهيانة في الهند، لقد تنبأ بتحول العالم إلى الإسلام في غضون ثلاثة قرون.

لم يذكر الخليفة أرقامًا في خطابه إلا أن التذكارات المعروضة فصَّلَتْ نجاحاتهم؛ يوجد اليوم أكثر من عشرة ملايين مسلم أحمدي، منهم نحو خمسة ملايين في باكستان، لكن البقية كانوا في كل بلد في العالم تقريبًا، من كندا إلى الصين، من بوروندي إلى بورما، ومن روسيا إلى رواندا.

بالمجمل عُلم أنه كان هناك أحمديون في ١٢٠ بلدًا، بنت الجماعة في معظمها مساجد أو مراكز تبشيرية، وفي أخرى، وبسبب القيود، كان الأحمديون يجتمعون في بيوت خاصة.

أُنجز ذلك بالكامل من خلال التضحيات والعمل الجاد. هذه الإنجازات رائعة، لكنها ما تزال غير كافية كما قال الخليفة، الأمر الأكثر أهمية من كل شيء من الآن فصاعدًا هو أن على كل أحمدي الآن أن يصبح مبشرًا قائمًا بذاته.

قال الخليفة: "المستوى الأدنى المتوقع هو أنه على كل أحمدي أن يُدخل شخصين على الأقل في الإسلام، إن من واجب كل مبشر أن يدرب ويُعدّ الآخرين ليصبحوا مبشرين".

وكنتيجة لذلك نُظّمت مؤتمرات لتقرير الطريقة الأمثل لتوصيل رسالة الإسلام إلى العالم، تحدّث مبشرون ناجحون عن كيفية نجاحهم، وقام المبايعون الجدد ليشرحوا لماذا صاروا أحمديين.

أُنشئت برامج تبشيرية رائدة بمجموعات من خمسة أشخاص وبالتالي يمكنهم تقديم الدعم لبعضهم واستحداث أفكار في الحملة لكسب مبايعين، كل مجموعة أُعطيت رقمًا من المبايعين كهدف للسعي لتحقيقه خلال الستة الأشهر التالية.

أوصى الخليفة بأن عليكم أولًا أن تكسبوا قلوبهم ثم يمكنكم أن تكسبوا عقولهم.

وضَع الأحمديون عبر العالم رسالته موضع التنفيذ؛ في أفريقيا قامت تنظيمات النساء بصنع ثياب وفرش للفقراء، زاروا المرضى في المستشفيات والمحكومين في السجون، تقدم الأحمديون في كل أنحاء العالم بالآلاف للتبرع بالدم والكلى، ومعظمهم كانوا يرتدون شارة تبين أنهم مسلمون أحمديون.

في أوربا وأميركا الشمالية قاموا بتنظيم مسيرات دراجات ومسيرات ضاحية (ماراثون) لجمع المال من أجل الجمعيات الخيرية التي تساعد المسنين والأطفال المعاقين عقليًا.

يجب أن يكسبوا مبايعين من خلال قدوتهم، لذلك قال الخليفة:

"كونوا جيران جيدين، لا تلقوا بالقمامة هنا وهناك، ولا تشغلوا المذياع بصوت عال جدًا، تعرفوا على جيرانكم."

وهكذا أقيمت حفلات في الحدائق في عطلات العيد دُعي إليها جيران المساجد ونظِّمت زيارات من قبل المدارس القريبة وكليات إعداد المعلمين.

إن نجاح القرن الثاني للأحمدية يعتمد على الصغار كما قال الخليفة. لذا قامت البعثات التبشيرية بتنظيم حلقات دراسية خلال عطلات المدارس، تعطي دروسًا في القرآن في الصباح، وحصص رياضة وإسعاف أولي ومحادثة بعد الظهر.

شدد الخليفة على أنه يريد نساءً طبيبات ومهندسات ومهندسات عمارة ومحاميات ومعلمات بالإضافة إلى الرجال، ليس للنساء حقوق مساوية فقط في الإسلام، إنما لهن حقوق خاصة أيضًا.

شجع مجموعات النساء أن ينظمن رياضات كرة المضرب (التنس) والسباحة ورياضات أخرى.

قال الخليفة لا تهملوا مبايعينا الجدد، الإسلام لا ينتمي إلى الشرق، إنه ينتمي إلى العالم.

وسع الخليفة في تصريحه قائلًا: "أسعى لأغرس مبدأ العالمية والشعور بها بين كل الأحمديين، يجب أن يكون هناك شعور بالوحدة – أننا ننتمي إلى الإنسانية ولا ينبغي السماح بأية حواجز جغرافية أو عرقية.

هذا الأمر سهل كشعار جميل، لكن في الحقيقة من الصعب جدًا غرسه في الناس، الصعوبة التي وجدتها ليست الإحساس بالفوقية إنما مُركَّب النقص الذي يوجد أحيانًا في الأمم".

لذلك شدد على أن كل المبايعين يجب أن يصبحوا فورًا أعضاء فعالين، ضُموهم في كل تنظيماتنا بحيث يعرفون كيف تعمل الجماعة وبالتالي يمكنهم مساعدتنا بيسر، لا تجعلوهم يشعروا بأنهم غرباء بسبب الاختلافات الاجتماعية أو اللغوية. ليس من الواجب على المبايعين أن يتعلموا اللغة

الأوردية، إنما علينا أن نتعلم الإنجليزية أو الألمانية أو الهولندية أو الدنماركية أو أيًا كانت اللغة المحلية وهكذا نستطيع التحدث معهم بسهولة.

في الوقت الحاضر معظم الأحمديين هم من أصول هندو-باكستانية، لكن لن يبقى الأمر كذلك دائمًا، سيأتي وقت يفوق فيه عدد المتحولين إلى الأحمدية بكثير كل أهل باكستان والهند في الوقت الحاضر.

الأمر هو كذلك حقًا على نطاق مصغر؛ ففي بعض البلدات شمالي إنجلترا يوجد عدد أكبر من الأحمديين الذين تحولوا للأحمدية من أولئك الذين ولدوا كأحمديين.

طلب الخليفة أيضًا مبشرين جدد، وقال إننا سنحتاج خلال العقدين الأوليين من القرن الثاني للأحمدية إلى خمسة آلاف مبشر جديد.

كما طلب الخليفة من أبناء الجماعة أن يوقفوا أبناءهم الذين لم يولدوا بعد في سبيل الله. وبحلول عام ١٩٩١ كان خمسة آلاف طفل – بعضهم قد ولد، وبعضهم ما زال في الطريق- قد أُوقفوا للجماعة الأحمدية كمبشرين محتملين في المستقبل.

هذا لا يعني أن الوالدين يتلقون أي مساعدة خاصة من الجماعة، إنما فقط ينشأ الأطفال وهم مدركون، أن آباءهم وأمهاتهم، قد تمنوا قبل ولادتهم أن يصبحوا مبشرين. إن لم يرغبوا أن يعيشوا حياتهم كمبشرين، فليس هناك أي إكراه لهم ليفعلوا ذلك.

لكن يترتب على كل الآباء والأمهات مهام خاصة، خاطبهم الخليفة قائلًا: "لما كان انتصار الإسلام مؤكدا يجب عليكم الآن أن تتأكدوا من غرس القيم الروحية والأخلاقية للإسلام في حياتكم، الانتصار بالأعداد سيكون عديم المعنى إن خسرنا المعركة الروحية التي يجب أن ننتصر فيها في بيوتنا. يجب أن نفحص بيوتنا وسلوكنا وأن ننشئ التقوى في حياتنا وحياة أطفالنا، في البيوت التي تؤدى فيها الصلوات بانتظام يتعلم الأبناء سريعًا كيف يتصرفون

كمسلمين وبالتالي يبقون مخلصين لله طول حياتهم. حياة أبنائنا يجب أن تظهر حب الله وتعكس قيم الإسلام والأحمدية، أنشئوا جوًا من الطهارة والصدق في بيوتكم حتى يصبح أبناؤكم خدامًا صادقين لله".

وطلب الخليفة طلبًا خاصًا من الخمسة آلاف أسرة الذين أوقفوا طفلهم الأصغر لله، أن يعلموهم بقدر المستطاع الصينية أو الروسية أو الإسبانية.

قال الخليفة: "في القرن الثاني للأحمدية فإن الصين وروسيا وأميركا الجنوبية هي الأماكن التي ستكون فيها الحاجة الأعظم. في أفريقيا لدينا الكثير من متحدثي الإنجليزية وفي أفريقيا الناطقة بالفرنسية أصبحنا راسخين جيدًا الآن ونحقق تقدمًا جيدًا، لكن في أميركا الجنوبية، والصين وروسيا قد بدأنا للتو".

لم يتكلم الخليفة عن هذه المواضيع المحددة عندما تحدث في عشاء الاحتفال المئوي، إنما تحدث عن مستقبل الجماعة الأحمدية.

قال إن الطريق قد يكون أحيانًا مظلمًا وخطيرًا، لكن المستقبل مشرق.

وذكر شعرًا قاله أحد أفراد حاشية ملك كتب إلى ملِكه أنه ليست الجبال ما كان يخشاه وإنما الخوف من السقوط.

الرد الذي تلقاه كان: "إن كان قلبك يخذلك، لا تتسلق أبدًا".

قال الخليفة: إن أفراد الجماعة الأحمدية ليس لديهم أي خوف من السقوط.

وذكر كلمات المسيح الموعود:

"إن إحياء الإسلام يتطلب منّا فدية! وما أدراكم ما تلك الفدية؟ إنها موتنا في هذا السبيل. وبهذا الموت قد أُنيطتْ حياة الإسلام وحياة المسلمين، وعليه يتوقف تَجلّي الإله الحيّ. وهذا ما يسمى بتعبير آخر الإسلامُ. يريد اللهُ تعالى الآن إحياء هذا الإسلام..."

تابع الخليفة: "إنني أشهد الله أن رسالة الأحمدية هي الحق، هي الإسلام بنقائه البكر.

"إن خلاص الجنس البشري يتوقف على قبول دين السلام هذا، الإسلام هو الدين الذي يخلّص من كل أنواع التمييز بين البشر ويهدم كل حواجز العرق واللون والعقيدة التي تقسّم الإنسانية."

"الإسلام يحرر الإنسان من عبودية الخطيئة ويقوي روابطه بخالقه، إنه دين بسيط جدًا ومع ذلك على درجة عالية جدًا من التنظيم بحيث يلبي متطلبات وتحديات العالم المتغير."

"الإسلام لا يسمح بأي استغلال – سواء كان اجتماعيًا، أو سياسيًا، أو اقتصاديًا أو دينيًا. إن الفلسفة السياسية للإسلام ليس فيها مكان للدبلوماسية المزيفة أو المخادعة. الإسلام يؤمن بالأخلاقية المطلقة ويأمر بالعدل والإنصاف للأصدقاء والخصوم على حد سواء في كل النواحي التي تهم الإنسانية."

"الإسلام لا يسمح باستخدام الإكراه لنشر رسالته كما لا يعطي الحق بذلك للديانات الأخرى. ممارسة الإرهاب، حتى ولو تحت اسم أنبل الأهداف، لا تتوافق مطلقًا مع تعاليم الإسلام."

"الإسلام هو الشفاء لكل العلل والأمراض التي تعانيها البشرية اليوم، الإسلام يعلمنا أنه ما لم يتعلم الإنسان أن يعيش بسلام مع نفسه ومع أقرانه من البشر فإنه لن يستطيع العيش بسلام مع ربه."

"إلى هذا الإسلام أنا أدعو كل الناس".

كان هناك أناس من أديان كثيرة على العشاء وبعد أربعة أيام تلقى الخليفة رسالة من أحدهم وهو رئيس منظمة سيخية، تحدثت الرسالة عن الجو الرسمي والوادع في الوقت نفسه لحفل العشاء، لقد اكتنفته "السكينة والسلام"، كما قال.

ثم أضاف: "لا شك أن قوة إلهية كانت وراءه".

❁❁❁❁❁

# شكر وتقدير

لقد كان لي الشرف بلقاء العديد من المسلمين الأحمديين من مختلف الدول خلال الأربع عشرة سنة الماضية. وقد تكثفت هذه اللقاءات في السنوات الثلاث الأخيرة حينما كنت أؤلف هذا الكتاب.

وكان الشخص الذي عرفني على معظم هؤلاء الناس هو السيد ب. أ. رفيق، الإمام السابق لمسجد لندن والمدير الحالي للنشر في الجماعة الأحمدية. همه الوحيد كان أنه ربما يكون لديهم شيء مهم ليخبروني به، ثم كان يتركني معهم وحيدا مع مسجلي الصوتي.

وهو أيضا من وفر لي الكتب من مكتبته الخاصة عندما كان يتعذر علي إيجادها في قسم الإسلاميات في المكتبة الجامعية التي كنت أرتادها. فشكري الخالص له على مساعدته.

كما أرغب في أن أشكر أولئك الذين تحملوا طرحي الأسئلة عليهم دون مبالاتهم بالوقت الذي كنت أستغرقه في ذلك. ومن هؤلاء السيد م.م. أحمد وزير المالية الباكستاني السابق والسيد أ.أ. خان سفير باكستان السابق والسيد أ.أ. كاهلون أمير جماعة بريطانيا السابق والسيد م. أ. ساقي مدير الإرساليات الإسلامية الأحمدية والسيد ع. م. راشد إمام مسجد لندن.

وهناك كثيرون غيرهم وقد يكون من غير المناسب تسمية القليل منهم فقط وبعض الناس ولأسباب جلية لا يرغبون أن تذكر أسماؤهم.

قبل وفاته أمكنني أيضا في عدة مناسبات لقاء ظفر الله خان، وزير خارجية باكستان الأول ورئيس الهيئة العامة للأمم المتحدة ورئيس محكمة العدل الدولية في لاهاي.

بدل أن أضع حواشي فضلت أن أجعل قائمة مصطلحات بالكلمات العربية والأردية.

وأخص بالشكر السيدة أ. مجيد لقيامها بالفهرسة.

# المؤلف

آيان آدامسون مؤلفٌ للعديد من سير الحياة والقصص وكتب أخرى. ولد في Westerton في Srathclyde في اسكوتلندا ودرس في أكاديمية غلاسجو. مثّل غلاسجو في لعبة "الرجبي" عندما كان تلميذا. خدم نظام مالايا والجوركاس في شبه جزيرة مالايا في كتيبة "Seaforth Highlanders". وبعد أن أصيب في تدريبات المغاوير ذهب إلى جامعة باريس وحصل على دبلوم في العلوم السياسية. ممثلا فرنسا، فاز بمنحة سفر مفتوح من جامعة أميركية وتابع دراسته في ألمانيا والنمسا. أصبح بعدئذٍ مراسلا من الخارج لعدد من الجرائد البريطانية وسافر كثيرا في أوروبا وشمال أميركا والولايات المتحدة الأميركية والمكسيك. عمل مستشارا لمجلس خدمة المستهلك المدعوم حكوميا وأصبح الناطق التلفزيوني لهم. أنشأ بعدها هيئة ناجحة للشئون العامة وأصبح المدير الإدراي لمعهد تعليمي خاص. إنه الابن الأصغر لكاتب وصحفي اسكوتلندي مشهور.

عُمِّد وتزوج في كنيسة اسكوتلندا البروتستانتية القوية، وكان دائما مهتما بعمق بالقيم المسيحية البروتستانتية والكاثوليكية.